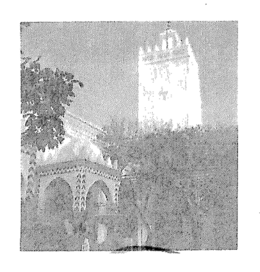
الوعي الإسلامي

اسلاميّة ثقافيّة شهريّة



السنة العاشرة — العدد ١١٢ — غرة ربيع الآخر ١٣٩٤ هـ — ابريل ١٩٧٤ م


لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم



الجامع الكبير فى مدينة الجزائـر وهو من أقدم مساجد العاصمـة والمرجح أنه شيد بين ٤٠٧ و ٤٧٥ هـ وتبـدو فى الصـورة منارتـه (صومعته) المربعة والقبة التى تعلو المطهرة .

الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

السنة العاشرة

العـدد ١١٢

غرة ربيع الآخر ١٣٩٤ هـ

أبريل ١٩٧٤

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسـياسية

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالـكويت فى غـرة كل شـهر عـربى

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

أما الأفراد فيشـتركون رأسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

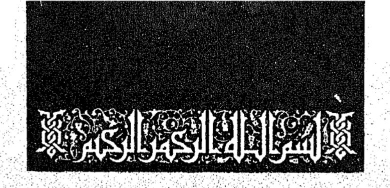
الثمـن :

الـكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريـال
العـراق	٧٥ فلسا
الأردن	٥٠ فلسا
ليبيـا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجـزائر	دينار وربع
المغـرب	درهم وربع
الخليج العربى	٧٥ فلسا
اليمن وعـدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

عنـوان المراسـلات :

مجـلة الوعى الاسلامى ــ وزارة الأوقاف والشـئون الاسـلامية

صـندوق بريد : ١٣ ــ كـويت ــ هـاتف : ٤٢٨٩٣٤ ــ ٤٢٢٠٨٨



احتفلت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بذكرى مولد الرسول صلى الله عليه وسلم في مسجد السوق الكبير عقب صلاة العشاء يوم الخميس ١١ من ربيع الاول ، وقد افتتح الحفل كما اختتم بآيات الذكر الحكيم ، وارتجل الاستاذ وزير الأوقاف والشئون الاسلامية الكلمة التالية في الحفل :

رسول الإنسانية

أيها الإخوة ،

يحتفل العالم الاسلامي اليوم بذكرى مولد محمد صلى الله عليه وسلم . ولذكريات الأبطال وأعمال الرجال الجليلة تقدير في نفوس الأمم والشعوب ، لذلك فإن الأمم الواعية تعتز بميلاد زعمائها وتحتفل بأبطالها الذين أشاعوا النور في بلادها ، والمسلمون اليوم من المشرق الى المغرب يحتفلون بهذه الذكرى العظيمة ، ذكرى مولد محمد بن عبد الله صلى الله تعالى عليه وسلم . وإننا حين نحتفل بذكرى محمد ومولده صلى الله عليه وسلم انما نحتفل بذكرى ايجاد المجتمع الاسلامي الفاضل ذلك المجتمع الذي تفوق على المجتمعات المادية والرأسمالية ، هذا المجتمع الفاضل الذي جمع الفضائل وزواج بين المادة والروح فقام على بناء الانسان .. حقا

ان محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم بنى الانسان الذى أوجد المجتمع الفاضل بنى الانسان بالمثل العليا والفضائل الكريمة بعث فيه الروح التى عمت أعماله وحركاته وسكناته . أوجد فيه الفضائل الكريمة والمزايا الحميدة التى يقوم عليها ذلك المجتمع الفاضل ، ان الاسلام اهتم بالانسان قبل ان تهتم به الأمم المتحدة وقبل ان تهتم به الدول الشرقية والغربية .

لقد خلق الاسلام للانسان العزة والكرامة « **ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا** » .

نعم لقد كرم الله الانسان « **والعصر . ان الانسان لفى خسر . الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر** » .

أيها السادة :

ان الجسد والمجتمع بلا روح كالخشب وكالحجر لا رحمة فيه ولا انسانية فالمجتمع الذى يتكون من بنى الانسان لا بد أن تكون به العواطف الانسانية ، لا بد أن تتحرك فيه المثل الانسانية . لا بد أن تتحرك فيه العواطف النبيلة والأخلاق الفاضلة الحميدة « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » حقا يا محمد لقد بعثك الله رحمة للعالمين .

أيها السادة :

احتفلت الأمم المتحدة منذ مدة بحقوق الانسان والقى بعض المندوبين المسلمين خطبة فى هذا الاحتفال وذكر فيها آية من القرآن الذى نزل على محمد عليه الصلاة والسلام فسمع هذه الآية احد السياسيين الكبار وذهب يبحث فى الكتب عن تفسيرها ومعناها ولما لم يجد اتصل بأحد العلماء المسلمين يسأل عن معنى هذه الآية وتفسيرها فادرك هذا الشيخ انه يعنى قوله تعالى : « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم » فدله على تفسيرها وشرحها ومعناها فصاح عجبا فوق عجب : كيف ان هذه الآية تعالج حقوق الانسان ، تقرر المساواة وتعالج التفرقة العنصرية وكل ما اتى به ميثاق الأمم المتحدة حول حقوق الانسان قبل ثلاثة عشر قرنا من الزمان . انه الاسلام أيها السادة انه القرآن الذى نزل على نبيكم والذى يتعجب منه الناس اليوم . انه الأخلاق الفاضلة انه المثل العليا انه القواعد الانسانية التى يجب أن تقوم عليها المجتمعات الفاضلة . ان الاسلام ربى فى المسلمين الشعور الطيب ، ومن ذلك نجد فى سورة الانسان

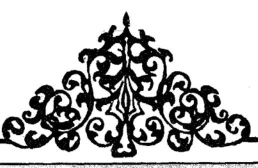
((**ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا . انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا . انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا . فوقاهم الله شر ذلك اليـــوم ولقاهم نضرة وسرورا**)) نعم من يعمل الخير ومن يؤثر الناس على نفسه . لقد ربى الاسلام فى الناس المثل العليا ، ربى فيهم الروح الى جانب الجسد . ربى فيهم الايثـــــار فقد كان أهل هذا البيت فى أمس الحاجة الى الطعام ولكنهم يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، وفى معركة اليرموك يسقط بعض الجرحى من المسلمين فى ساحة الجهاد فى سبيل الله فيأتى شخص بالماء الى احدهم يطلب الماء فيسمع أنينا حوله ينادى بالماء فيقول اذهب الى فلان فيذهب اليه فيســـمع الآخر أنين أخ له ينادى بالمـــاء فيقول له اذهب الى أخى ويذهب الى الثالث ليسقيه المـــاء فيجده قد مات ويرجع الى الثـــانى فيجده قد مات ويرجع الى الأول فيجده قد مات . انه الايثار . انه الاســـــلام . انه الروح التى بعثها محمد صلى الله عليه وسلم فى أتباعه . انه صلة الانسان بخالقه عز وجل . انه صـــلة العبد بربه التى يبتغى من ورائهـــــا الأجر والثواب من عند الله لا من عند بنى الانسان ، فان الانســـان يحب ويكره لأجل المصلحة المـــادية والمنفعة المؤقتة ، ولكن العمل الصالح الخالص لوجه الله هو الذى يبقى دائما وهو الصلة التى تربط العباد بعضهم ببعض ومن هنا نجد أن الاســــلام حرص كل الحرص على أن تكون أفعالنا وحركاتنا وسكناتنا تقاس بمقياس الاسلام وتوزن بميزان الاسلام ان خيرا فخير وان شرا فشر ، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت . ولقد أعجبنى ما رأيت فى الدورة الرياضـــية التى اقيمت فى الكويت رأيت الروح الرياضية التى يتحلى بها شـــبابنا من حب وإخاء بين الغـــالب والمغلوب ، انها الروح الرياضية التى يســـمونها ، هى أخلاق الاسلام ، هى الروح الاسلامية التى يجب أن يتمسك بها كل مسلم ، يجب أن يتمسك بها الكبار والصغار الشباب والشيب الرجال والنســـاء ، هذه المثل العليا هذه الأخلاق الفاضلة التى تميز المسلم عن غير المســـلم ، هذه الأخلاق هى التى تميز المجتمع الاسلامى عن غيره من المجتمعات الفاســـدة وكلنا يعلم أو بعضنا قرأ فى الصحف فى هذه الأيام أن بعض النـــاس فى البلاد الاوروبية خلعوا ملابسهم وساروا فى الشـــوارع عراة كما ولدتهم امهاتهم ، اذا لم تستح فاصنع ما تشاء . واننا نخشى أن تسرى هذه العدوى الى بلاد المسلمين ، لأن المسلمين مع الأسف بدأوا يتركون أخلاقهم وأخلاق نبيهم ومثل دينهم التى أمروا أن يتبعوها وبدأوا يتخلون عن هـــذه الأخلاق الفاضلة ويقلدون الغرب فى كل ما يأتى منـــه من مفاسد واننا نحـــذر كل الحذر من اتباع هذه الأخلاق الفاسدة التى تدمر المجتمعات وصــــدق الله اذ يقول : ((**واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففســـقوا فيها فحق عليها**

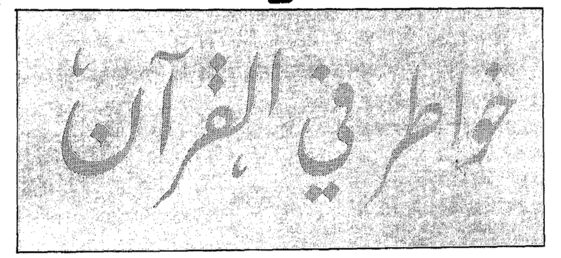
القول فدمرناها تدميرا » . اننا يجب علينـــا أن نتمسك بأخلاقنا وديننـــا وشيمنا وعاداتنا الأصيلة التى ورثناها عن آبائنا وأجدادنا لأن الرسول عليه الصلاة والسلام جاء ليتمم مكارم الأخلاق ، يجب أن نتمسك بأخلاق العرب الفاضلة الكريمة التى تركوها لنا وان نزيد عليها من فضائل الاسلام التى جاء بها ، يقولون ان هذا العرى حرية .. لا .. إنه فوضى . انه جنون . انه نزوة وطيش .

ان الحريات أيها المسلمون اذا اطلقت دون أن تقيد ودون أن توزن وتقاس بميزان الاسلام ومقياس الاسلام فانها ستكون وبالا وفسادا . كثير من الناس اتخذوا من الحرية السياسية والديمقراطية منطلقا لنكران الدين ونكران العقيدة ونكران الفضائل الحميدة ، وكثير من الناس اتخذوا من الحريات واطلاقها طريقا للنيل من الناس فى صحفهم وفى جرائدهم ومجلاتهم ، وبعض الناس اتخذوا من الحرية طريقا لاعطاء المرأة مزيدا من التحلل والاباحية ، وكثير من الأعمال الفاسدة ارتكبت لتدمر المجتمع باسم الحريات الشـــخصية وحريات العقيدة حتى افسدوا العقيدة ، وهؤلاء لا يريدون الا دمار مجتمعاتنا كما دمرت مجتمعات الغرب ، واننا كمســـلمين نرفض هذا المبدأ لأن ديننا الحنيف لا يرضى بالحريات المطلقة ، وقد روى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ما معناه : مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم فى أعلاها وبعضهم فى أسفلها فصار الذين فى أســـفلها اذا استقوا من المـــاء يمرون على من فى أعلاها فيقولون : لو انا نقرنا نقرا فى المكان الذى لنا فيه نصـــيب فلو أنهم تركوهم هلكوا جميعا ولو أنهم أخذوا على ايديهم نجوا ونجوا جميعا . هذا الحـــديث عن الرسول عليه الصلاة والسلام يوضح الحرية ويحدد المســـئولية . فاذا أخفق الحكام يجب على الشعوب أن تقف وتحاسبهم ، واذا أخفق السياسيون يجب على الشعوب أن تقف وتردهم ، فاننا جميعا مسئولون ، واننا جميعا مسئولون أمام الله عز وجل عن أخلاقنا وعن مجتمعـــاتنا وكما يقول الله ســـبحانه وتعالى : **« والعصر . ان الانســـان لفى خسر . الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر »** .

« وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان » .

والسلام عليكم ورحمة الله .





للأستاذ : على الطنطاوى

تحت ايدى الناس اليوم اكثر من عشرين مليون كتاب ، بجميع الألسن والخطوط ، ولو سئلت : اى هذه الكتب افضل واكمل ، واجمل واشمل ، لقلت : القرآن .

وكل واحد من قراء هذه المجلة ، يجيب بمثل هذا الجواب ، لو سئل ذلك السؤال ، ما عندى في ذلك شك ، ولا عند أحد منهم فى الجواب تردد .

ولكنى فكرت ، هل اقول هذا لأنى مسلم آمن به ونشأ عليه ، وتعوده حتى صار عنده من البديهيات (١) ، أم هو حق فى ذاته يقول به كل باحث منصف .. ؟

وذكرت كيف كان العربى يسمع الآيات من القرآن ، فتملك قلبه ، وتمسك لبه ، حتى تقوده الى الاسلام كما فعلت بعمر ، أو تحمله على الاقرار بعظمته ، وغريب تأثيره ، ولو بقى على كفره كما صنع الوليد ، حين زعم انه سحر ، واصل السحر فى لسان العرب ما بان أثره ، وخفيت علته .

فأخرجت مصحفا كان معى ، (وكنت لما خطرت لى هذه الخواطر فى سفر بالطيارة) وجعلت اقرأ ، احاول ان اجد مثل ذلك الشعور الذى وجده عمر المسلم ، والوليد الكافر ، والذى كان يحس به كل عربى يقرأ القرآن ، او يسمعه .

فماذا كان ؟ اقول لكم ام اكتم الأمر عنكم ، خجلا منكم .. ؟

انى لم أجد ذلك الشعور ! حقيقة أقولها بأسف وخجل .

وفكرت مرة ثانية : لم لم اجده ؟

الأنى أعرف القرآن وليس جديدا على ، فصار احساسى به ، كاحساسى

عندما أنظر الى الكعبة الآن ، بعد اقامة احد عشر عاما فى مكة ؟
لقد فقدت تلك الهزة الرائعة التى شعرت بها لما رايتها اول مرة ، واذهب الإلف روعة المفـاجأة أم لأنى تعودت ان اقرأ القرآن مسرعا ، أصل الآية بالآية لأبلغ نهاية (الختمة) فلا أتذوقها ولا أتدبرها ولا ألمح اشـاراتها ومراميها .. ؟ نعم ، هذا هو السبب ، ان قراءتى القرآن مثل سفرى من مكة الى جدة ، همى وهم السائق أن أصل فى خمسين دقيقة . لا أرى من الطريق شيئا ، الا بيوتا متناثرة فى (بحرة) أو (حداء) . وفضاء يرحب أو يضيق ، وجبالا تعلو أو تنخفض ، وتدنو أو تبعد .
ولو سئلت ما شكل هذه البيوت .. ؟ وماذا فيها من اناسى ومن فرش ؟ وما فى هذا الفضاء من تراب ورمل ؟ ما تركيبه ؟ وما فى هذه الجبال من صخور ؟ ما نوعها ؟ لما عرفت : لأنى لم أتنبه لها ، ولم اسأل عنها .
ولكن البعثة الجيولوجية (٢) التى تجىء للكشف والتحرى ، وتمضى على الطريق خمسين يوما بدلا من خمسين دقيقة ، تعرف هذا كله ، وتقدم تقريرا عنه .
هذا هو مثال تلاوتنا وتلاوة الصحابة . نحن نكمل الختمة فى يوم او يومين ولا نفهم شيئا،ومن الصحابة من كان يمضى فى دراسة السورة الواحدة سنين ، ولكنه يتدبر ويعى ، ويعمل بما تدبره ووعاه .
فهذه السرعة ، وما يقابلها من انصراف الأذهان عند سماع القرآن ، للصوت والالحان ، وظن كثير ممن يسمون بالقراء ، أن القرآن ليس الا كلاما معدا للتلحين ككلمات الأغانى ، وتنافسهم على اجادة تلحينه والتصرف فى أنغامه واتخاذنا القرآن مجرد شعار تفتتح به الحفلات ، هذا كله وأمثاله هو الذى حجز بينى وبين التنبه الى اسرار القرآن ، وحرمنى من الشعور بروعته ، وقد كان يشعر بها كل عربى يسمعه ولو كان كافرا .
ما تبدل القرآن ، بل تبدلت الألسنة التى تقرأ ، والآذان التى تسمع ، والقلوب التى تعى .
اننا نقرأ القرآن بلا فهم ، أو نطرب له بلا خشوع ، أو نتخذه وسيلة لـ (الشحادة) على أبواب المساجد فلا يحق لنا (لا لى ولا لغيرى) ان يتخذ من الشعور الذى يشعر به ميزانا لتقويم (٣) القرآن ، فلنـدع الشعور الـى العقل .
ولنتصور لو أن رجلا مثلى يقرأ (كما اقرأ) ما معدله اكثر من مئة صفحة فى اليوم ، من أكثر من خمسين سنة . حتى اطلع على جانب كبير من المعارف البشرية ، وكان منصفا ولو كان غير مسلم ، وسئل السؤال الذى استهللت به المقال ، فبماذا يجيب . ؟
انه ينظر فيرى أن البشرية شهدت كتبا عالمية ، كان لها الأثر البالغ فى الناس . أو فى جمهور كبير من الناس .
منها ما نزل من السماء فحرفه البشر ، كالكتاب الذى يدعى اليوم بـ (الكتاب المقدس) ومنها ما هو أرضى قدسه اتباعه ، كالفيدا (Vedas) الهندية ، والأفستا (Avesta) الفارسية المنسـوبة الى زراداشت ، ومكتوبات كونفوشيوس (واصل اسمه بالصينية : كونغ فوتس) .

ومنها كتب أدبية كالياذة هوميروس ، ومسرحيات شكسبير وموليير ولافونتين وخطب فيخته (Fichto) الألماني .

ومنها كتب فلسفية أو علمية كجمهورية افلاطون ومحاورات سقراط وكتب ارسطو وخطبة المنهج لديكارت ونقد العقل لكانت ، والتطور المبدع لهنري بركسون ، والانسان ذلك المجهول لكاريل ، ونسبية آنشتاين .

وما كتب دارون ، وفرود ، ودوركايم ، ومكيافيلي ، ثم هيكل وماركس وغيرها من امثالها ، فأنا انما أجمل وأمثل ، لا أستقصي وأفصل ـ ولم اذكر كتب المسلمين لسببين :

الأول : اني احاول ان افكر بعقل باحث منصف غير مسلم وغير متعصب لدين أو مذهب يمنعه من الانصاف .

والثاني : ان كتب المسلمين كلها ، متأثرة (من قريب أو بعيد) بالقرآن ، فهي كالفرع عنه وأنا أتكلم هنا عن القرآن ، فكيف احتج بالفرع للأصل ، واقبل شهادة الولد للوالد ؟

أقول : لو جاء هذا الباحث النزيه يوازن بين هذه الكتب وبين القرآن فماذا يجد .. ؟

يجد أن المثل العليا للبشرية ، والغايات القصوى للمعارف وللمشاعر الانسانية ، هي الحق والخير والجمال .

وهذه الكتب منها ما يبحث عن الحق ، بوساطة الفكر ، ولكنه لا يعنى بالجمال ولا يفتش عن الخير ، ومنها ما يفتش عن الجمال من طريق الذوق ، بوساطة العاطفة ، ولكنه لا يهتم بالخير ولا بالحق .

اي ان منها كتبا في العلم وحده وكتبا في الأدب فقط وكتبا في الأخلاق وفلسفتها ويجد أن منها ما هو مخالف لفطرة البشر ، وطبيعة تكونهم ، والفطرة تأبى ما يخالفها ، كالكتاب الذي يقبح الغنى لأهله ، ويقول (لا يدخل الغني ملكوت السموات) والانسان مفطور على حب المال . ويزين لهم التبتل والرهبانية ، والانسان مغروز فيه (غريزة) الميل الى الزواج . ويقول : (من ضربك على خدك الأيمن فأدر له الأيسر) والانسان مجبول على دفع الأذى والرغبة في الانتقام .

والكتاب الذي يحاول ان يمحو الفرد ليثبت بزعمه المجموع ، ويحرمه الربح ، ويكلفه الجد في العمل . ويريد ان يطمس عقله فلا يفكر به ، بل بعقل طبقته . ويجعل الناس طبقات يجمعها الحرب والخصام لا الصلح والوئام . ويقول : بخرافة (حتمية التاريخ) مع أن التاريخ ليس الا الرواية والتعليل لما كان ، لا التحكم فيما سيكون ـ كما يهذي به الماركسيون .

ويجد كتب الفكر والعلم ـ تبلى على الأيام جدتها ـ وتنقص قيمتها ، فلا يبقى لها الا مزية السبق الزمني حتى ان طالب الجامعة يعرف اليوم من الطب أكثر مما كان يعرف بقراط (ايبوقراط) ، ومن الهندسة أكثر من اقليدس ، ومن الفلك اكثر من كوبرنيك ، ومن الكيمياء اكثر من لافوازيه .

وكتب الأدب يتبدل نظر الناس اليها ، وتقديرهم اياها ، بتبدل الأذواق ، وتباين العصور ، وان كانت أثبت (في الجملة) وأبقى من كتب العلم .

وكتب الأخلاق ، تختلف اسسها ، وتتعدد نظرياتها .

ويجد أن منها ما يظهر خطؤه فتخبو ناره ، وتنطفىء أنواره ، كآراء فرود ، ونظرية دارون ، ومنها ما ينكشف لأتباعه ، (عند التطبيق) ما فيه من ضرر بالغ ، ونتائج مدمرة ، فضلا عن تعذر تطبيقه كاملا ، ككتاب (رأس

المال) و (الميثاق) لماركس .
فاذا تركها ونظر الى القرآن ، فماذا يجد ؟
يجد القرآن (اولا) قد احاط وحده بالمثل العليا كلها : الحق والخير والجمال ، فكان كتاب علم ولكنه لا يفرض نظريات ، ولا يسرد قوانين ، بل يوجه الناس الى إعمال عقولهم فى فهم اسرار الحياة الدنيا ويؤكد لهم ان لهذه الحياة سننا محكمة ، وقوانين ثابتة ، ويشير (بمقدار ما يفهم المجتمع الذى سمع القرآن اول مرة) الى بعض هذه القوانين والسنن ، ويدعوهم الى اكتشافها فى انفسهم : فى اجسادهم وعواطفهم ، وفى الحيوانات من حولهم : الابل والأنعام ، وفى النباتات كيف تتجرد وتكسى وتموت فى الشتاء ثم تحيا ، وفى الأرض وما فيها ، والسموات وما يرى منها . ويخبرهم ان كل شيء فى الكون محدد المقادير . قائم على نسب مضبوطة ، وعلاقات ثابتة . وان الذى أوتوه من العلم بها قليل وانه سيخلق ما لا يعلمون ، ويعطى من يأتى من البشر من المعرفة بالكون ما لا يعرفون .
والقرآن يشير دائما الى قوانين الطبيعة التى طبعها الله ، وينبه اتباعه الى استثمار كل ما فيها والى انه سخره لنا لننتفع به ، اذا اعملنا عقولنا وأفكارنا ، (**وسخر لكم ما فى السموات والارض جميعا منه**) وليس هذا التسخير لمجرد الانتفاع بها فى هذه الحياة المؤقتة بل لتكون علامات وآيات نستدل بها على طريق الانتفاع الحقيقى ، فى الحياة الأخرى الدائمة : ((**أن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون**)) .
فمن أهمل عقله من المسلمين قصر ، ولم يدرك هذه الآيات ، ومن انتفع بها ونسى خالقها وموجدها ، كان جاحدا للمعروف ــ اتستفيد من الهدية وتنكر حق مهديها ؟ هذا ما يفعله اتباع هذه الوثنية الجديدة . وثنية العلم ، الـذين يكشفون بعقولهم التى هى عطية الله القوانين الطبيعية التى وضعها الله ، ثم لا يشكرون الله ، بل ربما انكروه وجحدوه .. !!
ومن انتفع منها النفع الذى وضعه الله فيها ، وشكره عليها ، كان مؤمنا عاقلا ، ومن عظمها لذاتها ، وترك النفع الذى وضع فيها ، كان احمق جاهلا ، كمن يحفظ الثوب ، ينظفه ويمسحه ولا يلبسه لدفع برد ولا حر ، ولا لستر ولا لتجمل ، ومن يجمع المال ويعده ويحبسه ، ولا ينفق منه على نفسه ولا على أهله ، ولا يشترى به دنيا ولا يشترى به آخرى ، لذلك ورد (تعس عبد الدينار تعس عبد الخميصة) اى الثوب .

✶ ✶ ✶

وهو كتاب عقائد ولكنها ليست فصولا متسلسلة تشغل القلب بالعقيدة ، وتصرفه عن إعمال العقل ، وتذوق الجمال ، بل هى آيات تقرر العقيدة من خلال التفكر فى المخلوق وتأمل جماله للاستدلال به على خالقه .
وهو كتاب تشريع ولكنه ليس كمجموعة جوستينيان مثلا نصوصا واحكاما تبين الحكم فقط بل هو يصلها بالعقيدة ، ويربطها بالخالق ، حتى عندما يحدد حصص الورثة فى التركة ، أو اسلوب التوثيق عند الكاتب العدل .
وهو كتاب تاريخ ولكنه لا يجمع أطراف القصة من قصص الانبياء ويسردها سردا متصل الحلقات بل يأخذ منها فى كل موطن جانبا يعرضه للاعتبار به ، فهو يحرص على الاستفادة من الخبر ، لا على الإطاحة بالخبر .
ولعل حكمة هذا المزج بين القصص والعبرة ، وتكرير القصة على صور مختلفة ، وفى مواضع متعددة ، هى (والله أعلم) ان مستقر العقيدة هو

العقل الباطن (٤) . وهذا الاسلوب فى التلقين والايحاء ، غيـر المباشر ، يوصل اليه راسا لا سيما اذا اقترن بالتكرار ، وقد تنبه لهذا المربـون من الأجانب واطالوا البحث فيه ، واستعملوه في تلقين المبادىء التى يريدون الشباب عليها .

ولو كانت القصة معروضة عرضا مدرسيا ، يخاطب العقل الواعى ، لحفظتها (الذاكرة) لتقدمها الى العقل عند الطلب فيعمل فيهـا ، مناقشة وبحثا وتشكيكا ، ثم تنساها على مر الأيام ، كما ينسى التلميذ اذا كبر دروس المدرسة التى وعاها وامتحن فيها ، ولكنه لا ينسى توجيهات المدرس ، التى تجيء عفوا ، وانى لأذكر الآن والله من هذه التوجيهات العارضة ، اشياء سمعتها فى المدرسة خلال أيام الحرب العالمية الأولى .

وقد ظن قوم ضلوا وزلوا ، ان قصص الأنبياء فى القرآن ، كقصص الأدباء من أمثال اسكندر دوماس وشارلز دكنز ، يراد بها العبرة ولا يحرص فيها على الحق (٥) وهذا كلام باطل وجميع تلكم الكتب (الا ما كان سماويا وبقى كما نزل) ، مهما سما فيها الفكر ، ومهما رقت فيها العاطفة ، كتب ارضية منبثقة من حياة الانسان على هذه الارض ، محدود ما فيها بحدود هذه الحيـــاة لا تعرف ما قبلها ، ولا ما بعدها ، لا تعرض له ولا تشير اليه ، الا بأصابع الخيال الذى لا تدعمه حقيقة ، او التوهم الذى لا يســـــنده دليل ، والقرآن يشمل موضوعه ما قبل هذه الدنيا ، وما بعدها ، ويخبرنا معشر البشر (ولم نكن لنعلم لولا ان علمنا) : من اين جئنا ، ما اصلنا والى اين نمضى ، وما مصيرنا .

فان نظرنا الى الموضوع ، وجدنا القرآن وحده من بين تلك الكتب جميعا هو الذى يحوى الدستور الكامل ، للحياة الفردية والجماعية ، الجسديـــة والروحية ، ولحياة المجتمع المالية والاجتماعية والأخلاقية ، والحكومية ، حياته هذه القصيرة على الأرض ، وحياته المقبلة فى الآخرة .

بل إن من عجائب القرآن ، ان هذا الدستور قد اجمل فى اربع عشرة كلمة فقط . نعم اربع عشرة كلمة هى : **والعصر ، ان الانسان لفى خسر . الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر .**

يبدأ بالتذكير بحقيقة نعرفها ونوقن بها ، ولكننا قد ننساهـا ، هى ان رأس المال للانسان ، عمره ، فكلما مر عليه يوم خسر منه يوما ، حتى تجيء ساعة الموت فيكون الخسر الكامل ، لهذا اقسم بالعصر (اى الزمـــان) لا تعظيما له كما يقسم البشر ، بل للتنبيه اليه .

نخسر بالموت لاننا نترك كل شيء ونمضى . ولكن منا من لا يشمله هذا الخسر ، هو الذى يحمل معه من خيرات هذه الدنيا ما ينتفع به فى الآخرة ، اولئك هم (**الذين آمنوا وعملوا الصالحات**) ثم يضع لنا المنهج العام للمبدأ وللتطبيق ، للفرد فى نفسه وللجماعة فيما بينها ، فالمبادىء منها ما هو حق وما هو باطل ، فالمؤمن يتمسك بـــ (الحق) ، والمتمسكون بالمبدأ الحق منهم من لا يصبر على مشاق التطبيق ، فالمؤمن يحرص على (الصبر) عليها ، حتى يطبقه تطبيقا كاملا .

ثم لا يكتفى كل واحد بنفسه ، بل يتعاونون عليها و (يتواصون بها) (٦) فيصلح الأفراد ويصلح بهم المجتمع .

هذا من حيث مجموعه ، ومن حيث موضوعه .

اما اسلوبه فأسلوب مفرد ، ليس فى كل ما عرف البشر من كتب كتاب آخر له مثل هذا الاسلوب الذى جاء جديدا ، وبقى جديدا ، لانه لم يقلد ولم

يحتذ ، ولم ينسج أحد على نوله ، والقرآن يدور كله على وصل الانسان الفاني بالله الباقي ، بتوحيده وتذكره ، وتجنب اشراك غيره في الالوهية معه ، او توجيه العبادة الى سواه وعلى وصل هذه الحياة الفانية بالحياة (الآخرة) الباقية بالايمان بها ، والاستعداد لها ، والعمل على ما ينفع فيها .

ولكنه لا يفصل بين الدين والدنيا ، كما يفعل اتباع الديانات الأخرى (٧) اذ يجعلون من الناس (رجال دين) يسلكون طريق الدين ، ورجال دنيا أي رجال علم وسياسة ومال ، فكل مسلم بنظر القرآن رجل دين ما دام متمسكا به ، قائما بواجباته ومبتعدا عن محرماته ، ورجل دنيا ما دام يبتغي فيهما (من الحلال وحده) ، العز والقوة والمال ، ويقوم فيها بجلائل الأعمال .

واذا كان طريق الدنيا وطريق الآخرة عندهم ، كطريق قطر وطريق العراق للساكن في الكويت مثلا ، فمثالهما في القرآن كطريق العراق وطريق اسطنبول (٨) ، لا يختلفان بالاتجاه بل بالامتداد ، فطالب الدنيا يقف عندها ، ولا يجاوزها ، وطالب الآخرة يتخذ الدنيا محطة في طريقه اليها يتزود منها لها .

هذه مقاصد القرآن ، ولكنه خلال ذلك ، يلم بكل ما يحتاج اليه الانسان من ادوات توصله ، الى الكمال (الممكن) في الفكر والجسد والعاطفة والخلق الكريم ، بمزجها مزجا مفردا ، بأسلوب هو الغاية في الجمال فتصل به الى منطقة اللاشعور (Inconseience) أي العقل الباطن ، حتى اذا استقرت فيها ، ظهر اثرها في فكر الانسان وعاطفته وسلوكه ، ومجموع اعماله ، لذلك (وبذلك) بدل الاسلام العرب ، حتى ولدوا به في التاريخ ولادة اخرى ، وخذوا مثالا على ذلك عمر ، وتصوروا ماذا بلغ لما اسلم ، وماذا كان لو لم يسلم(٩) .

ما فرط القرآن في شيء ، ولكن ليس معنى هذا أن فيه حل تمرينات الحساب في دفتر التلميذ ، واعراب أبيات الاختبار في كتاب القواعد ، وبيان عدد جبال البرازيل وطول أنهار فرنسا ، القرآن لا يقدم اليك صندوق التفاح ، بل يعطيك الأرض والخبرة التي تملك بها شجرة التفاح ، لا يذكر لك قوانين الفيزياء بل يمنحك العقل ويرشدك الى استعماله في معرفة قوانين الفيزياء ، والفرنسيون يقولون في أمثالهم : « من أهديت اليه سمكة اشبعته يوما ، ومن تعلمه صيد السمك تشبعه كل يوم » .

القرآن يدعو للتدبر والتفكر واعمال العقل ، في فهم آيات القرآن ، وفي معرفة أسرار الأكوان ، خبرنا بأنه وضع لكل شيء قانونا ، وأعطانا ابصارا وعقولا ، وقال لنا **« انظروا ماذا في السموات والارض »** . انزل لكل داء دواء وقال ، ابحثوا عن الدواء للداء ، اكتشفوا سنن الله وقوانينه في هذه الدنيا ، واعرفوا (الطبيعة) التي طبعها عليها .

علم المسلم قبول التحدى والمناظرة العقلية والخضوع للبرهان القاطع ، وان نكلف الخصوم إبراز دليلهم ان كان لهم دليل **(قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين)** لأن الدعوى بلا برهان حقها الرفض .

وان نقول الحق ولو على انفسنا ، أى ان نخضع رغباتنا وشهواتنا ، وآلامنا ولذاتنا لحكم الحق .

والقرآن يعلل احكامه واوامره ، في العقائد الأساسية التي هي من البديهيات (١٠) **(لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا)** وفي الشرائع **(ذلك ادنى الا تعولوا)** .

ويشير الى القوانين الاجتماعية ، اشارته الى القوانين الطبيعية ، والى انها من سنن الله الثابتة **(قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا**

كيف كان عاقبة المكذبين) .

هذا قانون الهى اجتماعي : الذين يكذبون الحق ، ويرفضونه ، ويسلكون غير سبيله تكون عاقبتهم الهلاك (**واذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيهـا ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد)** وهذا أيضا قانون .

ويمنع الاعتقاد بالخرافات ، أى النتائج المتوهمة ، لمقدمات غير مسلمة ، أى ما ينافى التفكير العلمي من الاعتماد على المصادفات ، كالاستقسام بالأزلام ، والأوهام كالبحيرة والسائبة ، وتصديق الدجالين من المشعوذين ، واتخاذ أسباب لا تؤدى بطبيعتها الى المسببات ، كالحجب والتمائم ، فهو بذلك يحرر الانسان من عبودية الخرافات .

ويجعل المؤمن لا يصدق الا باحد اثنين : بما ثبت لديه ثبوتا عقليا مستندا الى الحس الصحيح ، أو التجربة المضطردة . وبما جاء به الخبر اليقينى .

فهو دستور ، ودستور الدولة فى العادة يحدد الحدود العامة ، ويبين الأهداف الكبرى ولكن لا يدخل في التفصيلات الا فى حالات خاصة لها ما يدعو الى ادخالها في الدستور ، فالدستور ينص على أن اللغة الرسمية للدولة هى العربية مثلا ، وعلى وجوب الاعتناء بها ، لكن لا يشرح عمل اسم الفاعل والصفة المشبهة . وعلى أن القضاء مستقل ، ولكن لا يحدد مدد التبليغ وطريقة التنفيذ وكذلك القرآن قال لنا **(واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل)** وترك لنا اختيار الطرق والأساليب للوصول الى تحقيق العدل .

للبحث بقية

---

(١) القياس الصرفى : بدهى ، ولكن كلمة بديهى وطبيعى مستعملة من أكثر من الف سنة ، وصقلتها الألسنة والأقلام .

(٢) جى : أرض ، ولوجى : علم باليونانية القديمة والواو للتركيب كما يقولون مثلا (فرانكو آراب) .

(٣) تقويم بالواو — أما تقييم فلا صحة لها ، واذا ظنوا انها من (القيمة) فان قيمة أصلها (قومة) .

(٤) راجع كتابى (تعريف عام بدين الاسلام) .

(٥) منهم خلف الله فى اطروحته التى طلب بها شهادة الدكتورية ، وكنت تلك السنة (١٩٤٧) مقيما فى مصر موفدا من وزارة العدل فى الشام الى ادارة التشريع فى مصر ، وكنت أشرف على مجلة الرسالة لمرض صاحبها الاستاذ الزيات رحمه الله ، فأثرتها عليه حربا تطاير شررها وانتشر خبرها ، ووصلت الى القضاء فى دعوى أقامها على الشيخ أمين الخولي — وكانت النتيجة أن رفضت الاطروحة تلك السنة — ومن رجع الى مجلة الرسالة لسنة ١٩٤٧ وجد تفصيل الخبر .

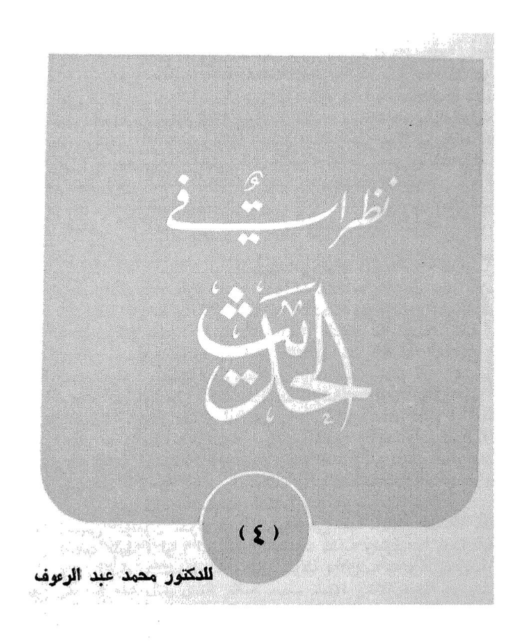
(٦) لى تفسير مفصل لهذه السورة هذه خلاصته . اذعته فى رمضان من عام ١٩٦٠ من اذاعة دمشق .

(٧) ودين الحق واحد (ان الدين عند الله الاسلام) .

(٨) أصلها اسلامبول (أى بلد الاسلام) سماها بذلك السلطان محمد الفاتح رحمه الله .

(٩) لى كتاب كبير عن عمر جمعت فيه أخباره كلها مع ذكر مصادر بالجزء والصفحة طبع سنة ١٩٣٥ ثم عدلته وسميته أخبا ر عمر طبع سنة ١٩٥٩ ولا يزال يطبع .

(١٠) أنظر كتابى (تعريف عام بدين الاسلام) .



مرحلة تدوين المصنف

كانت المرحلة الاولى من مراحل تدوين الحديث التي سميناها (مرحلة الصحيفة) تمثل البداية الطبيعية لحركات النمو والتطور ، فكانت بسيطة القدر والهدف ، أما بساطة القدر فلأن عدد أحاديثها لم يتجاوز غالبا بضع العشرات ، وأما بساطة الهدف فلأن الصحيفة كانت ترمى الى نقل ما فى الصدور الى السطور دون اتباع منهج فى ترتيب أحاديثها للتيسير على الدارسين الذين كانوا بحاجة الى الحديث لاستنباط المبادىء العقيدية والأحكام الشرعية اذا عز عليهم الأمر فى الكتاب الكريم .

لذلك اتجه المدونون للحديث فى المرحلة التالية ، وهى التى نحن الآن بصددها ، الى منهج التصنيف والتبويب ، وقد بدأت هذه المرحلة فى العقد الثالث من القرن الهجرى الثانى ، أى ما بين سنة ١٢٠ و ١٣٠ هـ(١) ، أى فى

الوقت الذى كانت تحتضر فيـــه الدولة الاموية وتتحفز فيـــه للوثوب الدولة العباسية .

ويقصد (بالتصنيف) تنويع الاحاديث على حسب موضوعاتها ووضع كل نوع أو صنف منها فى فصل من الكتاب تحت عنوان يدل على موضـــوعها ، وأطلقوا على كل فصل من الكتاب المدون بهذه الطريقة اسم (كتاب) مثل كتاب الايمان وكتاب الطهارة وكتاب الصلاة وكتاب الزكاة وكتاب الصيام وكتاب الحج وكتاب البيوع وكتاب المناكحات وهكذا ، ولقد قسموا كل فصل من هذه الفصول او الكتب الى (ابواب) وجعلوا ايضا لكل باب عنوانا يدل على موضوع احاديثه، وذلك كتصنيفهم كتاب الطهارة مثلا الى باب المياه وباب الوضوء وباب الغسل وباب المســح وباب التيمم وباب الحيض ، وقد أطلقــوا على هذا التنظيم : (التبويب الفقهى) ، وذلك لأن العناوين والموضـــوعات الفقهية كانت تغلب عليها .

ويتميز هذا النوع من تدوين الحديث فى هذه المرحلة بثلاث مميزات : اولها (الترتيب المنهجى) على الوجه الذى شرحناه من الاتيـــان بالاحاديث المشتركة فى موضوع واحد معا فى فصل واحد تحت عنوان يدل على موضوعها العام ، ثم تقسيم كل فصل الى وحدات أصغر يسمى كل منها (بابا) تحت عنوان دال على موضوع الباب ايضا ، لذلك يوصف الكتاب الحديثى المدون على هذا المنهج بكونه (مصنفا) ، وحيث أن (المصنف) يهدف الى التيسير على الدارس الباحث الذى يسعى لاستنباط الاحكام ونحوها فان المؤلف لهذا النوع يروى مع الأحاديث فى كل فصل أو باب ما قد يتيسر له من أقوال الصحابة والتابعين وفتاواهم المتعلقة بالموضوع ، واخيرا يتميز (المصنف) بغزارة المادة وكثرة ما يروى به من أحاديث وآثار حيث ارتفع الحرج من تقييد العلم واشتدت الرغبة فى تسجيل ما وعته الصدور وتناقلته الالســـنة قبل أن يضيع بذهاب حفظته ، وساعد على ذلك انتشار فن الكتابة وتيسير ادواتها .

وقد سمى المؤلفون لمدوناتهم الحديثية على هذا المنهج لفظ (السنن) لاشتمال الكتاب عليها ، أو (المصنف) لتصنيف ما به وتبويبه ، أو (الجامع) أو (المجموع) لكبره وشـــموله ، أو (الموطأ) لأن ما به وطىء ومهد ويسر للطالبين .

ويقال أن عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج المــكى ، المكنى أبا خالد ، المعروف غالبا باسم (ابن جريج) المتوفى عام ١٥٠ هـ فى بغداد ، كان أول من دون مصنفا حديثيا على هذا المنهج ، وقد سماه (كتاب السنن) ، كما كان من المبكرين ايضا فى هذا النوع من الجمع والتصنيف (معمر بن راشد) المتوفى سنة ١٥٣ هـ(٢) والذى سبق أن التقينا به فى حديثنا عن اسناد صحيفة همام ابن منبه ، وقد أطلق على كتابه اسم (الجامع) .

وسوف نشرع الآن مستعينين بعونه تعالى فى وصف ثلاثة نماذج لهذه التآليف التصنيفية ، اولها كتاب (المجموع) المنسوب للامام زيد بن على زين العابدين الذى استشهد عام ١٢٢ هـ ، والذى رواه عنه تلميذه أبو خالد عمرو بن خالد الواسطى المتوفى حوالى سنة ١٥٥ هـ ، وهو اخصر الثلاثة ، ثانيها كتاب (الموطأ) لامام دار الهجرة مالك بن انس المتوفى عام ١٧٩ هـ ، وهو اشهرها ، وثالثها كتاب (المصنف) للامام عبد الرزاق بن همام الصنعانى المتوفى ســـنة ٢١١ هـ ، وهو اطولها ، وسوف نتبع ان شـــاء الله تعالى وصف كل منهـــا باختيارات من الكتاب مزيدا فى الفائدة .

(ا) المجموع الزيدى

نشأ الامام زيد الذى يروى عنه هذا المجموع فى بيت النبوة والعلم تحت رعاية ابيه الامام على زين العابدين الذى شهد صبيا مصرع ابيه الامام الحسين وكان الموت منه قاب قوسين ولكنه نجا منه بأعجوبة فقضي سائر حياته بالمدينة عاكفا على العلم والعبادة ومساعدة المساكين وذوى الحاجة ، وكان مهابا موقرا محببا الى القلوب ، وليس ادل على مكانته فى نفوس المسلمين رغم تواضعه وحسن أدبه مما حدث يوم أقبل هشام بن عبد الملك للطواف بالبيت أيام الحج ومعه حرسه وحشمه حيث كان ولى عهد الخليفة الاموى ، فقد عجز هشام بسبب الزحام ورغم الجهد عن الوصول الى الكعبة المشرفة واستلام الحجر ، فنصب له منبر فجلس عليه واستلم على بعد وحوله حاشيته ، وبينما هو كذلك راى الجموع المحتشدة تتنحى اختيارا وتفسح الطريق لقادم بدا فى شكل مليح ودنا من الحجر واستلم فى هيبة ووقار ، فأوغر ذلك صدر هشام لأنه عرف أن القادم الوقور على ابن الشهيد الحسين ، ولكنه قال استنكارا وغيظة : « من هذا ؟ » ، وتصادف أن سمعه الفرزدق الشاعر المشهور فبادر وانشد قصيدته البديعة التى مطلعها :

هذا الذى تعرف البطحاء وطاته	والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم	هذا التقى النقى الطاهر العلم
اذا رأته قريش قال قائلها :	الى مكارم هذا ينتهى الكرم
ينمى الى ذروة العز التى قصرت	عن نيلها عرب الاسلام والعجم
يكاد يمسكه عرفان راحته	ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم

هذا هو ابو صاحبنا زيد ، وفى بيته ـ بيت العلم والايمان ـ ولد زيد عام ٧٦ هـ ، وعلى يده نشأ زيد وترعرع ، وقد تعلم وحفظ وعنه روى وحكى ، حتى اذا توفى الأب ولم يكن زيد قد بلغ العشرين بعد ، واصل الدرس والتحصيل مع أخيه الاكبر الامام محمد الباقر الذى يقال عنه أنه بقر العلم ، ومع ابن أخيه الامام الصادق الذى سارت بذكره الركبان ! فى هذا الجو المبارك شب زيد ونضج على التقوى وحفظ وارتوى من فيض العلم والعرفان حتى أصبح حجة ومنارا ومثلا فى الفصاحة والبيان ، وبحرا فى الحديث وعلما فى معرفة وجوه تلاوة القرآن ، وحسبك شهادة الباقر له حيث أجاب من سأله عنه بقوله : « سألتنى عن رجل ملىء ايمانا وعلما من اطراف شعره الى قدميه ! » .

والحديث عن الامام زيد وشجاعته وادبه وشعره وجهاده ممتع وطويل ، وقد يبعدنا عن الموضوع الذى نحن بصدده ، وقد حفزته شجاعته وايمانه واستنكاره لبغى بنى أمية على قبول البيعة له بالكوفة فى عهد خلافة هشام ابن عبد الملك ، ولكنه خر صريعا فى معاركه ضد جنود الامويين عام ١٢٢ هـ ، وهو لا يزال فى مقتبل العمر ، فمثل ببدنه تمثيلا وحشيا نمسك القلم عن وصفه ، وقد زاد ذلك من كراهية الناس لبنى أمية وضاعف عطفهم على بنى على ، وقد نما مذهب زيد وأطلق عليه مذهب الزيدية ، وهو مذهب شيعى

معتدل ، ويكثر اتباعه في جنوب شبه الجزيرة ، وكان لعلماء الزيدية يد طولى فى اثراء المكتبة العربية الاسلامية .

وكان اعظم تلاميذ زيد ومريديه واكثرهم به صلة واطولهم له صـــــحبة عمرو بن خالد الواسطى المكنى بأبى خالد ، وقد روى ابو خالد هذا مجموعين عن الامام زيد ، أحدهما مجموع حديثى والآخر مجموع فقهى ، فضم احدهما الى الآخر فى كتاب واحد هو (المجموع) ، وكما يقول العلامة المحقق الشيخ محمد أبو زهرة : تحمل ابو خالد هذا المجمــــوع عن زيد « بطريق الرواية الشفوية أحيانا وبالاملاء احيانا »(٣) ويقول : « رواه ابو خالد الواسطى فيه الفقه وفيه الحديث ، فهو يشتمل على المجموعين الفقهى والحديثى »(٤) وذلك لأن أبا خالد تلقى عن الامام مجموعين ، المجموع الفقهى والمجمــوع الحديثى فرواهما أبو خالد معا كمجموع واحد مرتب ومبوب ، ويقرر الشيخ ابو زهرة أن هذا الترتيب كان من عمل الواسطى ولكن « يحتمل ان يكون التبويب قد جرى فيه بعض التغيير ، ولكننا لا نفرضــــه فرضا .. ولم يجىء فى كتب الزيديين ما يدل على هذا التغيير فى التبويب ، ولذلك لا ندعي وقوعه ولا نفرضه وانه لا تضعف الثقة فى الكتاب اذا حدث »(٥) .

وعلى هذا فالمجموع الذى بأيدينا يشــــمل ما تحمله أبو خالد عن الامام زيد من أحاديث وما تعلمه عنه من فقه واحكام ، ولكنه خلط الفقه والحديث ، فنرى الباب الواحد مشتملا على الحديث والفقه ، وهذا هو شأن المدونات (المصنفة) كما شرحنا من قبل واليك المثال التــــالى ، وهو أول (باب ذكر الوضوء) من كتاب الطهارة الذى هو اول فصول المجموع :

قال أبو خالد الواسطى :

حدثنى زيد بن على

عن أبيه على بن الحسين

عن جده الحسين بن على

عن أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهم السلام ،قال :

«رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ فغسل وجهه وذراعيه ثلاثا ثلاثا ، وتمضمض واستنشق ثلاثا ثلاثا ، ومسح رأســـه وأذنيه مرة ، وغسل قدميه ثلاثا » .

قال أبو خالد رحمه الله :

« سألت زيد بن على عليه السلام عن الرجل ينسى مسح راسه حتى يجف وضوءه ، قال عليه السلام : (يعيد مســـح رأسه ويجزئه ولا يعيـــد وضوءه) » .

وقال زيد بن على عليهما السلام :

« الاستنجاء سنة مؤكدة ، ولا يجوز تركها الا ان لا يجد الماء» .

وقال زيد بن على عليهما السلام :

« المضمضة والاستنشاق سنة ، وليس مثل الاستنجاء » .

ثم يسوق ابو خالد فى هذا الباب أثرا عن ابيه فيقول :

« حدثنى زيد بن على قال : « كان يقول أبى على بن الحسين بن على عليهم السلام : اذا ظهر البول على الحشفة فاغسله » .

وتحت عنوان (باب المسح على الخفين) يسوق ما يلى :

حدثنى زيد بن على عن أبيه عن جده عن على عليهم السلام :

« أن رسول الله صلى الله عليه وآلهوسلم مسح قبل نزول المائدة ،

فلما نزلت آية المائدة لم يمسح بعدها » .
حدثنى زيد عن أبيه عن جده الحسين عليهما السلام قال :
« انا ولد فاطمة لا نمسح على الخفين ولا عمامة ولا كمة ولا خمار ولا جهاز » .
وسألت زيدا عليه السلام عن المسافر يخاف على نفسه من الثلج ، هل يجوز له أن يمسح على خفيه ؟ قال :
« نعم ، هذا عذر مثل المسح على الجبائر ، فان استطاع الغسل لم يجزه المسح » .
ومما تجدر الاشارة اليه أن الاحاديث كلها الواردة فى (المجموع) مروية بسند واحد : زيد عن أبيه عن جده عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، فكل رواته — كما نرى — من اهل البيت ، ولا تأخذ الشيعة الا عنهم . ولكن مع أن الراوى للمجموع عن زيد — أعنى ابا خالد الواسطى — ليس من أهل البيت ، فان آل بيت زيد انفسهم قد تلقوا المجموع بالقبول ، كما تلقاه بالقبول سائر جماعة الزيدية .
ويحتوى المجموع على أربعة عشر (كتابا) ، هى كتاب الطهارة فكتاب الصلاة فكتاب الجنائز فكتاب الزكاة فكتاب الصيام فكتاب الحج فكتاب البيوع فكتاب الشركة فكتاب الشهادات فكتاب النكاح فكتاب الطلاق فكتاب الحدود فكتاب السير فكتاب الفرائض ، وقسم كل كتاب منها الى ابواب ، فكتاب الشركة مثلا يشتمل على باب الاجارة وباب الرهن وباب العارية والوديعة وباب الهبة والصدقة وباب اللقطة واللقيطة وباب جعل الآبق ، وباب الغصب والضمان ، وباب الحوالة والكفالة والضمان وباب الوكالة ، وقد طبع المجموع أخيرا باسم (مسند الامام زيد) ، ولا تعنى كلمة (المسند) هنا المعنى الاصطلاحى الذى سنشرحه ان شاء الله عند الكلام على المرحلة القادمة من مراحل تدوين الحديث ، ولعل المقصود لفظا (ما أسند) أى ما نسب الى الامام زيد أو عن طريقه ، أما تسميته بالمجموع فلما جمع به من أحاديث واقوال وفتاوى .
ويشتمل المجموع على ٢٢٨ حديثا مرفوعا الى النبى صلى الله عليه وسلم ، وعلى ٣٢٠ خبرا موقوفا على الامام على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، وخبرين مرفوعين الى الامام الحسين عليه السلام ، ويبدأ أبو خالد سند هذه الاحاديث والاخبار بقوله : (حدثنى زيد) ، أما ما يرويه عن زيد نفسه فيبدؤه بقوله : (قال زيد) ، وقد يقول : « سألت زيدا عن كذا » ويأتى بالجواب .
ونأتى هنا — كما وعدنا — بمختارات من (المجموع) لمزيد الفائدة :
حدثنى زيد عن أبيه عن جده عن على عليه السلام قال : « دخلت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم على أم سلمة رضى الله عنها فاذا نسوة فى جانب البيت يصلين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أم سلمة ، أى صلاة يصلين ؟ قالت : يارسول الله ، المكتوبة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : افلا أممتهن ؟ قالت : يا رسول الله : أويصلح ذلك ؟ قال صلى الله عليه وسلم : نعم ، تقومين وسطهن ، لا هن أمامك ولا خلفك ، ولكن عن يمينك وعن شمالك » .
حدثنى زيد عن أبيه عن جده عن على عليه السلام قال : « رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يعبث بلحيته فى الصلاة فقال : اما هذا فلو خشع قلبه لخشعت جوارحه » .
حدثنى زيد بن على عن أبيه عن جده عن على بن أبى طالب عليهم السلام قال : « اذا طهرت الحائض قبل المغرب قضت الظهر والعصر ، واذا طهرت

قبل الفجر قضت المغرب والعشاء » .

حدثنى زيد بن على عن ابيه عن جده عن على عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عودوا مرضاكم ، واشهدوا جنائزكم ، وزوروا قبور موتاكم ، فان ذلك يذكركم الآخرة » .

حدثنى زيد بن على عن أبيه عن جده عن على عليه السـلام انه قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله تعالى لا يرفع العلم بقبض يقبضه ، ولكن يقبض العلماء بعلمهم فيبقى الناس جيارى فى الارض ، فعند ذلك لا يعبأ الله بهم شيئا » .

حدثنى زيد بن على عن أبيه عن جده عن على عليه السلام قال : « نزل القرآن على أربعة أرباع ، ربع حلال ، وربع حرام ، وربع مواعظ وأمثال ، وربع قصص وأخبار » .

حدثنى زيد بن على عن أبيـه عن جده عن على عليه السلام انه قال : « من قرأ القرآن وحفظه فظن أن أحدا أوتى مثل ما أوتى فقد عظم ما حقر الله وحقر ما عظم الله تعالى » .

حدثنى زيد بن على عن ابيه عن جده عن على عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله يحب الحيى الحـليم العفيف المتعفف ، ويبغض البذئ الفاحش الملح الملحف ، الحمد لله رب العالمين حمدا كثيرا ، بسم الله الرحمن الرحيم » .

حدثنى زيد بن على عن أبيه عن جده عن على عليه السلام قال : « من قرأ فاتحة الكتاب فقال : الحمد لله رب العالمين حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه صرف الله عنه سبعين نوعا من البلاء أهونها الهم » .

حدثنى زيد بن على عن أبيه عن جده عن على عليه السلام قال : « خرجت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم من منزل رجل من الانصار عدناه فاذا هو يضرب غلاما له والغلام يقول : (أعوذ بالله ،أعوذ بالله !) كل ذلك لا يكف عنه سيده ، قال : فلما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (أعوذ برسول الله) فكف عنه الرجل ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الم تعلم أن عائذ الله أحق أن يجار ؟) ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرقاكم أرقاكم ! فانهم لم ينجروا من شجرة ، ولم ينحتوا من جبل ، أطعموهم مما تأكلون ، واسقوهم مما تشربون ، واكسوهم مما تكسون » .

حدثنى زيد بن على عن أبيه عن جده عن على عليه السـلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، الا أدلكم على شىء اذا فعلتموه تحاببتم ؟ قالوا بلى يا رسول الله ، قال : افشوا السلام بينكم وتواصلوا وتباذلوا » .

حدثنى زيد بن على عن أبيه عن جده عن على عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان افضلكم ايمانا أحسـنكم أخلاقا ، الموطئون أكنافا ، الواصلون لأرحامهم ، الباذلون لمعروفهم ، الكافون لأذاهم ، العافون عن قدرة » .

حدثنى زيد بن على عن أبيه عن جده عن على عليه السلام قال : « للمسلم على أخيه ست خصال : يعرف اسمه واسم أبيه ومنزله ، ويسأل عنه اذا غاب ، ويعوده اذا مرض ، ويجيبه اذا دعاه ، ويشمته اذا عطس » .

حدثنى زيد بن على عن أبيه عن جده عن على عليه السلام قال : « اذا

دخلت السوق فقل : « بسم الله وتوكلت على الله ولا حول ولا قوة الا بالله ، اللهم انى اعوذ بك من يمين فاجرة وصفقة خاسرة ومن شر ما احاطت به او جاءت به السوق » .

حدثنى زيد بن على عن ابيه عن جده عن على عليه السلام قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا آوى الى فراشه عند منامه اتكأ على جانبه الايمن ثم وضع يمينه تحت خده مستقبل القبلة ثم قال : « باسمك اللهم وضعت جنبى وبك أرفعه ، اللهم ان امسكت نفسى فارحمها وان أخرتها فاحفظها بما تحفظ به الصالحين » .

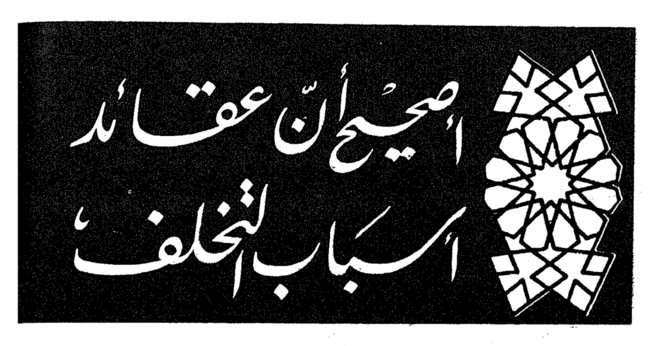
حدثنى زيد بن على عن ابيه عن جده عن على عليه السلام قال : « بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن فقلت يا رسول الله ، تبعثنى وانا شاب لا علم لى بالقضاء ؟ قال : فضرب يده فى صدرى ودعا لى ، فقال : اللهم اهد قلبه وثبت لسانه ولقنه الصواب وثبته بالقول الثابت ، ثم قال : يا على ، اذا جلس بين يديك الخصمان فلا تعجل بالقضاء بينهما حتى تسمع ما يقول الآخر ، يا على لا تقض بين اثنين وأنت غضبان ، ولا تقبل هدية مخاصم ، ولا تضفه دون خصمه ، فان الله عز وجل سيهدى قلبك ويثبت لسانك ، قال : فقال عليه السلام : فوالذى فلق الحبة وبرأ النسمة ما شككت فى قضاء بعد ! »

حدثنى زيد بن على عن أبيه عن جده عن على عليه السلام : « فى الرجل يطلق امراته فيختلفان فى متاع البيت فقضى عليه السلام فى ذلك أن ما كان يكون للرجال فهو للرجل وما كان يكون للنساء فهو للنساء ، وما كان يكون للنساء والرجال فهو بينهما نصفان ! » .

حدثنى زيد بن على عن ابيه عن جده عن على عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا نظر العبد الى زوجته ونظرت اليه نظر الله اليهما نظر رحمة ، فاذا أخذ بكفها وأخذت بكفه تساقطت ذنوبهما من خلال اصابعهما ، فاذا تغشاها حفت بهما الملائكة من الارض الى عنان السماء ، وكانت كل لذة وكل شهوة حسنات كأمثال الجبال ، فاذا حملت كان لها أجر المصلى الصائم القائم المجاهد فى سبيل الله ، فاذا وضعت لم تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين » .

حدثنى زيد بن على عن أبيه عن جده الحسين عليه السلام قال : بينما على عليه السلام بين أظهركم بالكوفة وهو يحارب معاوية بن ابى سفيان فى صحن مسجدكم هذا محتبيا بحمائل سيفه وحوله الناس محدقون به ، واقرب الناس منه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والتابعون يلونهم اذ قال له رجل من أصحابه : يا أمير المؤمنين ، صف لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنا ننظر اليه ، فانك احفظ لذلك منا ، قال : فصوب راسه ورق لذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم واغرورقت عيناه ، قال ثم رفع راسه ثم قال :

« نعم ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ابيض الوجه مشربا بحمرة ، أدعج العينين ، سبط الشعر ، دقيق العرنين ، سهل الخدين ، دقيق المشربة ، كث اللحية ، كان شعره مع شحمة اذنيه ، اذا طال كأنما عنقه ابريق فضة ، له شعر من لبته الى سرته يجرى كالقضيب ، لم يكن فى صدره ولا فى بطنه شعر غيره الا نبذات فى صدره ، شثن الكف والقدم كأنما ينقطع من صخر أو ينحدر فى صبب ، اذا التفت التفت جميعا ، لم يكن بالطويل ولا بالعاجز اللئيم ، كأنما عرقه اللؤلؤ ، ريح عرقه أطيب من المسك ، لم أر قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم ! » .



أصحيح أن عقائد أسباب التخلف

للدكتور محمد سعيد رمضان البوطى

قرأت مقالا فى مجلة سيارة ، يحلل فيه كاتبه أسباب التخلف عند المسلمين ، ويتلمس أهم المعوقات التى أخرتهم فى سباق الانتاج عن اللحاق بغيرهم .

لقد كان من أهم أسباب ذلك فى نظر كاتب المقال ، تلك الآثار الباقية من الدين وغيبياته عندهم ، وتلك العقيدة التى تنسب كل شىء الى الخالق !!

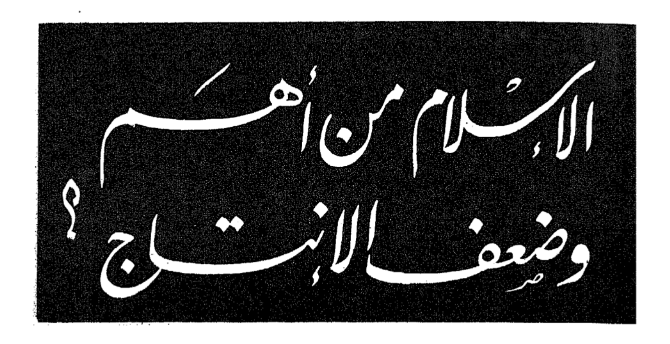
والحقيقة ان ربط التخلف بالدين ، قد غدا عند كثير من الكتاب العرب ، حركة آلية فى سير تفكيرهم ، تماما كآلية تصور ارتباط الطعام بقرع الجرس عند الكلاب التى أجرى عليها بافلوف نظريته المشهورة عن رد الفعل الشرطى .

فمهما انحسر سلطان الدين (الذى هو الاسلام فى هذا المقام) عن مجتمعنا العربى وابتعد الناس عن سبيله وقيوده . ومهما ابتعد عنهم محصورا فى مخزن التاريخ ، منزويا فى مغربه الحضارى — فان هؤلاء الكاتبين يظلون يلصقون به جريرة تخلفهم كلما سئلوا عن أسبابه أو كلما تظاهروا بالنهوض لمعالجته والثورة عليه .

والتخلف كلمة تشمل كل مظاهر الضعف أو الجهل أو الفقر فى حياة الأمة . فهى اذا تنحط على تفرق المسلمين وتدابرهم ، وعلى استلاب اليهود لأراضيهم ، وعلى جمود الحركة العلمية فى حياتهم ، وقعودهم عن تسخير ما فى الأرض لمعاشهم .

يزعم هؤلاء الباحثون اذا ، بأن من أهم ما يمنع وحدة العرب اليوم بقايا الايمان بالدين وغيبياته فى حياتهم ، ومن أهم ما يمنعهم من رد عدوان اليهود بقايا هذا الدين أيضا ، ومن أهم ما يكملهم عن الانطلاق فى آفاق المعرفة بقايا هذا الدين نفسه ، ومن أهم ما يقعدهم عن السبق الاقتصادى وكثرة الانتاج بقايا هذا الدين ذاته !

ويعلم هؤلاء الباحثون ، كما يعلم



غيرهم ، أن هذه الأمة كانت فيما مضى خاضعة خضوعا تاما لسلطان الاسلام ، فحكمها ينبثق عن قانونه ، ومجتمعها قائم على نظامه ، واخلاقها مستلهمة من روحه . وكان ذلك فيما اجمع عليه الباحثون هو سر اتحادها بعد تفرق ، وقوتها بعد ضعف وغناها بعد فقر .

فكيف ينعكس الأمر ، ويصبح ما كان سببا للوحدة والقوة والتقدم بالأمس ، سببا للفرقة والضعف والتخلف اليوم ؟ ..

ومع ذلك ، فلو أن من نسميهم اليوم مسلمين لا يزالون يحتكمون الى الاسلام في قانونه ونظامه واخلاقه ، لأقررنا بالتناقض تحت سلطان الواقع ولقلنا — والعجب يملأ كياننا — ان الاسلام على ما يبدو ذو أثرين متناقضين !! ..

ولكن من نسميهم اليوم بالمسلمين ، بعيدون عن الاسلام بمقدار ما كان أسلافهم قريبين منه متعلقين به .

فأين هو مكان العتب على دين تراجع سلطانه عن الحكم ونظامه ، وتقلص ظله عن المجتمع وأخلاقه ، ولم يعد أكثر من شعارات في المساجد وكلمات تردد في المحافل ؟ ..

ولئن كان ثمة بقية قليلة من المسلمين الذين لا يزالون على وفاء مع اسلامهم ، فانهم على كل حال يقفون — طوعا أو كرها — بعيدا عن طريق المتقدمين والمتوثبين الى الاصلاح ، لم يقف واحد منهم يوما ما عثرة في سبيل وحدة ، ولم يصد عن طريق قوة ، ولا سعى الى اجهاض مصنع .

الجنس البشري الثالث :

لم يقل واحد منهم لقطعان الكسالى سمار النوادي ، ونوام الضحى ، المتثائبين بين كل يقظة ونوم : اياكم ان تبرحوا نواديكم التي تعابثون فيها الحياة ، لتسلكوا سبيل غيركم في علم يرفع لكم شأنا أو يثمر لكم مصنعا

أو ينهضكم الى سبيل مع الآخرين فى ارتياد الفضاء .

أجل .. ولم يعمد أى واحد منهم الى جيش هـــذا الجنس البشرى الثالث ، الذى لم يعد يفهم الدنيا الا على انها ليلة حمراء وفتاة حسناء ، ولم يعد يذكر لأمته تاريخا ، ولا يؤرقه عليها مصير ، ولا يشاركها فى ألم ، ليقول لأحدهم : استمر كما أنت ، نائما فى أرجوحة الأحلام ، ولا توقظنك غيرة على وطن ، أو حرقة على اصلاح فانما انت كما قال الشاعر :

دع المكارم لا ترحـــل لبغيتهـــا
واقعد فانك انت الطاعم الكاسى

ولم يتقدم واحد منهم الى أى فرد من هؤلاء الذين يتبرمون بالتخـــلف ومظـــاهره ، ويطمحون الى التقدم واسبابه ، ويلومون فى سبيل ذلـــك الدين والمتدينين والمؤمنين بخالقيـــة الخالق ، ليغلله فى الأصفاد ، ويشده الى قاع التخلف حيث الفقر والجوع والجهل وقلة الانتاج ! ..

إنهم جميعا يتحركون كما يشاءون ، ويتجهون الى حيث يريدون ، الميدان ميدانهم ، والساحة فارغة أمامهم ، والعدو ــ أيا كان ــ مكشوف تحت أبصارهم . فلماذا كل هذه الضجـــة الراكدة فى أرضها ، والنزق الـــذى لا يتحرك من مكانـــــه ، والصراخ المتلاحق بدون موجب : اتركنى عليهم .. اتركنى عليهم ؟؟ !! .

لو كان بهذه البقية القليلـــــة من المسلمين الأوفياء لدينهم ، بقية طاقة للوقوف عقبة فى وجه شىء ، لوقفوا عقبة فى وجه هذا الكسل الماجن الذى تحتضنه الملاهى الى لمعة الصباح ، ثم يستقبله النوم الثقيل الى وهج الضحى بل لوقفوا عقبة فى سبيل هذه الأحلام الداعرة التى التفت على كينـــونة الجمهرة الكبرى من شباب هذه الأمة ، نفسية وعقلا وتفكيرا . بل لوقفـــوا عقبة فى طريق نفاق يصطنع الحرقة على الأمة والوطن والمصير ظاهرا ، وينصرف الى اقتطاف ثمار هـــذه (الحرقة) مكاسب وارباحا . باطنا .

ولكن هذه البقية المسلمة ليس لها من الأمر شىء .. ليس لها من الأمر شىء فى اصلاح هذا الفساد ، أفيكون لها الأمر كلــــه فى افساد ذلـــك الصلاح ؟ ..

حقيقة التهمة :

اذا فما هى حقيقة هذه التهمة ؟

حقيقتها أن الخـــائب الذى يغص بالاعتراف بخيبته ، يشتهى أن يلحق بغيره التهمة ويعـــوض عن خذلانـــه بجعجعة فارغة : اتركنى عليهم !!

والا ، فما من عاقل ذى نصيب ما من الثقافة والبحث ، الا وهو يعـــلم ان أى أمة من الأمم الناهضة والمتقدمة لم تكلفها نهضتها أن تنبذ دينهـــا أو تاريخها أو شـــيئا من عاداتهـــا وتقاليدها ، أيا كان مستوى ذلك كله .

لقد نهضت اليابان واخذت تنافس اليوم كبرى الدول الأوروبية فى شتى ميادين الصناعة والعلم ، فهل كلفها ذلك أن تتجرد عن شىء من طقوسها الدينية أو مقدساتها التاريخية أو أن تهجر شيئا من معابدها ، أو تجحـــد شيئا من غيبياتها ؟ .. بل هل تستطيع لدى المقارنة بين اليابان كما هى اليوم واليابان منذ مائة عام ، أن تقول انها اليوم أشد تحررا من الدين وغيبياته التى كانت منقادة لها بالأمس ؟ ..

يقول احد الصحفيين الاوربيين فى حديث له عن اليابان ونهضتها :

(ان ظفر اليابان بالصين لم يثبت علو الافكار والمبادىء العلمية التى اخذتها اليابان عن الغرب وكفى ، بل اثبت أمرا آخر ، وهو أن شعبـــا آسيويا بمجرد ارادته وعزيمته عرف أن يختار ما رآه الأصلح له من مدنية

الغرب ، مع الاحتفاظ باستقـــلاله وقوميته وعقليته وآدابه وثقافته) .

ولقد تبوأت أوربـــا مركزهـــا الحضاري الجديد في العالم، دون أن يحملها ذلك على أن تتنكر لمسيحيتها او تتساهل في شيء من تقاليدهـــا وموروثاتها الدينية ، أو تجحد شيئا من غيبيات تلـك التقاليـد . بل ان بريطانيا ــ وقد كانت ولا تزال عنوانا من ابرز عناوين النهضة الاوربية ــ لا تفخر بشيء من علومها وصناعاتها كما تفخر بعتيق عاداتها وتقاليدهـــا والمحافظة على موروثاتها .

واليهود الذين يحتلـون فلسطين وبعضا مما حولها ، لا يشك احد في انصرافهم الكـلي الى العلـــوم والصناعات ، ولا يشك احد في أنهم يحاربوننا بسلاح العلم والتنظيم أكثر مما يحاربوننا بسلاح من القوة العارية ومع ذلك فهل يجهل أدنى مثقف من الناس أن جميع نشاطاتهم هذه انمـا تنمو عندهم في تربة الدين واحضانه ؟

أفتكون هذه الأديان التقليديـة ، عونا عند اربابها على التقدم الحضاري وكثرة الانتاج . ثم يكون الاسلام (وهو الدين الذي ينهض وجوده على دعائم العلم وينبذ كل اســطورة وتقليد) هو وحده من بين الأديان جميعا سببا في التخلف وعثرة في طريق التقدم ومعوقا عن الانتاج ؟!

هل في العقلاء الأحرار من يستعد أن يبيع عقله ليعتنق هـــذا المنطق المعكوس ؟

. . . .

انا اعلم أن ارباب هـــذا الزعم العجيب قد يبادرونني قائلين :

وهل اوقف عجلة التقدم الاقتصادي عندنا غير الاسلام: عندما حرم الربا؟

وهل اوقف عجلة التقدم العلمي والاجتماعي والاقتصـــادي معا غير الاسلام ، عندما فرض على المراة الحجاب وحرم عليها الاختلاط ؟ .

واقول في الجواب على هـــذا الـــكلام الذي غدا باليا من كثرة التكرار :

اولا : ها انتم اولاء تحرمون الربا ، وتفسحون له في حياتكم الاقتصادية سبيلا عريضا تغلغل منه الى سائـر وجوه المعاملات . ومع ذلك فانه لم يساعدكم في تحقيق أي تقدم تحلمون به ولا في تخليصكم من أي تخـلف تضجون منه . . فهل جربتم في مقابل ذلك ما ينادي به الاســلام من ترك الربا ، وسرتم في اعمالكم الاقتصادية ذاتها ــ ولو عاما واحـدا ــ ضمن هذه التجربة ، ولمستم النتيجة السيئة ليصح لكم أن تقولوا : لقـــد جربنا نصيحة الاسلام فوقعنـــا في شر من التخلف الذي كنا نعانيه ؟

بل استغفر الله ، ما هكذا ينبغي ان اقول .

انسيتم تجربة بنوك الادخار ، يوم قام بها العالم الاقتصـــادي المنصف المتحرق حقا على امته ووطنه ، والمتالم حقا من التخلف وأسبابه ، في منطقة ميت غمر بمصر ؟ . . بنوك قائمة على احدث وجوه النشاطات الاقتصادية ، طاهرة مطهرة عن رجس الفائـــدة والربا ، حيث تحقق لها من النجـــاح العجيب في اقـــل من سنتين ما استقطب ثقة الأمة وحـرك دولابا اقتصاديا خطيرا خلف كثيرا من البنوك المحيطة بها الى الوراء ، واستيقظ الناس من هذا الفتح الكبير على آمال يرونها مرسومة امامهم في منهــــاج علمي سليم ، يحقق لأول مرة أكبر حلم يراود هذه الأمة المسلمة ، منذ أن استحالت عزتها الى احلام . . لقد راوا باعينهم سبيل التخلص من تبعية الاسترليني والدولار . . والوصول من

ورائه الى حقيقة الاستقلال الاقتصادى الذى طالما هتف به (كلاما فارغا) تجار المناصب والأهواء ، استقلال يظلله ويرعاه الدينار الاسلامى ، من وراء تطبيق منهاج لبعث اقتصاد علمى دقيق ، يخضع لقانون الله ، وينسجم مع تطور الحياة ، ويتحرر من سجن اليهودية العالمية الكبير .

فلماذا وقف هذا المشروع ثم اختنق مع العلم بأنه انطلق منذ يوم وجوده يسير فوق أرفع ذروة من ذرى النجاح ؟ ! ..

بل ينبغى أن أكون دقيقا فى التعبير فأقول : لماذا أوقف هذا المشروع ثم خنق ؟ !

سلوا الرجل الذى خنقه بعد نجاحه (وهو حى يرزق) لماذا خنقه ؟ .. ولماذا أصر اصراره العجيب على أن لا يترك المشروع يواصل سيره الا اذا خضع لقانون الفائدة ؟ ! .

لقد سلكتم الى التقدم والازدهار الاقتصادى كل سبيل يعجبكم فما انتهى بكم السبيل الا الى مزيد من التخلف والضعف .

وسلك صاحب هذا المشروع الى الغاية نفسها سبيل الخالق الحكيم فحقق العجيب من الوان النجاح خلال عامين فقط (وسجلات الحساب والأرباح لا تزال محفوظة) ثم جاء منكم من أسرع هائجا واغلق عليه ثم الطريق .. فمن الذى يكرس أسباب التخلف ويقف فى وجه التقدم ؟ .

. . . .

ثانيا : فى اى قرآن أو سنة رأيتم أن الحجاب الذى فرضه الله قانونا على المرأة المسلمة ، انما يعنى اثقالا من الجمود تحت كلكل الماضى ، وانحباسا عن المجتمع فى كهوف العزلة ؟ .. والى أى دليل أو شبهة دليل استندتم فى الربط بين حشمة المرأة كما يأمر به الاسلام ومظاهر الجهل والسخف والتخلف التى يندد بها الاسلام ؟ ..

بل أقول : من اين لكم هذا التلازم المختلق بين أن تبرز المرأة عارية الجسم والمفاتن - وأن تنطلق فى دنيا العلم والثقافة والتصنيع ؟

ها هى ذى الشوارع والأسواق ، قد فاضت كما تحبون بالعاريات صنوفا والوانا ، وها هى دوائر الموظفين قد امتلأت بهن حتى لم تعد تتسع لمزيد ، فأى قيد من قيود التخلف حطمتموه .. ؟ وأى كسب من اكساب التقدم حققتموه .. ؟

اللهم الا أن جاء من يقول لنا من فوق سور المنطق والعقل : ان ظهور المرأة بهذا الشكل فى الشوارع والدوائر هو عين التقدم المطلوب ، فهو غاية بذاتها وليس وسيلة الى غيرها .

ونقول لهؤلاء : فاهنؤوا اذا بأنكم تقفون فى مصاف الدول المتقدمة الكبرى ، وكفاكم حديثا عن التخلف وتأففا عن الفقر والجهل والضعف ، فان ذلك كله ليس الا وهما تتخيلونه .. وحسبكم ان قارنتم أنفسكم بالمتقدمين أن تعلموا بأن نساءكم قد غدون نهودا ، مع الرجال فى كل ناد ودائرة وملتقى ، أكثر مما قد يكون ذلك لدى اى أمة من الأمم المتقدمة الأخرى ..

فأما اذا أردنا أن نعود فنخاطب العقلاء ، فانا نتابع الحديث فنقول :

سلوا الفتيات اللائى جربن حشمة الاسلام وحجاب القرآن ، هل منعهن ذلك من متابعة درس فى كتاب ، أو مواظبة حضور فى الجامعة ، أو هل صدهن ذلك عن القيام بأى عمل

انسانى سليم ، تستهدف منه الغاية ولا يستغل من أجل خدعة أو اثارة فتنة ؟ .. أو هن أثقلهن الحجاب عن ممارسة اى نشاط اجتماعى يبتغى من ورائه احقاق حق او ابطال باطل أو معونة ضعيف .. ؟

اننا نعلم ، كما يعلم كل منصف ، ان فتياتنا المتحجبات الجامعيات ، هن الصفوة الأولى فى النجاح وقوة الدراية وسلامة الوعى فى أى فرع من فروع الدراسة والعلم .. وأننا نعلم ، كما يعلم كل منصف ، أن فى فتياتنا المتحجبات من تمارس النشاط الاجتماعى فى سبيل امتها صنوفا ، والوانا ، بصدق وحزم واخلاص وعلى مستوى من الاهتمام لا تلفه أى واحدة من هؤلاء اللائى ينفقن أيام حياتهن على النظر فى أعطافهن وتمهد زينتهن .

اجل .. لقد امتنعت المرأة المسلمة من ان تعرض جسمها للرجل حتى ولو كان طبيبا . ولكنها لم تغلق الباب على نفسها لتعرض جسمها ، بدلا منه على الموت وأسبابه ، وانما انطلقت تدرس الطب كما يدرسه الرجل وعادت فأخرجت لأخواتها مستشفيات تنهض على احدث وسائل الرعاية والعلاج ، تشرف عليها نساء مسلمات يحملن أعلى درجات العلم والاختصاص .

نعم .. ولقد امتنعت المرأة المسلمة عن أن تستعين بفن الرجل فى الميكانيك وقيادة السيارة ، فيما قد يحوجها نشاطها الانسانى ، ولكنها لم ترتد بذلك على اعقابها ، ولم تطو شيئا من منهاج نشاطها ، بل اختصت هى الأخرى بالميكانيك وتعلمت قيادة السيارة وفن صيانتها ، ثم عادت وقد حققت مبدأ الاكتفاء الذاتى فى المدارس التى ترعاها والمستشفيات التى تديرها وهكذا تجسد تكامل الدين والدنيا (وهذا هو الاسلام) فى مظهر امرأة مسلمة متحجبة تقود سيارة الاطفال ، وتسعف جرحى الحرب ، وتطبب المرضى ، وتعلم الجهال . دون أن تتعثر فى طريق شىء من ذلك بحجابها المحتشم أو دينها القويم أو خوفها من الفاطر الحكيم(١) .

هذا كله على حين لم يتجسد النشاط الانسانى — فى غالب الأحيان — عند الأخريات ، الا فى عرض مزيد من المفاتن ، واتقان مزيد من فن الاتيكيت ، ومزيد من فن الجلوس فى الصالونات .. تلك هى الفتاة الاجتماعية الصالحة ، كما يروق للمتألمين من التخلف ، العاكفين فى هم منقطع النظير ، على معالجته ودراسة أسبابه .. !!

*** *** ***

اطلت ذيل هذا الكلام ، وانما اردت ان اجعله مقدمة بين يدى اصل الموضوع وهو البحث فى أمرين اثنين :

أولهما : هذا الذى ينسبوننا اليه بتسميتنا : (غيبيين) ما هو الغيبى من الأشياء ؟ .. وهل كل غيبى وهم ؟ .. وهل فى العقلاء من لا يصدق غيبا فى حياته ؟

ثانيهما : ما هى حقيقة أسباب التخلف الاقتصادى وغيره ، كما هو واقع فى نفس الأمر ، لا كما تشتهيه نفوس أصحاب الأمانى ؟

وموعدنا فى معالجة ذلك لقاء فى عدد قادم ان شاء الله .

---

(١) ليس هذا خيالا نتمناه ، بل هو واقع معروف نخبر عنه .

رسالة الإسلام .. ونسخها للرسالات السابقة

للأستاذ : عبد الكريم الخطيب

١ ـــ من الحقائق التى ينطق بها كتاب الاسلام « القرآن الكريم » ويؤمن بها المسلمون ويعتقدونها ، ان الاسلام هو الدين الذى يرث الأديان السماوية التى سبقته ، ويحتوى حقائقها جميعها ، ويهيمن عليها ، إذ كان الإسلام خاتم الديانات ، فلا دين بعده ، وإذ كان رسوله خاتم النبيين ، فلا نبىّ بعد نبوته ، ولا رسالة بعد رسالته .. يقول الله تعالى : **إن الدين عند الله الإسلام** » (١٩ : آل عمران) ويقول سبحانه : « **ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ، وهو فى الآخرة من الخاسرين** » (٨٥ : آل عمران) ..

ومن هنا كانت دعوة الاسلام عامة للناس جميعا ، على اختلاف ألسنتهم والوانهم واجناسهم واوطانهم ، على امتداد المكان والزمان ، الى يوم الدين .. فمن بلغته دعوة الاسلام بلاغا يكشف له عن وجهه ، ويبين له مضمونه ، ثم لم يؤمن بهذه الدعوة ، ويدخل فى دين الله ، ويأخذ نفسه بشريعته ، فهو من الكافرين ..

يقول ابن تيمية رحمه الله : « ومما يجب ان يعلم ، هو أن الله تعالى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم الى جميع الإنس والجن ، فلم يبق إنسىّ ولا جنىّ الا وجب عليه الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ، واتباعه .. فعليه أن يصدقه فيما أخبر ، ويطيعه فيما امر ، ومن قامت عليه الحجة برسالته ، ثم لم يؤمن به فهو كافر ، إنسيا كان أو جنيا » (١) .

فالرسول ـــ صلوات الله وسلامه عليه ـــ هو رسول الله الى الثقلين

عامة ، والى الناس خاصة ، يقول الله تعالى : ((**قل يايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا ، الذى له ملك السموات والأرض ، لا إله الا هو يحيى ويميت، فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى ، الذي يؤمن بالله وكلماته ، واتبعوه لعلكم تهتدون**)) (١٥٨ : الأعراف) ويقول جلّ شأنه : ((**وأرسلناك للناس رسولا**)) (٧٩ : النساء) . ويقول تبارك اسمه : ((**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**)) (١٠٧ : الأنبياء) ويقول سبحانه : ((**وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون**)) (٢٨ : سبأ) .

ومن هنا ، فانه لا حجة لأهل الكتاب ـــ من اليهود والنصارى ـــ بانهم على دين سماوى من عند الله . . وعلى فرض التسليم بما يزعمون من أنهم لم يغيروا ولم يبدلوا فيما بين أيديهم من التوراة والانجيل ، وقد سجل القرآن الكريم عليهم بطلان هذا الزعم ، وانهم قد احدثوا فى الكتابين الكريمين من التحريف ، والتبديل ، وفساد التأويل ما غير وجه الحق الذى فيهما ـــ نقول على فرض التسليم بما زعموا ، فانهم محجوجون بما يعلمون من كتبهم ، وما فيها من بشارات بظهور هذا النبى الأمىّ ، كما يقول تعالى عن اليهود : ((**ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم ، وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به، فلعنة الله علىالكافرين**)) (٨٩: البقرة) . . ويقول جلّ شأنه فى اليهود أيضا : ((**ولما جاءهم رسول من عند الله مُصدقٌ لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم ، كانهم لا يعلمون**)) (١٠١ : البقرة) . ويقول سبحانه عن اتباع المسيح ، على لسان المسيح : ((**وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل انى رسول الله اليكم ، مصدقاً لما بين يديّ من التوراة ، ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد ، فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحرٌ مبين ، ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب ، وهو يدعى الى الاسلام ، والله لا يهدى القوم الظالمين**)) (٦ و ٧ : الصف) .

٢ ـــ ثم إنه من جهة أخرى ، اذا كانت دعوة الاسلام دعوة جامعة للإنس والجن ، فان من مفهوم ذلك أن تكون رسالة الرسول ـــ صلوات الله وسلامه عليه ـــ فى مواجهة الإنس أولا ، ثم فى مواجهة الجن ثانيا ، بمعنى ان يواجه الرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ بدعوته الناس جميعا ، ثم بعد أن يبلى بلاءه معهم يتجه الى العالم الثانى المقابل للإنس ، وهو عالم الجن ، وهذا ما حدث فى مسيرة الدعوة الاسلامية ، فان الرسول الكريم بدأ دعوته فى مكة ، التى واجه فيها المشركين الذينيمثلون بشركهم وعنادهم ، الشرك والعناد فى جميع صورهما ، وقد ظل الرسول ـــ صلوات الله وسلامه عليه ـــ فى هذا الموقف أكثر من عشر سنوات ، ثم كان استماع الجن الى ما يتلو من آيات الله ، وهو عائد من الطائف ، بعد أن ذهب الى أهل ثقيف ، لعله قد يجد منهم ما لم يجده منأهل مكة من الاستجابة لدعوته ، فكان موقفهم من تلك الدعوة أكثر إمعانا فى العناد والضلال من موقف قريش ، فانصرف النبى الكريم عنهم ، عائدا الىمكة ، وفى الطريق نزل بمكان يعرف بوادى نخلة ، وبات هناك ليلة مع مولاه زيد بن حارثة ، يرتل آيات الله ، وقد أقبل نفرٌ من الجن على هذه التلاوة يستمعون اليها ، ثم لم يلبثوا أن يؤمنوا بما سمعوا ، وان يدخلوا فى دين الله ، وان يكونوا حملة تلك الدعوة الى قومهم . . كلّ ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعلم بما حدث ، حتى تلقى ما أوحى

اليه من ربه فى قوله تعالى : ((**وإذ صرفنا اليـك نفرا من الجن يستمعون القرآن ، فلما حضروه قالوا أنصتوا ، فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين ، قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه ، يهدى الى الحق والى طريق مستقيم .. يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم**)) (٢٩ — ٣١ : الاحقاف) .

يقول ابن تيمية — رحمه الله — : « ومحمد صلى الله عليه وسلم مبعوث الى الثقلين باتفاق المسلمين ، وقد استمعت الجن القرآن ، وولوا الى قومهم منذرين » (٢) .. وفى القرآن الكريم سورة سميت باسم الجن ، وقد بدئت بقوله تعالى : ((**قل أوحى إلىّ أنه استمع نفرٌ من الجن ، فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبـــا**)) .

٣ — ومن جهة ثالثة ، فان القرآن الكريم تحدى فى اكثر من آية ، ايا من الناس ، متفرقين او مجتمعين أن يأتوا بسورة من مثل القرآن ، او بعشر سور ، حتى يكون مجال الاختيار متسعا امامهم ، فقال تعالى : ((**وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا ، فأتوا بسورة من مثله ، وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين ، فان لم تفعلوا ، ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة ، أعدت للــكافرين**)) (٢٣ و ٢٤ : البقرة) ويقول سبحانه : ((**أم يقولون افتراه ، قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين ، بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله**)) (٣٨ و ٣٩ : يونس) . ويقول جل شأنه : ((**أم يقولون افتراه ، قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات ، وادعوا من استطعتم من دون الله ، ان كنتم صادقين**)) (١٣ : هود) .. ثم بعد أن تقوم الحجـــة بالاعجـــاز على الناس اجمعين ، ويبلسوا امام هذا التحدى مرة ، ومرة ، ومرة ، يُدعى عالم الجن معهم ، ليأخذ مكانه بينهم فى موقف التحدى ، اذ يقول سبحانه : ((**قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن ، لا يأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا**)) (٨٨ : الإسراء) .

والتحدى بالمعجزة التى بين ايدى الرسل — عليهم السلام — انما تكون فى مواجهة من يدعون الى الايمان بالرسول الذى يحمل تلك المعجزة ، وذلك فى محيط قومه الذين جاء اليهم .. فهؤلاء قوم نوح يتحدون نبيهم ان يأتيهم بالعذاب الذى تهددهم به إن لم يؤمنوا ، فانه ان فعل ذلك كان صادقا فيما يدعيه من أنه رسول من عند الله ، والا فهو عندهم على الوصف الذى وصفوه به من الكذب والافتراء : ((**قالوا يا نوح ، قد جادلتنا فأكثرت جدالنا ، فأتنا بما تعدِنا إن كنت من الصــــادقين .. قال انما يأتيكم به الله ان شاء ومـــا انتم بمعجزين**)) (٣٢ و ٣٣ : هود) وهذا صالح — عليه السلام — يقول لقومه ، وهو يقدم بين يديه الآية المعجزة الدالة على صدقه ، بعد ان لجوا فى عنادهم وتكذيبهم له : ((**ويا قوم ، هذه ناقة الله لكم آية ، فذروها تأكل فى أرض الله ، ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب**)) (٦٤ : هود) وموسى عليه السلام يُرى قومه من آيات الله ، ما كانت تفعل العصا فى يده من انقلابها حيـــة تسعى ، ومن فرق البحر بها ، ومن تفجير الماء من الصخر يضربه بها .. وعيسى — عليه السلام — يجىء الى قومه ، بنى اسرائيل بالآيات البينات ، كما يقول سبحانه : ((**ورسولا الى بنى اسرائيل انى قد جئتكم بآية من ربكم ، انى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير ، فأنفخ فيـــه فيكـــون طيرا باذن الله ، وأبرىء الاكمه والأبرص وأحيى الموتى باذن الله ، وأنبئكم بما تأكلون ومـــا**

تدخرون فى بيوتكم ان فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين » (٤٩ : آل عمران) .

هذه هى معجزات الرسل ــ قبل معجزة خاتم النبيين وهى القرآن ــ مقصورة على جماعة من الناس بأعيانهم وأزمانهم ، تتحداهم وتقيم الحجة عليهم ..

فاذا كان التحدى بالقرآن الكريم تحديا للانس والجن ، وعلى امتداد الزمان ، فان منطق هذا التحدى هو أن يكون الإنس والجن مدعووين جميعا الى ما يدعو اليه الرسول الذى بين يديه تلك المعجزة .. فمن استجاب لتلك الدعوة فهو من المؤمنين ، ومن أبى ، فهو من الكافرين ، ولا ثالث بعد هذين الأمرين .. فاما إيمان فيه سلامة ونجاة ، واما كفر فيه بلاء وهلاك ..

٤ ــ ثم إنه لكى يستقيم هذا المعنى ، ويصدق هذا الحكم ، لا بد من ان تكون طبيعة هذه المعجزة المحمدية بحيث تسع الناس جميعا ، فى اى مكان واى زمان ، وبحيث يستطيع كل انسان أن يجدها حيث يطلبها ، وان ينظر فيها بنفسه ، وان يرجع فيها الى عقله ، بحيث يشهد منها الدليل القائم على صدق الرسول ، وصدق ما يدعو اليه .

فهل فى المعجزة القرآنية ما يحقق هذه المعانى على تلك الصورة ؟

ونعم ، فان من تدبير الحكيم العليم ، لإقامة هذه المعجزة حجة على الناس جميعا الى يوم القيامة ــ أن جعلها سبحانه معجزة فى كلمات من كلماته سبحانه ، تخاطب العقل الإنسانى فى أدنى مستوياته الى اعلاها ، وأنها تضع هذا العقل أمام اختبار يسلمه دائما الى العجز بين يدى هذه المعجزات من آيات الله وكلماته .. وانه ما دام مع الانسان عقل ، فانه مدعو الى مواجهة هذه المعجزة أو المعجزات ، ومطالب بالتسليم لها بعد ان يستبين له موقع الإعجاز منها ، والا كان مكابرا معاندا ، يلقى جزاء المكابرين المعاندين

٥ ــ وليس إعجاز القرآن وجها واحدا من حيث بلاغته وفصاحته التى اعجزت العرب ، لأول آيات نزلت من الكتاب الكريم ، بل ان البلاغة والبيان ، وعلو الأسلوب عن قدرة أبلغ البلغاء وابين الابيناء ، ليس الا وجها واحدا من وجوه النظم القرآنى ، الذى تقوم معه وجوه أخرى كثيرة للاعجاز .. منها مقررات الشريعة التى حملها كتاب الله الكريم فى أحكامها التأديبية للخارجين على حدود الله ، أو الخارجين على ناموس المجتمع ، وذلك فيما فرضت الشريعة من حدود فى القتل ، والزنا ، والسرقة ، وقذف المحصنات ، والإفساد فى الأرض ، كما يقول سبحانه : **« إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ، ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف ، أو ينفوا من الارض .. ذلك لهم خزى فى الدنيا ، ولهم فى الآخرة عذاب عظيم ، الا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم ، فاعلموا أن الله غفور رحيم »** (٣٣ و ٣٤ : المائدة) .. ثم من وجوه الاعجاز ايضا ما قررته الشريعة الاسلامية فى الاموال ، كسبا وانفاقا ، وفى المعاملات بيعا وشراء ، وفى الدين ، والربا ، وفى المواريث ، والزكاة ، والصدقات .. ثم من وجوه الاعجاز فى التشريع ما جاء فى الزواج واحكامه ، وما لحقوق كل من الزوجين على الآخر ، وما للمولودين من حقوق على الوالدين ، من نفقة ، وارضاع ، وتربية ، وما للوالدين على الأولاد من طاعة وبر واحسان .. ثم ما يعرض للأسرة من عوارض بشرية تقتضى الطلاق ، أو التعدد ، مما يدفع به شر أعظم واخطر من اى شر ، حيث يحمى بذلك الأسرة من الانحلال ، والتفسخ والضياع ..

ثم قبل هذا كله ما جاءت به الشريعة الاسلامية فى التعرف على الله ، والتعريف به ، ووصفه الوصف الحق ، الذى لم تبلغه عقول الفلاسفة ، ولم تهتد اليه خطرات الكهان والرهبان . .

كل هذا ، وكثير غيره مما حمله كتاب الله من شريعة الله ، يمكن نقله الى اية لغة ، حيث يرى الناظر فيها من دقة الأحكام ، وروعة التشريع ، ووفائه بجميع متطلبات الحياة الروحية ، والعقلية ، والمادية ، على اكمل واحكم مـــا تتطلع اليه الانسانية فى أعلى مستوى تبلغه ، الأمر الذى عجزت عنه القوانين والأحكام الوضعية التى لا تثبت على حال ، ولا تستقر على وجه ، ولا تقيم الناس على سلام ، ولهذا تتبدل وتتغير يوما بعد يوم وكلما أصلح منها عيب بدت عيوب ، قد جرى عليها الاصلاح من قبل ولم يغن شيئا .

٦ ــ فاذا نظرنا الى اليهود والنصارى ، من أهل الكتاب ، كان شأنهم مع الدعوة الاسلامية ، شأن الناس جميعا ممن هم ليسوا على دين سماوى . .

ذلك أن اهل الكتاب ، هم على دين وعلى شريعة ، الى أن جاء النبى الأمى ــ صلوات الله وسلامه عليه ، للناس كافة ، حيث كان مبعثه ، وكانت رسالته ، وكانت شريعته ــ رحمة للناس جميعا ، ومنهم أهل الكتاب . .

ومن محامل الرسالة الاسلامية من رحمة الى أهل الكتاب ، انها جاءت لتحمل عنهم ما أخذهم الله تعالى به من نكال وبلاء فى شريعتهم التى شرعها لهم ، وذلك لما كان منهم من إعنات لرسلهم ، ومكر بآيات الله ، وكفر بآلائه، حتى بلغ بهم ذلك حد العدوان على رسل الله المبعوثين اليهم بالرحمة ، فقتلوا كثيرا منهم ، كما يقول سبحانه عن اليهود : **« ولقد آتينا موسى الكتاب وقفّينا من بعده بالرسل ، وآتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس ، أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ، ففريقا كذبتم وفريقا تقتــلون »** (٨٧ : البقــرة) .

ومن أجل هذا جاءت شريعة الله لليهود ــ وهى شريعة المســيحيين جميعـــا (٣) ــ تحمل اليهم الوانا من الابتـلاء ، والإعنات ، جـزاء بغيهم وعدوانهم ، يقول الله تعالى : **« فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم ، وبصدهم عن سبيل الله كثيرا ، وأخذهم الربا وقد نهوا عنــه ، وأكلهم امـــوال الناس بالبـــاطل ، وأعتــدنا للكافرين منهم عــذابا اليما »** (١٦٠ و ١٦١ : النساء) . . ويقول سبحانه : **« وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر ، ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما أو الحــوايا أو ما اختلط بعظم ، ذلك جزيناهم ببغيهـم ، وانا لصــادقون »** (١٤٦ : الأنعام) . . ويقول جل شأنه : **« وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ، ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ، ويقتلون النبيين بغير الحق ، ذلك بما عصوا ، وكانوا يعتدون »** (٦١ : البقرة) .

وهكذا يظل أهل الكتاب من اليهود وأتباع المسيح ، واقعين تحت هــذا البلاء ، المضروب عليهم فى شريعتهم من الله ، الى أن يجىء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فان دخلوا فى شريعته ، وآمنوا به ، واتبعوا النور الذى أنزل معه ، كان فى ذلك عافيتهم من هذا البلاء ، والا فهم فيه الى يوم الدين . . يقول تعالى : **« يا أهل الكتاب قد جــاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتــم تخفون من الكتاب ، ويعفو عن كثير ، قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين »** (١٥ : المائدة) . . ويقول الله تعالى على لسان موسى عليه الســلام ، وهو يستغفر لقومه بعد أن عبدوا العجل : **« واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة ، وفى**

الآخرة ، إنا هدنا اليك » ويجيبه الحق سبحانه وتعالى بقوله : « **قال عذابى أصيب به من أشاء ، ورحمتى وسعت كل شيء ، فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون ، الذين يتبعون الرسول النبى الأمىّ ، الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة ، والانجيل ، يامرهم بالمعروف ، وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم ، فالذين آمنوا به ، وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه ، أولئك هم المفلحون »** (١٥٧ : الأعراف) .. فهذا الدعاء الذى دعا به موسى ربّه لرفع البلاء عن قومه ، هو دعاء موقوف اجابته على تحقق شرط منهم ، وهو أن يؤمنوا بهذا النبى الأمىّ ، الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل ، والذى يأمرهم بالمعروف ، وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث .. فاذا آمنوا بهذا الرسول رفع عنهم هذا الابتلاء الذى ابتلاهم الله تعالى به : « ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم » والا فهم باقون قيد هذا الابتلاء ، ثم هم كافرون لأنهم لم يؤمنوا بما وجدوه فى التوراة والإنجيل من دعوة الى الايمان برسول الله ..

ثم يأتى بعد هذه الآية مباشرة قوله تعالى ، آمرا نبيّه الكريم ان يؤذّن فى الناس جميعا بتلك الدعوة الإلهية : « **قل يأيها الناس ، انى رسول الله اليكم جميعا ، الذى له ملك السموات والارض ، لا إله الا هو يحيي ويميت ، فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمىّ ، الذى يؤمن بالله وكلماته ، واتبعوه لعلكم تهتدون »** (١٥٨ : الأعراف) .

فهاتان الآيتان الكريمتان ، تقرران فى صراحة ، وبيان مبين ، أن رسالة الإسلام رسالة عامة شاملة ، للناس جميعا على امتداد الأزمان ، وأن اليهود والنصارى ، لن تكتب لهم رحمة الله ، ولن يخرجوا من الابتلاء المضروب عليهم ، ولن يكونوا من المؤمنين الا اذا تابعوا النبى الأمىّ ، واستجابوا لدعوته ، ودخلوا فى دين الله ، مسلمين ، ووسعتهم رحمة الله التى وسعت كل شيء .

٧ ــ واذا عرفنا أن هذه الآيات التىتدعو أهل الكتاب الى الايمان بالنبىّ الأمىّ ، الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل ، اذا عرفنا أن هذه الآيات آيات مكية ، فى سورة مكية ، وأن النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن قد واجه أهل الكتاب بعد ، ولم يكن بينه وبينهم لقاء مباشر بدعوته ــ اذا عرفنا هذا أدركنا سرّ هذه الإشارات البعيدة التى كان يشير بها القرآن المكى الى اليهود من أهل الكتاب ، حيث كانت هذه ارهاصا بالمواجهة الصريحة التى ستكون بين النبى واليهود ، بعد أن يهاجر صلوات الله وسلامه عليه الى المدينة ، ويلتقى باليهود ، الذين يقابلون دعوته بالمكر الخبيث ، والكيد العظيم ، ثم المواجهة السافرة فى تحالفهم مع المشركين على حرب النبى وأصحابه فى غزوة الخندق ، مما انتهى به أمرهم الى اجلائهم من المدينة فى عهد النبى ، ثم إجلائهم من الجزيرة العربية كلها ، فى خلافة عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه.

ونخلص من هذا الى القول بأن دعوة الاسلام قائمة على أهل الكتاب

فى مشارق الارض ومغاربها ، على امتداد الزمن ، وأنهم مطالبون من دينهم ومن الكتب السماوية التى بين ايديهم ان يؤمنوا إيمانا مجددا بالدين الاسلامى ، وان يصلوا إيمانهم بكتب الله التى فى ايديهم بالايمان ، بالكتاب المصدق لها ، والمهيمن عليها ، وهو القرآن الكريم الذى هو حجة الله عليهم ، كما هو حجة على كل من بلغته دعوته .. يقول الله تعالى : « **وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه** » (٤٨ : المائدة) .. ويقول سبحانه : « **وأوحى إلىّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ** » (١٩ : الأنعام) .

فمن لم يؤمن بالاسلام ، وبرسول الاسلام ، وبكتاب الاسلام ، اذا بلغته الدعوة الاسلامية سواء أكان من اهل الكتاب ، أو من غير اهل الكتاب ، فهو من الكافرين : « **ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ، وهو فى الآخرة من الخاسرين** » (٨٥ : آل عمران) .

وقد اخذ الله تعالى الميثاق على النبيين واتباع النبيين ، ان يؤمنوا بالرسول الذى يأتى مصدقا لما معهم ، وأن ينصروا دعوته ، يقول سبحانه وتعالى : « **وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدّق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ، قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصْرى ، قالوا أقررنا ، قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين** » (٨١ : آل عمران) ..

فالذين ينقضون هذا الميثاق من اتباع النبيين ، ولا يؤمنون بالرسول الذى جاء مصدقا لما معهم ، ولا ينصرون دعوته ضد المناوئين لها — هم واقعون تحت قوله تعالى : « **الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ، ويقطعون ما امر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض أولئك هم الخاسرون** » **(٢٧ : البقرة)** ..



---

(١) الفرقان بين أولياء الرحمن ، وأولياء الشيطان ، لابن تيمية .. ص : ٨٠ .

(٢) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، لابن تيمية .. ص : ٨١

(٣) ذلك لان المسيح عليه السلام ، ليس له شريعة . وانما كانت شريعة موسى هى شريعته ، وشريعة كل من يتبعه . وفى هذا يقول المسيح فى الانجيل : « ما جئت لانقض الناموس ، وانما جئت لأكمل » ولهذا فان كل مسيحى يدين بالتوراة — العهد القديم — وبالانجيل — العهد الجديد — والأول شريعة ، والثانى آداب واخلاقيات ..

الاقتصاد الاسلامي

والدور الذي يمكن أن يلعبه

للدكتور محمد شوقي الفنجـري

لعل من أهم الدراسات الاقتصادية اليوم ، الاقتصاد الاسلامي وليس ذلك لصلتنا بالاسلام فحسب ، وانما ايمانا منا بالدور الضخم الفعال الذى يمكن أن يؤديه الاقتصاد الاسلامي ، سواء :

— بالنسبة لمعركة القضاء على التخلف من خلال التنمية الاقتصادية .

— أو بالنسبة للعالم الاسلامي .

— أو بالنسبة للعالم أجمع .

ونبين ذلك فيما يلي : —

دور الاقتصاد الاسلامي بالنسبة لمعركة القضاء على التخلف من خلال التنمية الاقتصاديـة

١ — التنمية الاقتصادية ذات بعد جماهيرى :

ان معركة اليوم الاقتصادية ، هى معركة القضاء على التخلف عن طريق التنمية الاقتصادية ، ومن المتفق عليه لدى أساتذة التنمية الاقتصادية ، انه لا يكفى فى هذه المعركة هيمنة الدولة باعتبارها ممثلة للمجتمع على ما يسمى بالقطاعات المسيطرة على الاقتصاد القومى ، كالتجارة الخارجية والصناعات

الاساسية ووسائل النقل الرئيسية . كما لا يكفى اعداد خطط التنمية ومتابعة تنفيذها على المستوى الرسمى . وانما يتطلب الأمر التعبئة الشاملة للشعب كله لتحقيق التنمية بأعلى معدلات ، ومقاومة كافة صور الانحراف والاستغلال بحيث تستقر خطط التنمية فى وعى المواطنين ، وتنتقل منه الى الممارسة الفعلية .

فالرأى الآن منعقد على ان عملية التنمية الاقتصادية ليست عملية فنية فحسب ، ولكنها عملية ذات بعد جماهيرى ، ومن هنا كان الحرص على اشراك الجماهير على كافة مستوياتها فى مناقشة مشروعات التنمية الاقتصادية وفى متابعة نتائج تنفيذها .

٢ ــ التنمية الاقتصادية والجهاد المقدس :

واذا كان من المسلم به ان حركة الشعب كله شرط أساسى لانجاح اية تنمية واية معركة شاملة ضد التخلف ، فانه لا بد أن نتعرف على مشاعر كل شعب ونفسيته وتاريخه لتعبئة كل قواه وطاقاته للمعركة ضد التخلف ومن اجل التنمية . ولا شك انه بالنسبة للشعوب الاسلامية ، يعتبر الاسلام عاملاً اساسيا ان لم يكن العامل الرئيسى ، لانجاح كل معركة تخوضهــا هــذه الشعوب ..

لقد استطاع جمال الدين الافغانى ان يربط بين فكرة الجهاد المقــدس والتخلص من الاستعمار . وبقوة تعاليم الاسلام ووضوحها فى العزة والحرية ، خاضت الشعوب الاسلامية معركتها من أجل الاستقلال . وما كانت تستطيع اندونيسيا وباكستان والشام وليبيا والجزائر وغيرها ان تقدم عن رضا واصرار ملايين الشهداء الا بتأثير تعاليم الاسلام (**ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما**) (النساء ٧٤) ، (**ولا تقولوا لمن يقتل فــى سبيل الله اموات بل أحياء ولكن لا تشعرون**) (البقرة ١٥٤) .

ولما كانت المشكلة الاساسية التى تواجه الشعوب الاسلامية اليوم هى مشكلة التخلف الاقتصادى ، فاننا نرى ضرورة ربط التنمية الاقتصاديــة بفكرة الجهاد المقدس تفجيرا للطاقات المختزنة فى الفرد المسلم ، وتحقيقــا للتنمية الاقتصادية باحالتها الى ممارسة دينية . ذلك ان قوام المجتمع الاسلامى هو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر (**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر**) (آل عمران ١١٠) . والأمر بالمعروف يتضمن فى رأينا بصفة اساسية العمل على تحقيق التنمية الاقتصادية ، والنهى عــن المنكر يشمل اساسا القضاء على أهم صوره الا وهو التخلف الاقتصادى ، ذلك التخلف الذى يؤدى الى كثير من المساوىء الاجتماعية والانحرافات الخلقية .

لذلك فانه لا بد من أن نعلنها حربا مقدسة ضد التخلف ومن اجل التنمية الاقتصادية . فالرسول عليه الصلاة والسلام يقول (لكل أمة سياحة وسياحة أمتى الجهاد فى سبيل الله) . وسئل عليه الصلاة والسلام : ما هو الافضل فى الاسلام ؟ فقال : (الايمان بالله واليوم الآخر ، والقتال فى سبيل الله) ويقول عليه الصلاة والسلام : (الجهاد قائم حتى يوم القيامة) ، ذلك ان الحياة كلها صراع بين حق وباطل ، وبين ما هو كائن وما يجب أن يكون . فالجهاد وهو غاية الاسلام وذروة سنامه ، وسواء كان جهادا حربيا أو جهادا سلميا مقصوده واحد هو دفع الظلم واقامة مجتمع المتقين ، مجتمع الأمر بالمعروف والتنمية والنهى عن المنكر والتخلف .

والجهاد المقدس فى مجال الاقتصاد الاسلامى ، هو الجهاد ضد التخلف ومن أجل التنمية الاقتصادية . ومن هنا تبرز أهمية الاقتصاد الاسلامى ودوره فى معركة التخلف والتنمية الاقتصادية، بان تصبح خطط التنمية بالنسبة للشعوب الاسلامية جهادا مقدسا وممارسة دينية .

٣ ــ حقيقة التحدى الاسرائيلى :

وتزداد اهمية الاقتصاد الاسلامى ودوره فى معركة التخلف والتنمية الاقتصادية خاصة بالنسبة للدول العربية ، وذلك متى لاحظنا ان التحدى الذى تلقاه من قبل اسرائيل ليس تحديا حربيا فقط ، وانما هو أساسا تحد اقتصادى . فاسرائيل تنشد السيطرة الاقتصادية على المنطقة العربية ومعركتنا مع اسرائيل ليست مقصورة على ازالة آثار العدوان ، وانما هى تتصل بتخلفنا الاقتصادى وما يتطلبه من ضرورة التنمية الاقتصادية العاجلة والتى يجب أن نجند لها كافة قوى وامكانيات الشعوب العربية .

ومن هنا نتبين اهمية الوحدة العربية الشاملة ، وانها وحدة حتمية مقدسة ، وانه لا يتطلبها التاريخ فقط ، وانما يستلزمها المستقبل قبل التاريخ فى عصر لم تعد فيه للكيانات الصغيرة مكان ، وفى ظروف أصبحت فيه مستلزمات التنمية الاقتصادية تتجاوز طاقة الدولة الواحدة .

وانه لكى يتم ذلك لا بد ان ندرك جيدا ، ان الوحدة العربية الشاملة لا تفرض ، كما أنها لا تكون بالشعارات والعواطف ، ولا تتحقق بالطرق السياسية ومختلف الاشكال الدستورية . وانما تتحقق هذه الوحدة عمليا وتتأكد اساسا عن طريق ربط الدول العربية بعضها ببعض اقتصاديا . ان وحدة ولايات الشعوب الالمانية لم تتحقق الا عن طريق ربطها بالسكك الحديدية ، وباتفاق الزولفرين الذى هو اتحاد جمركى . وان التمهيد لوحدة أوربا الاقتصادية لم يتحقق الا عن طريق اتفاق البنلوكس بين هولندا وبلجيكا

ولوكسمبورج . وان التمهيد الآن لوحدة أوربا السياسية يأخذ مجــراه عن طريق السوق الاوروبية المشتركة . وان نهوض اليابان بعد هزيمتها المنكرة فى الحرب العالمية الثانية ، وتحديها اليوم لامريكا وفرض ارادتها على المجتمع الدولى ، انما كان نتيجة حتمية لمخططها الجديد الرشيد « السياسة فى خدمة الاقتصاد » وليس « الاقتصاد فى خدمة السياسة » .

وأيا كان الأمر ، فانه يجب ان نعلنها حربا مقدســـة ضد العدوان الاسرائيلى وضد التخلف الاقتصادى ، وان نربط معركتنا من أجل ازالة آثار العدوان ومن أجل التنمية الاقتصادية بفكرة الجهاد المقدس ، وان ترتبط الدول العربية ببعضها اقتصاديا كخطوة أولى أساسية وكأقصر طريق يؤدى حتما الى ارتباطها سياسيا .

دور الاقتصاد الاسلامى بالنسبة للعالم الاسلامى

١ ــ الاقتصاد الاسلامى هو المنهج الاقتصادى الذى يتوافر له التجاوب لدى الشعوب الاسلامية :

يشمل العالم الاسلامى أكثر من ٦٠٠ مليون مسلم (منهم نحو ٨٥ مليون عربى) أى نحو ١٥ ٪ من سكان هذا الكوكب ، أو قل ان واحدا من كل ستة أو سبعة اشخاص فى العالم يدين بالاسلام . « والاسلام بعد هذا فى توسع دينا ميكى مضطرد بعيد المدى ، بل لعله اليوم أكثر الاديان نموا عدديا . فهو من ناحية يكسب كل يوم أرضا جديدة وقوى مضافة على امتداد جبهة عريضة فى أفريقيا ، وربما فى آسيا المدارية ، بالاضافة الى العالم الجديد شماله وجنوبه ... ومن المرجح ان قوته النسبية فى ديموغرافية العـــالم ستزداد باستمرار وقد لا تحل دورة القرن الا وقد أصبح خمس البشرية من المسلمين » .
ومن هنا تبرز أهمية الاقتصاد الاسلامى ودوره بالنسبة للعالم الاسلامى ، بوصفه المنهج الاقتصادى الذى ترتبط به حضاريا جماهير هذا العالم ، ويتوافر له التجاوب والاطمئنان النفسى .

٢ ــ الاقتصاد الاسلامى هو المنهج الاقتصادى الذى تتوافر له الفاعلية وقوة التنفيذ :

يضاف الى ما تقدم ان أساس الاقتصاد الاسلامى هو الشريعة الاسلامية وهى أحكام يؤمن المسلمون بقدسيتها وحرمتها ووجوب تنفيذها بحكم عقيدتهم الدينية وايمانهم ان الاسلام دين نزل من السماء على خاتم النبيين ، وانه لا يقتصر على مجرد العبادة والهداية الروحية ولكنه أساسا أسلوب للحياة وتنظيم

سياسى واجتماعى واقتصادى للمجتمع .

ولا شك ان ارتباط الاقتصاد الاسلامي بالعقيدة الدينية ، يخلق له الجو والمناخ لتقبل احكامه وضمان قوة تنفيذها . واذا كان مدخل أى تحرك او اصلاح اجتماعى أو اقتصادى ، هو غرس افكاره ومبادئه فى العقول والنفوس قبل محاولة اخراجها الى ميدان العمل ، وهو اعداد المناخ وتهيئة الناس للاقبال عن اقتناع على هذا الاصلاح والمشاركة فى هذا التحرك قبل محاولة حملهم عليه بقوة القانون وسلطان الدولة ، فانه يجدر بنا ان نستفيد فى هذا المجال من العقيدة الدينية فى الاسلام التى هى عقيدة التقدم والتطور والصالح العام . والايمان فيها ليس ايمانا مجردا أو ميتافيزيقيا (غيبيا) ، وانما هو ايمان يحدد مرتبط بالعمل والانتاج (**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية)** (البينة ٧) ومرتبط بالعدل وحسن التوزيع (**أعدلوا هو أقرب للتقوى** ــ المائدة / ٨) ، وان أكبر تكذيب للدين هو ترك احد أفراد المجتمع يعانى الضياع والحرمان **(أرأيت الذى يكذب بالدين . فذلك الذى يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين .)** (الماعون ١ ــ ٣) . فيجدر بنا ، ان نقيم اقتصادنا على أساس تعاليم الاسلام لنضمن له الفاعلية وقوة التنفيذ ، وهو غاية ما يتطلع اليه أى تنظيم اقتصادى ينشد النجاح والاستمرار .

ومن هنا تبرز من زاوية أخرى ، أهمية الاقتصاد الاســـــلامى ودوره بالنسبة للعالم الاسلامى ، بوصفه المنهج الاقتصادى الذى ترتبط به عقائديا جماهير هذا العالم وتتوافر له الفاعلية وقوة التنفيذ .

٣ ــ الاقتصاد الاسلامى هو المنهج الاقتصادى الذى يحقق لجماهير العالم الاسلامى الوحدة والانسجام :

وثمة نقطة أخرى تحتم على المسئولين فى العالم الاسلامى إعمـــال الاقتصاد الاسلامى والتزامه وهى القضاء على هذا التمزق الذى يعانيه أفراد الأمة الاسلامية موزعين بين ضميرهم الدينى وقوانينهم الوضعية .

حقا ان أغلب دساتير الدول الاسلامية تنص على أن الاسلام هو دين الدولة الرسمى ، وقد تنص على ان الشريعة الاسلامية هى مصدر التشريع أو المصدر الرئيسى له . ولكن ستبقى هذه النصوص مجرد شعارات جوفاء ، ما لم يقم علماء الاسلام بابراز تعاليم الاسلام الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، وبيان كيفية أعمالها بحسب ظروف كل زمان ومكان ، وما لم يقم الحكام من

جانبهم بوضع هذه التعاليم موضع التطبيق وعلى راسها فى المجال السياسى الشورى وحرية ابداء الرأى ، وفى المجال الاقتصادى ضمان حد الكفاية لكل مواطن والقضاء على البؤس والحاجة .

ومن هنا تبرز من زاوية اخرى ، اهمية الاقتصاد الاسلامى ودوره بالنسبة للعالم الاسلامى ، بوصفه المنهج الاقتصادى الذى يحقق لجماهير هذا العالم الوحدة والتناسق بين حياتهم المادية والروحية .

دور الاقتصاد الاسلامى بالنسبة للعالم اجمع

١ ـ ذاتية السياسة الاقتصادية الاسلامية :

يتجاذب العالم اتجاهان ، الاتجاه الفردى (الراسمالى) والاتجاه الجماعى (الاشتراكى) . وقد راينا ان لكل منهما سياسة اقتصادية معينة ، لها محاسنها ولها مساوئها .

وقد سبق أن أوضحنا على صفحات الوعى الاسلامى ، ان للاسلام اتجاها خاصا ، وان له سياسة اقتصادية متميزة وهى سياسة ان اتفقت مع السياسات الاقتصادية الاخرى فى بعض الخطوط والفروع الا انها سياسة منفردة ذلك انها :

أولا : سياسة تجمع بين الثبات والتطور . فهى سياسة ثابتة خالدة من حيث أصولها العامة وضمانها ـ منذ البداية ـ الحاجات الاساسية للفرد والمجتمع ، بغض النظر عن درجة تطوره واشكال الانتاج . وهى سياسة متغيرة ومتطورة من حيث تطبيقاتها العديدة لهذه الاصول بحسب ظروف الزمان والمكان .

ثانيا : وهى سياسة تجمع بين المصلحتين الخاصة والعامة ، وكلاهما لديها أصل . فهى لا تهدر المصلحة العامة شأن النظم الفردية ، ولا تهدر المصلحة الخاصة شأن النظم الجماعية ، وانما هى ـ منذ البداية ـ تعتد بالمصلحتين على درجة واحدة وتحاول دوما التوفيق بينهما .

على انه اذا تعذرت هذه الملاءمة أو الموازنة بين المصلحتين . وهو ما لا يكون الا فى الظروف الاستثنائية أو غير العادية كحالة الحروب أو الاوبئة أو المجاعات . فانه فى مثل هذه الحالات تضحى المصلحة الخاصة من أجل المصلحة العامة .

ثالثا : وهى سياسة تجمع بين المصالح المادية والحاجات الروحية ، حيث تعتبر الفرد فى مباشرته نشاطه الاقتصادى البحت ، متعبدا طالما كان هذا النشاط مشروعا ومستهدفا به وجه الله تعالى . بل انه يكافأ ويثاب على تلك النشاط بقدر اتقانه لعمله وبقدر ما يعود به من منفعة على أكبر عدد من الناس .

فليس هناك فى الاسلام اصطدام بين المادة والروح ، وليس هناك انفصال بين الاقتصاد والدين . بل هناك ارتباط وثيق بينهما يحقق فلاح الدنيا والآخرة . فالدنيا هى مزرعة الآخرة ، والانسان هو خليفة الله فى أرضه ، وغاية النشاط الاقتصادى هو تعمير الدنيا واحياؤها .

٢ ــ جدلية السياسة الاقتصادية الاسلامية :

فالسياسة الاقتصادية فى الاسلام كما يتضح لنا ، سياسة شاملة منضبطة تنظر الى جميع الجوانب الانسانية وتدخل فى اعتبارها كافة الحاجات البشرية ، وتوفق بينهما بأسلوب جدلى (ديالكتيكى) ..

ولكنه اسلوب جدلى خاص . ذلك ان الاسلام يقر التناقضات الاجتماعية الموجودة فى الحياة : الثبات والتطور ، مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة ، المصالح المادية والحاجات الروحية . الا ان نقطة الخلاف الاساسية فى نظرنا بين الاسلام وكافة المذاهب والنظم الوضعية السائدة ، تتمثل فى ان هذه التناقضات الاجتماعية ، تعتبر فى نظر الاسلام كالسالب والموجب ، للتعاون والتكامل لا للصراع والاقتتال ، ومن ثم فهو على خلاف كافة المذاهب والنظم الوضعية السائدة ، يعمل على التوفيق بين تلك التناقضات لا على جحد أو نفى احداها للاخرى . على أنه فى بعض الحالات الخاصة قد يغلب احداها على الاخرى ولكن ، بصفة مؤقتة وبقدر الضرورة وذلك لاعادة التوازن وتحقيق التعاون الذى هو مبتغاه .

واذا كانت السياسة الاقتصادية الاسلامية ــ على نحو ما سبق بيانه ــ توفق بين كافة المصالح المتعارضة بما يحقق الصالح العام ، وتقدم الحل العملى للمشكلة الاقتصادية ، وبالتالى لمشكلة الحرب والسلام ، فانه من الخير ان تدلى هذه السياسة بدلوها ، وان يسهم الاقتصاد الاسلامى فى حل مشاكل العالم .

٣ — دور الاقتصاد الاسلامي في رأى بعض العلماء الاجانب :

وقد اصبحنا نسمع أخيرا اصواتا اجنبية عالمية تدعو الى الأخذ بالمذهبية الايديولوجية) الاسلامية . وكان ذلك لمجرد ان وضحت أمامها احدى جوانبها سواء ناحية جمعها بين المصالح المادية والحاجات الروحية ، أو عدم تضحيتها بالمصالح الخاصة أو المصالح العامة ومحاولة التوفيق بينها ، أو جمعها بين لثبات والتطور وجدليتها الخاصة .

ولا ندرى الى اى مدى تكون حماسة العالم المستنير للمذهبية الاقتصادية لاسلامية اذا اتضحت لها سياستها مكتملة ، واذا قدمت لها حلولها التفصيلية وتطبيقاتها العملية .

فهذا هو الاشتراكى الانجليزى والفيلسوف العالمى برنارد شو ، يردد بعد دراسة دقيقة قوله « اننى أرى فى الاسلام دين أوربا فى أواخر القـــرن لعشرين » ، ومن قبله يقول المفكر الالمانى الكبير جوته « اذا كان هذا هو لاسلام افلا نكون كلنا مسلمين » ..

وهذا هو استاذ الاقتصاد الفرنسي جاك أوسترى ينتهى فى مؤلفـــه لصادر سنة ١٩٦١ (الاسلام فى مواجهة النمو الاقتصادى) ، الى ان طريق لانماء الاقتصادى ليس محصـــــورا فى الاقتصاديين المعروفين الرأسمالى والاشتراكى ، بل هناك اقتصاد ثالث راجح هو الاقتصاد الاسلامى الـــذى يبدو فى نظره انه سيسود عالم المستقبل لانه أسلوب كامل للحياة يحقق كافة لمزايا ويتجنب كافة المساوىء ..

وهذا هو المستشرق الفرنسي رايموند شارل يعلق سنة ١٩٦٩ عـــلى رسالتنا المقدمة باللغة الفرنسية للحصول على دكتوراه الدولة عن (مشكلة تخلف العالم الاسلامى) فيؤكد بدوره ان الاسلام يرسم طريقا متميزا للتقدم فهو فى مجال الانتاج يمجد العمل ويحرم كافة صور الاستغلال ، وفى مجال التوزيع يقرر أن « لكل حد الكفاية » كحق الهى مقدس تكفله الدولة لكل فرد بغض لنظر عن ديانته او جنسيته ثم « لكل تبعا لعمله » فالحديث النبوى يقول (لا بأس بالغنى لمن اتقى) ..

ونلمس اليوم لدى بعض المستشرقين ، الحاحا فى ضرورة العودة الى لاسلام ، والى دراسة قواه الكامنة خاصة السياسية والاجتماعية والاقتصادية منها ..



للدكتور/محمود زايد

هذه ترجمة لملخص المحاضرة الثانية التى القاها الدكتور محمود زايد استاذ التاريخ الاسلامى فى الجامعة الامريكية ببيروت اثناء زيارته للكويت بدعوة من وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية .

ان حاجات الانسان المستجدة والظروف الجديدة التى تواجهه من حين الى الآخر تخلق له تحديات لا بد له من الاستجابة لها .

والتحديات التي تواجه الاسلام في هذا القرن كثيرة ، وفي رأسها ضرورة تنقية تصور الناس للاسلام خارج البلدان الاسلامية والعربية وحتى فى داخلها مما علق به من شوائب عمل المغرضون من مبشرين ومثقفين مزيفين ومسخرين ، ودعاة الاستعمار وقراصنته على ترسيخها فى النفوس ، ومن سخرية القدر أن عددا من كتابنا ومفكرينا عملوا ـ بوعى منهم حينا وبلا وعي حينا آخر ـ على الترويج لها فتسربت الى فكرنا وثمراته مفهومات غريبة يتفاوت مدى خطرها بمقدار ما تتنافى مع مبادىء الاسلام وتعاليمه .

ومن أخطر المفاهيم المستوردة التى تكمن وراءها فلسفة كاملة فى الكون والانسان والحياة وتتنافى مع مبادىء الاسلام وأسسه مفهوم مقبول فى ظاهره

فاسد المقاصد فى باطنه ، وهو مفهوم « الفلسفة الليبرالية الانسانية » أو « الفلسفة التحررية الانسانية » التى استهدفت فيما استهدفته فصل الكنيسة عن الدولة ، واتخاذ الانسان مصدرا وحيدا للقيم .

لا يكفى الرد على التحامل على الاسلام لتنقية صورته فى الخارج والداخل من الشوائب فلا بد أيضا من عرضه عرضا واضحا وبلغة يفهمها الصغير والكبير ، على أن يجرى التركيز على جوهر مبادئه وتعاليمه .

ينبغى التركيز أولا على الايمان بالله تعالى ، وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم والتأكيد على أن فى قولنا « الله اكبر » تحريرا للبشرية من كل استبداد وطغيان سياسى وفكرى مهما كان لونهما ومصدرهما .

والاسلام ليس دينا بالمعنى الأوروبى الضيق ، بل هو نهج شامل للاعتقاد والعمل والسلوك ، وأنه نظام واحد متكامل للحياتين الخاصة والعامة ، والعبرة الكبيرة لنا فى تجربة الأوروبيين والأمريكيين الذين يعانون أكثر ما يعانون من أزمة أساسها روحى وهى ازدواجية المبادىء الخلقية التى تنعكس فى تعارض واقع العلاقات الدولية والمثل الأخلاقية للفرد .

وللاسلام نظريتان متكاملتان فى الكون وفى الانسان ، وجوهر مفهوم الاسلام للانسان أنه يولد على الفطرة ثم يقع تحت تأثير أسرته ومجتمعه ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل مولود يولد على الفطرة ، وأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » إى أن الانسان ابن المجتمع ، فاذا صلح المجتمع ونظامه صلح الفرد ، والاسلام أكثر الديانات **انسانية** من حيث انه يستهدف التيسير على الفرد ،ورفع الحرج عنه ، وفى صلب الاسلام وتعاليمه طلب القوة ، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم ان : « المسلم القوى خير وأحب الى الله من المسلم الضعيف » ومصادر قوة المسلم هى : فى العلم والتربية والتقوى وصدق المعاملة مع الناس ، والتعاطف مع الغير ، وفى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

كما أنه لا بد من التأكيد على أن الاسلام فى تاريخه الطويل قد واجه كل تحد بنجاح ، واثبت أنه يساير الحياة ويضع اتجاهات المستقبل ، وفى الأحاديث النبوية الشريفة أكثر من حديث يرسم الطريق للعلماء ، مثل : « جهر البلاء كثرة العيال مع قلة الشىء » ومثل : « ليأتين على الناس زمان يغبط فيه الرجل بخفة الحاذ كما يغبط اليوم أبو العشرة » .

وكم يتمنى المرء أن تدخل هذه الأحاديث الشريفة وغيرها فى صلب الأدب الاسلامى الذى يعلم للناشئة .

وفى ميدان الشريعة نؤكد مبدأ التجديد ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله يبعث لهذه الأمة على راس كل مئة سنة من يجدد لها امر دينها » ، كما ينبغى تأكيد واجب الفقيه فى أن يعمل دائما على النظر فيما يستجد من مشكلات وظروف ، وأن يفرغ جهده فى سبيل استنباط الحلول استنادا الى مصادر الشرع ، واستنارة بمصالح المسلمين وتطلعاتهم الى المستقبل .

نضيف الى هذا أن الفقهاء قد قاموا بدورهم بمقدار ما سمحت به ظروفهم

وأن من نسب التقصير اليهم ظلمهم ظلما كبيرا ، لقد صانوا الشريعة فى كل ظرف صعب ومحنة ، وبذلوا جهودا موفقة فى سبيل استنباط الأحكام لمواجهة ظروف جديدة ، مشكلة أكثر من ينتقدونهم أنهم لا يعرفون شيئا أبعد كثيرا من كلمة « شريعة » .

أعتقد أن من واجب ولاة الأمور أن ينصفوهم ، وواجب خريجى الجامعات أن يسعوا اليهم ، ويتعاونوا معهم .

ومن التحديات الكبرى للاسلام حاجة المسلمين الماسة الى الوحدة أو على الأقل الى الترابط الوثيق ، وأقرب سبيل الى هذا هو انشاء منظمة اسلامية مركزية لها فروع فى كل قطر اسلامى وفى كل بلد فيه أقلية اسلامية كبيرة ، ولها دوائر للدين والاقتصاد والتاريخ والمجتمع على أن تتجنب التدخل فى شئون البلدان الداخلية ، وذلك لكى تضمن تعاون الجميع وبالتالى الاستمرار .

ومن التحديات القضاء على الثنائية فى التعليم والمحاكم والقوانين ، وثنائية التعليم لا تنتهى باضافة كلية دينية الى الجامعات ، واضافة كليات لهذا العلم أو ذاك فى المعاهد الدينية ، انما تكون بادماج الدراسات الدينية فى صلب العملية التعليمية كلها ، وندعو المربين الى اعادة النظر فى مناهجهم .

وهناك تحديات نابعة من المشكلات التى تعانى منها البلدان الاسلامية وعلى رأسها فلسطين ، ويكمن التحدى الكبير فى ضرورة انقاذ ثالث الحرمين وثانى القبلتين — أى القدس — من أيدى الغزاة .

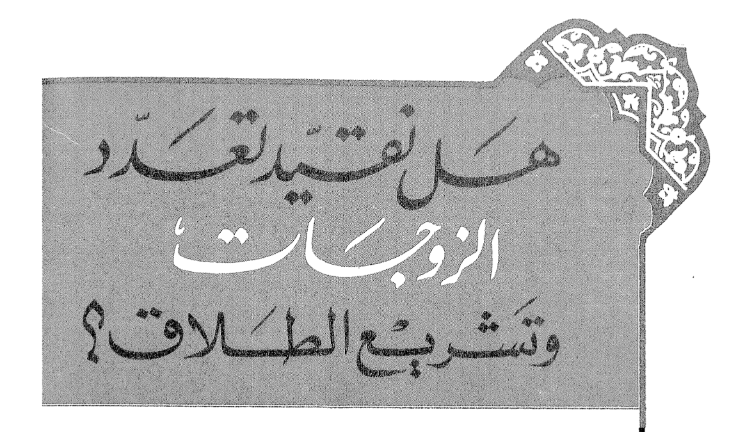
لقد أثبت العرب فى حرب تشرين أن بامكانهم لا انقاذها فحسب وانما هزيمة اسرائيل هزيمة ساحقة ، ولكن شرف الانقاذ يجب أن يشارك فيه كل مسلم لكى نضرب مثلا للجيل الحاضر والأجيال القادمة على أن المسلمين كأعضاء الجسم اذا اشتكى بعضه تألم له الباقون وهبوا لنجدته ، وانقاذ القدس سيكون بمثابة اعادة الروح الى العالم الاسلامى وسيعيد الثقة بالنفس الى كل مسلم .

لكن مع هذا ينبغى أن نعير مشكلات الأقليات الأخرى كمسلمى الفلبين ومسلمى كشمير واريتريا وغرب أفريقيا ما تستحقه من اهتمام ، ولعل مشكلات مسلمى غرب أفريقيا أكثر الحاحا من الأخرى .

وهناك التحدى الناشىء عن تدفق المال والحاجة لصرفه فى عملية البناء فتوافر المال ينطوى على تحد كبير لمن تتوفر فيه الحكمة وينشد البناء ، والحكمة تقضى بأن نستثمر المال فى بلادنا أى فى العالمين العربى والاسلامى مهما كانت عوائده ، لا أن نظل تحت رحمة تقلبات الدولار والاسترلينى ، وليس لأحد أن يملى علينا كيفية صرفه أو التعاون معنا فى صرفه اذ لم نسمع بأحد من قبل سعى الينا يطلب تعاوننا معه فى صرف ماله ، والمال ليس عندنا وحدنا .

ومجال صرفه الأول فى بلادنا هو فى التعليم والزراعة والتصنيع ، فالجزء الأكبر من بلادنا لا يزال صحراء أو كالصحراء ، ولا بد لنا من أن نعتبر بما حدث للأمم التى تدفق عليها المال فصرفته فى وجوه كثيرة دون النظر الى المستقبل .

وأخيرا يمكن وصف ما يجرى فى الفكر الاسلامى المعاصر بانه يمارس عملية تجديد ونأمل الا ينسلخ هذا القرن قبل أن يظهر مجدد يجدد للأمة دينها وحياتها .



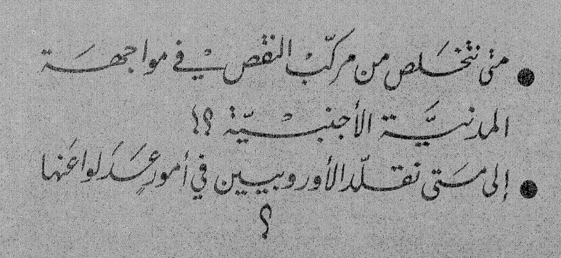
للدكتور : نور الدين عتر

مركب النقص آفة تصيب العاقل فتقلق تصرفاته وتضل سلوكه .

وحسبان العجز امام المظاهر البراقة ، يضيع قوى الانسان ويفشل مساعيه فى بنيان نفسه وتخطى العقبات التى تواجهه .

ولا سلاح للأمة مثل سلاح الثقة بالنفس فان امتنا تتمتع بكنوز حضارية تشريعية واخلاقية لا تعرف مثلها أمة من الأمم ، سيما وان المسلمين والعرب خاصة يواجهون التحدى الاجنبى ويخوضون المعارك ضد الاعتداء ، وذلك يزيد من فريضة الاعتصام بالشخصية الاسلامية ويؤكد ضرورته ، كي تحافظ الأمة على كيانها وتستمد من خصائصها الذاتية قوة لا تغلب .

ونظام الاسرة اخص الانظمة بشخصية الأمة واكثرها التصاقا بذاتيتها ، يربطها باصولها الاعتقادية وعاداتها واخلاقها ، ويمس تركيبها ، لذلك كان مساس هذا النظام بأى تبديل أو تحوير أو اقتباس من الامم الأجنبية أمرا خطيرا جدا لا بد أن يؤدى الى انتكاسات اجتماعية ومفاسد لا تعرف لها نهاية .



لكنا للأسف نجد طائفة من أبناء مجتمعنا من عرب ومسلمين يولون عقولهم وأفكارهم شطر الأمم الأجنبية يستمدون من نظمها فى شؤون الاسرة أصولا يودون تطبيقها فى بلادهم دون أن يفكروا فى الافادة من رصيد أمتهم الضخم فى هذا الجانب الحضارى الهام ، على حين ان اى مفكر لا يقبل باستيراد سلعة أجنبية أيا كانت جهتها اذا كان فى وطنه ما تسد مكان تلك السلعة فكيف بما هو اهم واعظم وهو مادة صناعة الشخصية للأمة أعنى الانظمة والقوانين والافكار .. ؟ !!

ولعل الكثيرين يغفلون عن اثر الدعاية الخطير فى هذه المسألة ، تلك الدعاية التى تسبغ قالب التطور او التقدم على هذا الاقتباس ، أو على هذه المتابعة غير الواعية لسابقة وقعت فى دولة عربية او اسلامية لم يتعظ بنتائجها التى ربما يتكتم عليها ارباب تلك التجربة كي لا يظهر خطؤهم وكي لا ... !! وهكذا لا تكاد تهدأ محاولة لتعديل قانون الأحوال الشخصية الاسلامى فى بلد حتى تقوم محاولة فى بلد آخر ، ثم تعود محاولة اسوأ فى البلد الأول .. الخ .

وإزاء ذلك فاننا ندعو كل منصف من هؤلاء متحرر حقا من الخضوع لأى مؤثر غريب عن هذه الامة لا يرغب الا فى الخضوع للحق ان يتمعن معنا

خطوطا أساسية لأمرين أساسيين نجعلهما مدار النظر فى هذا المقام هما : تعدد الزوجات وتقييد الطلاق . يكونان مثالا لما يراد تعديله من هذا القانون والخروج به عن مقررات الفقه الاسلامى

تعـدد الزوجـات

إن الله جلت حكمته اذ شرع تعدد الزوجات احكم شرعته بما يزيح عنه كل نقد وعيب . وإن الشريعة لم تجعل نظام التعود فرضا لازما على الرجل ، ولا اوجبت على المرأة او اهلها أن يقبلوا الزواج من رجل ذى زوجة ، فلولا ان المرأة واهلها يرون فى هذا الزواج منفعة ومصلحة محققة ، لما أقدموا عليه ، ولما قبلوا به اطلاقا فأين هو الضرر المزعوم بالمرأة ، وهل يتصور عاقل فى انتقال المرأة من العزوبة وشقائها واحتمالات الانزلاقات الى حصانة الزوجية ضررا او شرا ؟ ! .

ثم ان الشريعة اوجبت على الرجل ان ينفق على جميع زوجاته ، ويعاملهن بالقسمة العادلة السوية ، والمعاملة الحسنة الاسلامية ويتوعد النبى صلى الله عليه وسلم من اخل بهذا فيقول : « اذا كان عند الرجل امرأتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه ساقط » (١) .

وذلك لا شك يشعر كل امرأة بمكانة لا تحس أن غيرها يحتلها عند الزوج ، ولو فرضنا تحقق الضرر — وهو مستبعد جـدا اذا روعيت شروط التعدد — فمن حق الزوجة المتضررة أن ترفع أمرها للقضاء تطلب الطـلاق وفقا لما ذهب اليه المالكية وعملت به قوانين الاحوال الشخصية فى سورية . فالله سبحانه وتعالى أوجب على الرجل أن يراعى العدالة والانصـاف فى سلوكه ، وحرم عليه التعدد اذا خاف الميل لأحد الجوانب وظلم الجانب الآخر فى معاشرة أو معاملة أو مال ، وهذا معناه أن الذى يسوغ له التعدد هو ذلك الرجل الحازم ، القوى الارادة ، الذى يتمتع الى جانب مزاياه الشخصيـة بخلق رفيع ومراقبة لله عز وجل ولا شك أن مثله إذا تقى ربه ، وحزم أمره على أداء ما وجب عليه يستقيم به أمر الاسرة ويحل الوئام والوفـاق بين الزوجات وبين الاولاد كما أن التعدد لهؤلاء ربح للمجتمع إذ يزود الأمة بأبناء يرثون تلك الصفات الممتازة ، كما نشاهد ذلك الآن فى بيوتات عريقـة معروفة .

أما الذى يتزوج الثانية أو الثالثة تبعا لهواه دون أن يتوفر فيه الشرط ، أو لمجرد ازعاج زوجه الأولى فهذا زواجه محرم شرعا ، وليست الشريعة مسؤولة عن تبعات مخالفته وانحرافه . لكن المجتمع مسئول إذ لا يقوم اعوجاجه بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

أما قولهم إن تعدد الزوجات يؤدى الى كثرة النسل وهذه تسبب الفاقة والتشرد ، فإنا نعجب من هؤلاء إذ يرتعشون من كثرة النسل إن كثرة النسل خير وقوة للمجتمع ، وقديما واجه أجدادنا معاركهم المتلاحقة بكثرة النسل . ونحن اليوم أمام معركة قد تستمر أمدا طويلا، ما دامت مصادر الكيان العدوانى

قائمة فى هذا الوجود ، تمده بأسباب القوة وتشجعه على العدوان فكيف يتصور من ذى حكمة أن يوقف كثرة النسل ، امام هذه الاخطار المحدقة !

ثم إن كل داع لمنع التعدد يدعو لخروج المراة الى العمل ، فأين هى الفاقة التى تؤدى للتشرد إذا كانت المراة بزعمهم الفاسد ستعمل لا محالة !! ؟

إن كل الدلائل فى واقع الحياة تسير الى جانب تشريع تعدد الزوجات تدعمه وتشد من ازره ، والحقيقة ان البلاد التى تعادى هذا النظـــام وتشنع عليه ، لم تخرج عنه ولم تخالفه ، بل إن كل أوربا وامريكا تسير على نظام تعدد النســاء العملى والواقعى ، وإن لم تقره شرعة القانون وهو نظام أقبح واشد سوءا من كل ما يزعمونه كذبا وافتراء من مساوىء تعدد الزوجات إذ ان نظامهم هو الشر والفساد والتفسخ الا وهو إباحة الزنى ، واتخاذ الاخدان والخليلات .

لقد حرموا تعدد الزوجات ، ثم ارغموا امام الضرورات الواقعية وعملوا بتعدد النساء غير الشرعيات . فأهانوا المراة ، وداسوا كرامتها، ومرغوا عزتها وشرفها ، ثم اذلوها حيث ساقتها الضرورة والحرمان الى المصنع لتكسب قوتها وقوت أولاد الأوغاد الذين خدعوها ومكروا بها .

إن الواقع البشرى فى كل اقطار العالم المتحضر يقرر أن تعدد الزوجات امر ضرورى لا مناص منه للانسانية ، وذلك لأن عقارب الساعة فى هـــذا الواقع تشير الى ضرورات عديدة تحتم التعدد :

١ ـــ فهناك ضرورة تفرضها قوانين الطبيعة فى الحياة والموت إذ تقرر فى علم احصاء السكان ان الذكور الصغار اكثر تعرضا للموت من الاناث ، وهذا يؤدى إلى ان يكون الشبان اقل عددا من الفتيات بالرغم من ان نسبة مواليد الذكور قد تكون أكثر من الاناث (٢) .

٢ ـــ وهناك الضرورة التى يحتمها نظام الحياة الاجتماعية ، فان هذا النظام يفرض على الرجال الأعباء الثقال فى الحرب والاشغال الشاقة فى المصانع الضخمة وغيرها مما يجعلهم اكثر عرضة للموت من النساء حتى بلغ عدد الأيامى من النساء فى أوربا ما يزيد على /٢٥/ مليون امراة بعد الحرب العالمية الثانية . وإن وجد فى بعض البيئات الضيقة زيادة عدد الرجال عـــلى النساء فان هذا لا يسوغ العدول عن تشريع التعدد إلا اذا كان ثمة من يريد الغاء صلته القومية أو الاعتقادية بأمته الكبرى التى ينتمى اليها ، وهو عمل خطير يدل على طبيعة هذا النوع من الناس . . !! على ان هذه الزيادة ظرف طارىء غير طبعى ، كما أن خلل الاحصاء يلعب دورا كبيرا فى ابرازها حيث تكون عادة اهل البيئة كتمان تسجيل نسائهم وبناتهم ولن يلبث تيار النظام الطبيعى ان يغير هذا الوضع المدعى .

٣ ـــ وهناك اخيرا الضرورات الفردية التى تطرا كثيرا لمريد الزوجة الواحدة اذ يفاجأ بماليس فى حسبانه حيث يجد زوجته عقيما أو تصاب بمرض يمنعها من تحقيق غرض الزواج أو غير ذلك من الضرورات ، فهل نلزم الرجل بطلاق زوجته ، وإن كان يحبها ويريد الوفاء لها ، أم نرفع عنه الضيق ونحثه على ذلك الوفاء فنسمح له بالتعدد ؟ ! .

إن كثيرا من الزوجات يسعين لأزواجهن بالزواج الثانى ويخطبن لهم ، طيبة بذلك نفوسهن لأن هذا هو الذى يجيب به المنطق الصحيح ، ويقبله العقل الصريح .

واننا نعلن إزاء ذلك ان التعدد بشروطه المقررة شرعا مباح لا يملك احد تغيير حكمه الشرعى ، وان اى تقييد قانونى للتعدد لا يشكل تحريما شرعيا يلغى ما شرعه الله ، كما اننا نحذر من اى تقييد للزواج او لتعدد الزوجات سيقابله فى المجتمع انتشار الزنى والفواحش على قدر ذلك التقييد ، والا فأين ستذهب تلك الاعداد الزائدة من النساء التى دلت الاحصاءات على وجودها ، خصوصا وان الاثارة الجنسية يتطاير شررها ويستفحل ضررها فى كافة المجالات . وها هى ذى أوربا نفسها تشكو آثار الزواج الواحد واضراره الخطيرة . بل ان بعض البلاد الاسلامية لوت حكومتها المستبدة وجهها عن الاسلام واصدرت قانونا مدنيا منعت بموجبه تعدد الزوجات ، ولم تمض عليه ثمانى سنوات حتى هال أولياء الأمر فيها عدد الولادات السرية وعدد وفيات الاطفال المكتومة . . . و . . . !!

الحاجة إلى تشجيع الزواج

وقد أجمعت آراء الباحثين الاجتماعيين من الشرق والغرب على ان اكبر خطر يهدد المجتمعات هو تلك العزوبة المزمنة فى الرجال وفى النساء مما يهدد بالوقوع فى مهاوى الفواحش والرذائل ، وإن هذا الخطر قد اخذت بوادره فى مجتمعنا تظهر بوضوح لكل ذى عينين ، فما أكثر ما ترى اليوم من الأسر التى حرم بعض بناتها من الزواج ، وما أكثر ما ترى من شباب موسر مترف يعرض عن الزواج . وما أحسن ما اقترحه إزاء ذلك العلامة الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر الاسبق — رحمه الله . حيث قال يرد على مشروع مصرى لتقييد التعدد بالقدرة على النفقة فقال ما نصه :

« إن مثل هذه الحالة جدير بأن يدفع الأمة الى التدهور الأخلاقى ، الذى شكا منه الغربيون أنفسهم ، وجربته دولة شرقية اسلامية ، وهو مما يوجب على عقلاء الأمة — اتقاء للانتكاس الخلقى — أن لا يفكروا لا فى منع التعدد او تقييده ، وإنما فى وضع حد أعلى للعزوبة بالنسبة لأصل الزواج ، ووضع تشريع عكسى فى تعدد الزوجات ، اقل درجاته مساعدة الذين يتزوجون بأكثر من واحدة مساعدة تحفز غيرهم إلى السير فى طريقهم ، وتساعدهم على الانفاق على زوجاتهم وعلى أولادهم .

ولا ريب أن التشريع الذى يراد لتقييد تعدد الزوجات هو فى الواقع بملاحظة ما تقدم اكبر معين للناس فى التلخص من العلاقات الشريفة ذات الآثار الطيبة فى الاخلاق والاجتماع ، اكتفاء بما يقع فى ايديهم من أعراض لم تجد من يغار عليها أو يعمل على صيانتها .

خطـا آخـر :

بقي أن المشروع قد اتخذ أصحابه الفقر وعدم القدرة على تربية الأولاد والانفاق على من تجب على الشخص نفقته أساسا لتقييد التعدد ، ومعناه أنهم يبيحون للغنى أن يعدد كما يشاء ، وليس للفقير أن يتزوج أخرى .

ولو كان يصح اتخاذ الغنى والفقر أساسا لاباحة التعدد ومنعه لكان الواجب عكس القضية بأن يباح للفقير ويمنع عن الغنى ! ، فإن الفقراء يطمئنون بعضهم إلى بعض ويتعاونون فى تحصيل رزقهم ، فيسعى الرجل بقـــدر استطاعته وتسعى كل زوجة بقدر استطاعتها ، وليس عنده ما يمكن أن يحابى به إحدى الزوجات على الأخرى ..

أما التباغض الذى يحصل من جراء تعدد الزوجات بينهن وبين اولادهن فمنشؤه غيرة طبيعية لا يمكن سلامة النفوس منها ، ولم تمنع من التعدد ، لما فى تعددهن من خير يربو على شر هذه الغيرة .

كما وجدت أساليب الكيد فى أعلى اولاد الضرائر « يوسف وإخوته » ومثل هذا الشأن الطبيعى لا يمكن وقف التشريع لأجله ، للفوائد العظيمـــة المترتبة على التشريع (يعنى تشريع التعدد) والله الذى يعلم ان الغيرة أمر طبيعى فى نفوس الزوجات شرع تعدد الزوجات فى قديم الزمن وحديثه ، ولم تر الحكمة الالهية أن وقوع الكيد فيما بينهن ، وفيما بين أولادهن مانع من إقرار التعدد ، فدل ذلك على أن مقاصد التعدد فى نظر المشرع الحكيم تسمو بكثير عما يقع من الكيد والتباغض أثرا لهذه الغيرة الطبيعية .

على ان هذا التباغض الذى يقع بين الزوجات يرى مثله كثيـــرا بين الزوجة وأحمائها ، ومثل ذلك عفو فى نظر التشريع ، لأنه وإن كان شرا إلا أنه شر قليل ، لا يترك لأجله الخير الكثير » انتهى .

والذى يثير الدهشة ولا ينقضى منه العجب ما يلحظه المطلع على القانون من التناقض العجيب حيث يقيد الزواج بأنواع القيود ، ويرسل الزنا مباحا لا شبهة فيه ، فهذا الشاب إذا اراد الزواج قبل خدمة التجنيد توضع امامـــه العقبات ، ويطالب بالكفالات والتعهدات فاذا فجر وزنى فلا تثريب عليه .

والرجل اذا تزوج بفتاة تصغره كثيرا انحى عليه القانون اللوم والعقاب ، فاذا فجر بها ربت على كتفه !!

والزوج إذا تزوج على زوجته قامت قيامة القانون (أو هكذا يراد له) فاذا خان زوجه هدأت الثائرة وسكنت الغضبة .. !!

لقد بلغنا حد التضارب الفاضح بسبب التقليد ومحاكاة الأجانب ، على حين أن عقلاء الأجانب يزكون نظام التعدد وينادون به ، سواء فى ذلك رجالهم أو نساؤهم .

ففى انكلترا كتبت الكثيرات من النساء الانكليزيات فـــى الصحف السيارة وغيرها المقالات الطوال يدعون فيها للأخذ بنظام التعدد الاسلامى ، بل إن طائفة من رجال الدين ومن رجال البحث قررت الدفاع عن نظام تعدد الزوجات والمطالبة به .

فقد ذكر الاستاذ الخطيب المكى فى تفسيره المشهور : « إن وكالة

رويتر نقلت منذ سنوات قليلة خبرا من لندن يقول : إن اربعة من كبار القسس بزعامة اسقف كانتربرى ــ وهو من اكبر رجال الكنيسة البروتستانتية ــ قد اجتمعوا مع بعض الباحثين الاجتماعيين فى لندن واصدروا قرارا دافع عن نظام تعدد الزوجات ، وطالبوا بإباحته للمسيحيين من اجل المصلحة العامة ومصلحة النساء أنفسهن » . وفى المانيا يصرح الاستاذ فون اهرمسلس « بأن قاعدة تعدد الزوجات لازمة او ضرورية للسلائل الآرية » . وفى فرنسا وغيرها يصرح الكثيرون من الفلاسفة والمصلحين بهذا مما لا يتسع المقام لسرده والاطالة به ، وحسبنا من اقاويلهم هذه كلمة للفيلسوف الفرنسى غوستاف لوبون شرح فيها المسألة وفند مزاعم بني قومه التى يتشدق بها بعض ابنائنا . قال لوبون فى كتابه : « حضارة العرب » (٣) .

« ولا نذكر نظاما انحى الأوربيون عليه باللائمة كمبدأ تعدد الزوجات كما اننا لا نذكر نظاما اخطأ الأوربيون فى ادراكه كذلك المبدأ ، فيرى أكثر مؤرخى اوربة اتزانا أن مبدأ تعدد الزوجات حجر الزاوية فى الاسلام ، وانه سبب انتشار القرآن ، وانه علة انحطاط الشرقيين .. ذلك وصف مخالف للحق وارجو أن يثبت عند القارىء الذى يقرأ هذا الفصل بعد أن يطرح عنه اوهامه الأوربية جانبا أن مبدأ تعدد الزوجات الشرقى نظام طيب يرفع المستوى الاخلاقى فى الأمم التى تقول به ، ويزيد الاسرة ارتباطا ويمنح المرأة احتراما وسعادة لا تراهما فى أوربا .. ولا أرى سببا لجعل مبدأ تعدد الزوجات الشرعى عند الشرقيين أدنى مرتبة من مبدأ تعدد الزوجات السرى عند الأوربيين مع اننى ابصر بالعكس ما يجعله اسنى منه ، وبهذا ندرك مغزى تعجب الشرقيين الذين يزورون مدننا الكبيرة من احتجاجنا عليهم ، ونظرهم الى هذا الاحتجاج شزرا .. »

ويقول لوبون فى موضع آخر : « إن تعدد الزوجات على مثال ما شرعه الاسلام من افضل الأنظمة واوفاها بأدب الأمة التى تذهب اليه وتعتصم به واوثقها للأسرة ، واشدها لأصرته أزرا ، وسبيله أن تكون المرأة المسلمة اسعد حالا وأوجه شأنا وأحق باحترام الرجل من أختها الغربية » (٤) .

(فاعتبروا يا اولى الألباب) .

تشريع الطلاق

وتشريع الطلاق اصبح مثلا معروفا لهزيمة النظام الأوربى ، بعد ان ظل الأوربيون قرونا طوالا يشنون الغارة على الاسلام بسبب تشريع الطلاق فيه .

لكن أوروبا وامريكا لم تأخذا من نظام الاسلام حكمته فى محاولات الاصلاح وراب الصدع ، وجمع شمل الأسرة ، ولا التفتوا إلى ما يترتب على الطلاق من مسئوليات ونتائج فرضها الشارع الحكيم سيما فى الزام الزوج بالنفقة للعدة وحضانة الأولاد مما يعيق التسرع للطلاق ويضع له صمام الأمان .

غاية ما نعله القوم ان جعلوا أمر ايقاع الطلاق بيد القاضي يترافع اليه طالب الطلاق لينظر فى طلبه ، ويصدر الحكم فى شأنه قبولا او ردا .

وها هنا تبدو محنة مجتمعنا ، إذ نجد جماعة من ابنائنا تنادى بتقييد الطلاق بأن يجعل محصورا باذن القاضي ، أو بأن تفرض غرامة علــى الزوج اذا لم يطلق باذن القاضي كالطلاق البدعى أو بدعوى الاضرار بالزوجة وهذا الموضوع اعنى تقيد ايقاع الطلاق بقضاء القاضي ومثله كل احتراز من شانه ارجاع الطلاق للقاضي قد تناولناه فى بحث ناقشته لجنة من كبار علماء اساتذة الأزهر برئاسة فضيلة شيخ الأزهر الأسبق الشيخ محمود شلتوت . رحمه الله واثبتنا بما اقنع المتشككين بطلان هذا التقييد وفساده وأن الضرر كامن فيه ونلخص ههنا للقارىء توجيه ذلك من نواح .

١ — إن الاسلام قد علم ابناءه وجوب الحفاظ على رابطـــة الاسرة والتمسك بها واتبع أساليب متعددة من النواحى التوجيهية والنواحى التطبيقية لترسيخ هذا المعنى :

فى نطاق التوجيه يعلن القرآن الكريم هذه الوصية : (وعــاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) . والحديث النبوى : « لا يفرك (٥) مؤمن مؤمنة ان كره منها خلقا رضى منها آخر » أخرجه مسلم .

وفى نطاق التطبيق العملى يخول الرجل الحق فى بعض التدابير للاصلاح بمقتضى قوامته التى شرعها الله فاذا لم تجد نفعا فان الخطاب الالهى يأمر بالتحكيم فى قوله تعالى :

(وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما) .

فان فشلت كل وسائل الاصلاح جاء دور الطلاق .

ولا يخفى ان فى هذه المراحل من العلاج ما يكفى لتدارك الأمر إن كان للتدارك مجال أو مكان ، فأى معنى لتقييد الطلاق باذن القاضي ، أو لفرض غرامة على الزوج لأى عذر كان .

٢ — إن الشريعة قد أناطت ايقاع الطلاق بالزوج ، فاذا طلق الرجل زوجته وقع الطلاق واحتسب عليه باجماع العلماء السابقين واللاحقين وبصريح نصوص القرآن والسنة .

أما القرآن ففى مثل قوله تعالى : « وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف » (٦) وقولــه تعالى : « وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم » (٧) وقوله فى الطلقة الثالثة : « فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره » (٨) .

فكل آيات القرآن تحتسب الطلاق وتوقعه بمجرد صدوره عن الزوج ، دون أن يتقيد باذن القاضي أو موافقته .

وأما الأحاديث فأكثر من ان تحصر ، ومنها الحديث المروى فى الصحيحين وغيرهما بأسانيد كثيرة منها ما هو من اصح الأسانيد عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : « طلقت امرأتى وهى حائض وأتى عمر النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم ليراجعها ، فاذا طهرت فان شاء فليطلقها » .

قال : فقلت لابن عمر : « فاحتسبت بها » . قال ما يمنعه ، أرأيت ان عجز واستحمق » (٩) فطلاق ابن عمر الأول واضح أنه لم يكن باذن النبى صلى الله عليه وسلم وإلا لما كان مخالفا للسنة ومع ذلك فقد وقع واحتسب عليه ، وكذلك الطلاق الذى جعل النبى صلى الله عليه وسلم له الحق فى إيقاعه لم يقيده بأن يرجع فيه الى النبى صلى الله عليه وسلم وان يستأذنه كى يقع عليه ويصح منه ، وإنما جعله حقا له يتصرف فيه بمشيئته واختياره ، فليس لأحد أن يطالبه بأى غرم لأى سبب كان من دعوى ضرر أو غيره ، فالزام الزوج بتعويض زيادة على النفقات التى أوجبها الشارع اكل للمال بالباطل .

٣ ـ إن الشريعة قد أوجبت على الرجل نفقات مالية بسبب ايقاعه للطلاق ، وهذه النفقة فى الواقع تشتمل على معنى التعويض عن الضرر الذى يقترحه من يريد تبديل الحكم الشرعى ، ولذلك فانا نجدها تتناسب مع العروة الزوجية المنفصلة ضعفا أو قوة ، كلما كانت العروة المفصومة أقوى كان الغرم أكبر فمن طلق قبل الدخول يجب عليه نصف المهر كما نص القرآن (وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم » (١٠) .

وإن طلقها بعد الدخول أو الخلوة الصحيحة يجب عليه المهر كاملا .

« وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا ، أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا ، وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا » (النساء الآية ٢٠ و ٢١) .

وعليه أيضا أن ينفق على مطلقته ويسكنها مدة عدتها منه على ما ذهب إليه الحنفية وغيرهم وأقره قانون الأحوال الشخصية .

وإن طلقها بعد الدخول وقد ولد له منها ولد أو أولاد فعليه زيادة على ما سبق نفقة الحضانة للأطفال ، وكثيرا ما تستغرق سنين تحتاج لأموال كثيرة مما يجعل هذه المسئوليات حجر عثرة أمام ايقاع الرجل للطلاق ، تصده أكثر مما يصده التقيد باذن القاضى أو بغير ذلك من القيود . ثم إن هذا كله يشعرنا بأن الشريعة قد افترضت الزوج مسئولا عن الطلاق وحملته تلك الآثار والمسئوليات المالية (١١) ، فما حاجتنا بعدئذ الى أن نقول : إنه يحق للطرف المتضرر بالطلاق أن يطالب بتعويض إلا أن يكون غلوا يعقد قضايا الأسرة ، ويجعل كل واحد من الزوجين يقذف الآخر بالتهم الصحيحة أو الباطلة بسبب هذا التعويض الزائد على ما شرعه الله ، وسيعود الضرر الاكبر فى ذلك على المرأة لأن أى كلام من الرجل فى حقها يجرحها جرحا بليغا ويقضى على مستقبلها فضلا عما سيؤدى إليه التقاذف بالتهم من اضرام عداوات لا تنطفىء بين العائلات .

٤ ـ إن التجارب المشاهدة أثبتت أنه لا يمكن لقوة أن تقف أمام طلاق

الزوجين الفاشلين ، وحسبنا دليلا على ذلك الدول التي أباح قانونها الطلاق ، فمع ان ديانة المسيحيين جميعهم تتجه الى تحريم الطلاق ، وانهم لما أباحوا الطلاق قيدوا وقوعه بحكم القاضي ، بالرغم من هذا كله بلغت نسبة الطلاق في أمريكا ٤٨٪ أي ان كل مائة زواج ينتهي منها ثمانية واربعون بالطـــلاق والفراق كما دلت الاحصاءات .

وفي المانيا الغربية بلغت نسبة الطلاق فيمن دون سن الخامسة والعشرين ٣٥٪ خمسا وثلاثين بالمائة وهذا معناه أن القوم أدركوا أن جحيم الاسرة الفاشلة لا يقف أمام لهيبها أي عائق لذلك تساهل القضاة في إيقاع الطلاق بمجرد تقديم الطلب ، أو لأتفه الاسباب ، حتى اصبح الناس يتسامعون عنهم أنباء تثير السخرية والضحك !!

بينما تجد الاحصاءات في بلادنا التي يبيح دينها الطلاق ولا تقيده باذن القاضي ولا بأي قيد تقل عما ذكرنا من الطلاق في تلك البلاد بمقدار كبير جدا ، كما تنبئك به هذه الأرقام الرسمية ، للاحصاءات للقطر السوري كله ، نقدمها اليك في هذا الجدول :

السنة	المنطقة	الزواج	الطلاق	النسبة
١٩٥٠	القطر السوري	٢٤٨٧٦	٢٤٠٩	٩ر٦ ٪
١٩٥١	القطر السوري	٢٠٦٤٤	٢٣٣٧	١١٪
١٩٥٢	القطر السوري	٢٢٥٤٧	٢٤٧٥	١٠ر٩٪
١٩٦٣	القطر السوري	٣٠٣٦٣	٣١٩٨	١٠ر٥٣٪
١٩٦٤	القطر السوري	٣٤٧٧٦	٣٢٧٣	٩ر٤١ ٪
١٩٦٥	القطر السوري	٣٤٦١٩	٣١٩٧	٢ ر٩ ٪

هذه الأرقام تكشف عن بون شاسع بين عدد حوادث الطلاق التي تقع في بلادنا ، وبين عددها في بلاد النصرانية التي يحرم دينها الطلاق وتأخذ بقانون مدني يعتبر ايقاع التطليق بحكم القاضي ، حيث تبلغ النسبة عندهم أضعافها في بلادنا . هذا مع احاطة القارىء علما بانه ادخلت في سنة ١٩٥٣ تعديلات على قانون الأحوال الشخصية أخذت من بعض المذاهب غير المعمول بها ، ومن اقوال غير معتمدة لدى الفقهاء لكنها لم تثمر أي فائدة الا لمدة يسيرة جدا ثم عادت لمجراها الاصلي .

على انه لا بد من القاء النظر على نسبة الطلاق بحسب البيئات المتعددة لما له من فائدة هامة في الموضوع وذلك في هذا الجدول :

السنة	المنطقة	الزواج	الطلاق	النسبة
١٩٦١	مدينة دمشق	٥٦٢٧	١٠٩٧	١٩ر٤٩٪
١٩٦٥	مدينة دمشق	٦١٢٥	١٠٩٥	١٧ر٨٧٪
١٩٦٦	مدينة دمشق	٥٩٤٦	١١٨٢	١٩ر٨٧٪
١٩٦١	مدينة حلب	٣٤٦٠	٥٠٢	١٤ر٥٠٪
١٩٦٥	مدينة حلب	٤٠٢٣	٥٢٤	١٣٪
١٩٦٦	مدينة حلب	٣٩٩١	٥١٧	١٢ر٩٥٪
١٩٦١	مركز محافظة حماة	١٢٥٤	١٣٣	١٠ر٦٪
١٩٦٥	مركز محافظة حماة	٢١٤٥	١٤٩	٦ر٩٪
١٩٦٦	مركز محافظة حماة	١٨٧٠	١٠٨	٥ر٧٧٪

إن هذه الاحصاءات توضح لنا بجلاء اثر البيئة فى وقوع الطلاق فالبيئة التى هى اكثر تعرضا لتيارات الغزو اللااخلاقى والتى تشيع فيها التقاليد الاجنبية أكثر تضعف فيها روابط الاسرة ، وتكون أكثر تعرضا للانفكاك والضياع كما هو الحال فى مدينة دمشق ، والبيئة التى يقل فيها ذلك التعرض للمفاسد الخلقية ، والمباذل ، تكون الأسرة فيها أشد تماسكا واقوى عروة ، كما هو ملاحظ فى مدينة حماة ثم حلب .

وحسبنا من العبرة فى ذلك تلك التطورات التشريعية التى حدثت أخيرا فى أعتى دولة متعصبة ضد تشريع الطلاق ، الا وهى ايطاليا فقد اقر البرلمان الايطالى منذ ثلاث سنوات فقط قانونا باباحة الطلاق ، ورقص احتفاء بــه جمهور الناس هناك ، لكى تواجه المحاكم الايطالية العدد الضخم من قضايا الطلاق ، والذى يبلغ مليون قضية أو يزيد ، ولم يمتنع القوم عن تشريع الطلاق خوفا من كثرة وقائعه ، علما بأنهم لم يضعوا من الضمانات للمرأة مثلما فرضت لها الشريعة الاسلامية . واذا كانوا قد وضعوا بعض القيود فى ايقاع الطلاق فلا ريب أنها لن تلبث أن تنقلب الى مجرد شكليات لا اثر لها بتاتا ، كما انقلبت اليه حال القيود فى الدول الأخرى .

وهذا يدل دلالة قاطعة على أن العالم أيقن — فى حين يتشكك اناس ههنا — أن وضع القيود المصطنعة أمام وقوع الطلاق ليس تصرفا مثمرا ولا علاجا شافيا . وأيقن أن كثرة الطلاق لا يجوز أن تدعو إلى عرقلة وقوعه ومنع ممارسته ، بل نجدهم على العكس جعلوا كثرة الطلب على الطلاق سببا لاباحته وتشريعه والتوسع فى ايقاعه .

وهذا يثبت لكل ذى سمع متعقل ، وبصر متأمل أن للحفاظ على الأسرة اسبابا اخرى وراء التقييد بالقضاء ، وأن عوامل انهيارها اقوى من كل سد يصطنع أمام الطلاق ما لم تعالج تلك العوامل المخربة ، وتقتلع جذورها من الأساس .

ومن هنا فانا نقول بثقة كاملة : إن محاولة تقييد الطلاق بأى لون من التقييد رجعية موغلة فى الجمود ، والتقهقر الى الخلف .

ونبين أيضا أن الشريعة حكمت بوقوع الطلاق متى أوقعه الزوج ، فتقييده

بالقاضى لا يغير حكم الشرع ولا يلغى الحرمة التى يثبتها الطلاق ، لكن هذا التقييد يؤدى الى مفسدة عظيمة جدا هى الزام الرجل والمرأة بمعاشرة فاسقة يحرمها الله .

وهكذا نجد البحث العلمى الصحيح يأبى كل تعديل يراد اقتباسه من الأوروبيين ، سواء نظرنا إلى النظام الاسلامى من حيث طبيعتـه وصلتـه بمقومات امتنا وسلامة الاسرة فيها ، أو من حيث نتائج التعديل فى البـلاد العربية أو الاسلامية التى خاضت غمار تجربته واثبتت الاحصائيات فشلها .

كما أننا نجد الاتجاه العالمى أخذ يقتبس أخيرا من نظامنا الاسلامى حيث مهد لتعدد الزوجات كحل ضرورى لتزايد عدد النساء وكواجب يحتمه انقاذ المرأة من مهانة السفاح ويحتمه انقاذ النسل من الفوضى وسوء التربية ، وحيث أخذت الانظمة الأوربية بتشريع الطلاق ثم جعلت بصمة القاضى عليه أمرا شكليا محضا لا ينتظر الا تقديم الطلب .

والواقع أن ليس عندنا مشكلة تشريعية ، انما نحن بحاجة ماسة الى حسن الوعى والتطبيق لشرعنا الاسلامى الأغر كما اننا بأمس الحاجة الى أن ننفض عنا غبار الشعور بالعجز ونتخلص من مركب النقص فى مواجهة المدنية الاجنبية لنقدم للعالم مدنية اسلامية صافية ، وحضارة مؤمنة تجمع بين الدين والعلم والتقدم ، تنقذ العالم من وهدته وتنير له الطريق .

---

(١) أخرجه أصحاب السنن ورجاله ثقات .

(٢) وقال الدكتور عبد السلام العجيلى فى مقابلة اذاعية : « ان المرأة أكثر وجودا على الارض من الرجل ، واحصاءات المواليد فى العالم تثبت أن مواليد الاناث اكثر من الذكور »

(٣) ص ٤٨٢ — ٤٨٤ .

(٤) يرجع للتوسع الى تفسير المنار ، وكتاب نداء للجنس اللطيف لمحمد رشيد رضا ، وكتاب الاسلام عقيدة وشريعة للشيخ محمود شلتوت ، وكتاب بيت الطاعة وتعدد الزوجات للدكتور على عبد الواحد وافى ، وكتاب الاسلام والاسرة للاستاذ معوض عوض ابراهيم من علماء الازهر .

(٥) أى يبغض بغضا يؤدى للفراق .

(٦) البقرة الآية — ٢٣١ — .

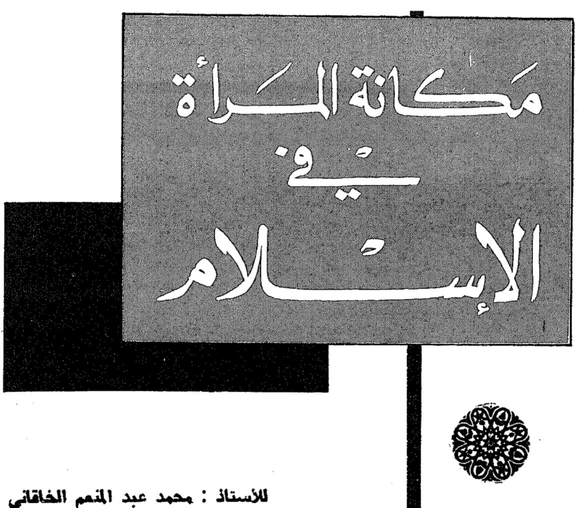
(٧) البقرة الآية — ٢٣٧ — .

(٨) البقرة الآية — ٢٣٠ — .

(٩) البخارى ج ٧ ص ٥٩ (باب مراجعة الحائض) وانظر الحديث وطرقه فى صحيح مسلم ج ٤ ص ١٧٩ — ١٨٣ .

(١٠) البقرة الآية — ٢٣٧ — .

(١١) لهذا درج العوام على التعبير بهذا اللفظ « خرب بيته » فى حق من طلق زوجه . وضربت هذه الكلمة مثلا للنكبات الضخمة .



مكانة المرأة في الإسلام

للأستاذ : محمد عبد المنعم الخاقانى

يجدر بنا قبل ان ندخل فى تفاصيل وضع المرأة فى الاسلام ان نعيد الى الأذهان أن الاسلام دستور ونظام إلهى يحيط بالحياة الانسانية بأسرها ويطبع كل فرع منها بطابع نظريتـه الأخلاقية الخاصة ويضع لها برنامجا اصلاحيا متميزا ، فللمرء الحرية التامة فى أن يرتضى الاسلام كله ، أو يرفضه جميعا ، وليس له بأى حال من الأحوال أن يأخذ بجانب منه ويستثنى أمرا من الأمور مدعيا أن هذا أمر شخصى لا علاقة للدين به ، فان الاسلام فى صورته الحية كل متماسك الأجزاء مترابط الأعضاء بروابط داخلية حددتها عبقرية التشريع الاسلامى التي وضعتها منسجمة مع الأهداف المنشودة ، فكل جزء فيه لا يمكن أن يؤدى وظيفته متكاملة إلا مع جميع الأجزاء الأخرى ، فاذا انتزع منه جزء وركب فى بنية أخرى فقد يؤدى شيئا من وظيفته ولو الى حين ، ولكن انى له أن يؤديها تامة وبصفة مستمرة كما لو انتظم مع كل الأجزاء الأصيلة .

فللمرء اذن ان يخرج عن دائرة الاسلام ليصبح له حق الاعتراض بما شاء ويطالب بالحجة العقلية ومن حقه أن يجاب الى طلبه ، أو أن يختار الاسلام فيذعن لكل ما جاء به ولا يتوقف امتثاله له علي الاقتناع العقلى بكل جزئية على حدة ، وليس له أن يعتبر نفسه مسلما ثم يفسح لنفسه المجال للاعتراض على حكم من احكام الاسلام : « **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما** » (النساء : ٦٥) .

نعم له أن يبحث ويجد في البحث عن هذا الحكم بعينه هل أمر به الاسلام ؟ أم لم يأمر ؟ اما بعد ثبوت الأمر به فليس أمامه الا الاذعان .

اجـل له أن يفتش عن الحجـة العقلية ولكن لا ليتوقف عليها الامتثال وانما لحصول الطمانينة النفسـية وزيادة البصيرة .

وقضية المراة فى الاسلام جزء من الشريعة الاسلامية الشاملة فالنظـر اليها بمعزل عن باقى اركان الشريعة عمل خاطىء وليس بمستقيم ، فـان الذى يقصر نظره على عمود فى بناء يرى وضعه عبثا ، أما اذا شمل البناء كله بنظرته فانه سوف يلحظ اهميـة ذلك العمود فى رفع السقف وما له من دخل فى محافظة البناء على توازنه وتماسكه .

ولهذا فان الاسلام لا يحتمل تبعات وضع المراة فى المرحلة الحاضرة لدى الدول الاسلاميـة ، فانـه وضـع ــ لا شك ــ متدهور ومنحط ، ولكن السبيل لتقويم هذا الوضع ليس نفس السبيل التى سلكتها المراة الأوربيـة التى صـادفت ظروفا وانحـرافات خاصة بها ، وانما الطريق لتصحيح وضعها ــ وحتى وضـع الرجل ــ هى الاحتكام الى الشريعة الاسلامية الخالدة بايمان يعقبه تنفيذ بحـرارة وصدق .

داعون الى التحـرير ، ومطالبـون بالابعـاد :

هناك طائفتان تتوزعان العـالم الاسـلامى ، احداهمـا نصبت من نفسها الذائد عن حقـوق المـراة ، والأخرى تطالب بابعادها من المجتمع .

وحين يتجـاوز البـاحث الامور السـطحية ويفتش عـن الدوافـع النفسـية العميقـة التى تقود هاتين الطـائفتين الى ما قالتـا يصبح من اليسير عليـه اكتشـاف الدوافـع الحقيقية ، وهى تلتقى جميعا عنـد أمر واحـد هو : دوافـع الغـريزة الجنسية .

فالغريزة الجنسـية هى المحـرك الأول لكل منهما الا أنهما تدابرا فى الطريق التى سلكا .

فالذين يطالبـون بظهور المراة فى صورة فاتنة مثيرة بأقوالهم الشعرية الحالمة انساقوا الى موقفهم هذا تحت ضغط النزعة الجنسية ، ليوقظ ذلك غرائزهم ، ويستهوى أنفسهم . أمـا الذين يؤمنون بوجوب ابعاد المراة عن المجتمع وعزلها فى سجن ضيق فانهم مدفوعون ــ ايضا ــ الى موقفهم هذا بدافع تلك النزعة ــ وان بدا هـذا غريبا لاول وهلة ــ لان الرجل الذى يمنع أنثاه من الخروج لا يكفى فى تبرير عمله هذا اى سبب سوى خوفه من ان يشاركه فيها غيره . فمن أراد ان يجد حلا لمشكلة المراة وجب عليه ان يستبعد كلا الرايين ، لأنه لا امل فى أن نجد فى آراء تنبعث عن الغريزة حلا لأى مشكلة . فلا بد أن نشـيح بوجوهنا عن الآراء العاطفية ثم نحاول حل المشكلة واضعين مصلحة المجتمع وتقدمه الحضارى وبالتالى مصـلحة المراة ــ القطب الثانى من المجتمع ــ فى الاعتبار الاول .

فعلى هذا لا يجوز اعطاء المراة اى حق على حساب مصـلحة المجتمع ، لأن ذلك سـوف يؤدى الى انهيـار المجتمع ، فيتدهور وضع المراة لأنها عضـو فيه . وحل مشـكلة المراة الاجتماعية لدينا لا يكمن فى تقليدها لمظاهر المراة الاوربيـة دون اعتبار الأسس التى قررت المراة الاوربيـة السير عليها ، بل هى مشكلة انسانية يتوقف على حلها استقامة المدنية .

يقول بافلوف : « ان التخطيط قد يخص الحـالة (القشـرية) فـى الشخصية دون الحالة الداخلية » . فمحاولة تغيير مظهر الشخصية أمـر يسير ، اما تطوير ما يتصل بجوهرها اى تطوير النفس فانه يحدث نتيجـة



لعمل بطيء ينحت الصورة المرغوب فيها نحتا عبر زمن طويل .

وسلوك المرأة المسلمة السبيل التى سلكتها المرأة الاوربية لا يحل المشكلة، لأن الحال التى عليها المرأة الاوربية الآن تدعو الى الرثاء ، لأنها تخلت عن وظيفتها الطبيعية وهى حفظ الأسرة وبقاء المجتمع وفقدت الشعور بالعاطفة نحو الأسرة لتظهر فى مظهر لا يخاطب فى نفس الرجل إلا غريزته فاختارت الأزياء الفاتنة والمثيرة وحددت النسل ومحت فى نفسها كل معانى التقديس للعلاقة الجنسية ، هذه هى بعض الأعمال التى تؤكد المعنى الجسدى الذى يتمسك به مجتمع يسوده الغرام باللذة العاجلة.

فما العمل ، وما هو الحل إذن ؟

ينحصر الحل ــ كما سبق لنا ذكر ذلك ــ فى أن نعيد الى المرأة المكانة التى وهبها إياها الاسلام ، لنجعل منها « سيدة » تساهم فى الحياة وتوحى الى الرجل المواطف النبيلة دون أن نخلق منها مسيطرا عليه ، أو نمسخها خادما له .

ومشكلة المرأة تنحل الى فروع عدة، نستعرضها مع الحل الذى طرحه الدين الاسلامى كما نتصوره :

القيمة الانسانية :

ينظر الاسلام الى الرجل والمرأة على أنهما القطبان اللذان يكوّنان معا الانسانية دون امتياز لأحدهما على الآخر فيما لهما من قيمة انسانية : **« يا ايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء »** (النساء : ١) . **« يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله اتقاكم »** (الحجرات : ١٢) .

وهو ينيط بهما التكليف : **« يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ، ولا تلمزوا انفسكم ولا تنابزوا بالألقاب »** (الحجرات : ١١) .

« ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا » (الحجرات ١٢) .

ويحمل كلا منهما مسؤولية عمله : **« كل امرىء بما كسب رهين »** (الطور : ٢١) . **« ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون »** (الجاثية : ٢٢) . .

وينال لديه كل منهما ما يستحق من جزاء : **« فاستجاب لهم ربهم انى لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض »** (آل عمران : ١٩٥) .

وعندما يوصى الانسان برعاية والديه يخص الأم بذكر ما عانت من آلام ويوجب الاحسان لهما جميعا : **« ووصينا الانسان بوالديه احسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها .. »** (الأحقاف : ١٥) .

وقد لا يرضى قوم بأن الاسلام قد ساوى بين الرجل والمرأة فى القيمة الانسانية مستدلين على ذلك بمسألة اعتبار الاسلام شهادة امرأتين بشهادة رجل واحد ، مستلهمين منه أنه يساوى المرأة بنصف الرجل .

وليس هو كما يظنون ... ان التشريع الاسلامى لم يفرض ذلك

لنظرته الى المراة على انها تساوى نصف الرجل ، وانما هو لغرض آخر هو أن يوفر كل الضمانات الممكنة فى الشهادة ، لأن المراة تسيطر عليها الطبيعة العاطفية السريعة الانفعال ، فلأجل أن يتلافى تأثرها — فى بعض الملابسات للقضية — طلب أن تكون معها اخرى ، لأن من النادر جدا أن تتفق امراتان على تزييف واحد : **« فان لم يكونا رجلين فرجل وامراتان ممن ترضون من الشهداء ان تضل احداهما فتذكر احداهما الأخرى »** (البقرة : ٢٨٢).

الحقوق المدنية :

لقد سوى بين الرجل والمراة فى القوانين المدنية والجنائية الاسلامية، فكل منهما محفوظ النفس والعرض والمال إلا بالقانون ، ولا يسلب حريته الفردية دون أن تثبت عليه جريمة ، وله الحرية فى ابداء رايه ومبدئه دون ارهاب ، وتكفل الدولة لكل فرد من أفرادها — مسلما كان أم غير مسلم — حاجاته الانسانية اللازمة .

وقد ترك للمراة حرية اختيار شريك حياتها ، ومنحها حق الخلع والفسخ وأباح لها تجديد الزواج بعد طلاق او فسخ دون أن تكون لأحد عليها سلطة . وقد أمر الرجل بمعاملة المراة معاملة طيبة ومعاشرتها معاشرة سمحة : **« وعاشروهن بالمعروف »** (النساء : ١٩) . **« ولا تنسوا الفضل بينكم »** (البقرة : ٢٣٧) .

وأمره أن يشاورها فيما يعن له من امر **« وائتمروا بينكم بمعروف »** (الطلاق : ٦) .

حق التعليم والثقافة :

حث الاسلام على تعليم المراة كثيرا وجعل التثقيف لها لازما كلزومه للرجل ، فلم يميز فى ذلك بين رجل وامراة ، الا أنه طالما هو يرمي الى تربية المراة لتصبح زوجة ذات حصافة فى تدبير شؤون الأسرة وأما تنمى جيلا يستطيع النهوض بأعباء الحياة ، فانه يوجه عنايتها الى العلوم التى تفيدها فى مجال نشاطها وتوسع افق نظرها وتهذب أخلاقها .

أما اذا وجد فيها طموح الى ان تضيف الى ذلك ما سواه من علوم أو فنون لم يقف الاسلام حائلا بينها وبين ما تطمح اليه ما دامت ملتزمة بما وضعه لها من حدود . فهو يتيح لها الفرصة الكاملة لتنمى مداركها وكفاءاتها لتصبح مؤهلة للاضطلاع بنصيبها من العمل على رقى الحضارة الانسانية ، لكنه يمسكها عن أن تستغل اداة للانحطاط الخلقى المؤدى دائما الى دمار الحضارات .

الحقوق الاقتصادية :

إن منزلة الانسان تعتمد الى حد كبير على حالته الاقتصادية وقد كانت حالة المراة الاقتصادية هزيلة فى ظل كل القوانين ، فأدى عجزها الاقتصادى هذا — بوصفه أحد الأسباب الهامة — الى استعبادها . ونهضت أوربا وأرادت الاصلاح فدفعت المراة لتجعل منها عضوا فى المجتمع كاسبا ، فأفضى بها هذا التغيير الى مفاسد أخطر من الأولى .

أما الاسلام فقد سلك السبيل الوسطى فمنحها حقوقا واسعة فى الميراث ، وقد يثار الحديث هنا عن فرض الاسلام نصف نصيب الرجل للمراة فى الميراث مكتشفين من ذلك أن الاسلام يخفض من قيمتها الانسانية ويحد من حقوقها الاقتصادية ، الا أن هذا الحديث قد عفى عليه الزمن فان الاسلام لم يفرض لها ذلك النصيب لأنه يعتبرها نصف انسانة أو رغبة



منه فى أن يجعل حقوق المرأة الاقتصادية فى المرتبة التالية بعد الرجل ، وانما فعل ذلك لأنه قد فرض للمرأة حقوقا اقتصادية أخرى هى النفقة والمهر اللذان كلف بهما الرجل، فلحفظ التوازن الاقتصادى بينهما كان ذلك التشريع ، فالتفرقة بينهما فى المال الموروث اذن لسبب واحد وظاهر وهو تكليف الرجل بالانفاق واعفاء المرأة من ذلك ولهذا نجده لا يبيح التفرقة بينهما فى الكسب والأجر .

وكل ما ظفرت به من مال بوسائل مشروعة ، منحت فيه كل حقوق الملكية ، ومنع غيرها أن يتدخل فى شىء من ذلك .

ولها الحق فى تثمير أموالها بالوسائل المشروعة ، ولا يرفع كل هذا وجوب صرف النفقة اليها من زوجها .

حق العمل :

إن شؤون الأسرة التى تهيىء السكن النفسى للزوجين حين يفقدانه فى أى مكان آخر وتهيىء الجو النقى لارساء الكيان النفسى للأطفال على أسس قويمة — انَ شؤون هذه الأسرة لكثيرة ومتشعبة فلا يستطيع الرجل منفردا أو المرأة وحدها القيام بمهام الأسرة جميعا ، فمن العدل ان توزع بينهما جريا على مبدأ توزيع العمل ، ثم لا بد أن يختص كل منهما بالقسم الذى هو أقدر عليه وبما هيىء له طبيعيا . وليس هناك شك فى أن الرجل قادر على أن يقوم بما تؤديه المرأة من تكاليف الأسرة والبيت وان المرأة تستطيع أن تشارك الرجل فى الحياة العامة ، الا انه لا يصح للرجل أن يترك دائرة عمله ليتسلم المهام التى تؤديها المرأة ، وكذلك لا يصح للمرأة ان تتخلى عن البيت والأسرة لتنازع الرجل فيما يقوم به من دور ، لأن الرجل لا شك أصلح للجهاد خارج البيت ، والمرأة أصلح لتدبير السكينة فى الحياة .

فهنا حصتان لكل منهما الحصة التى أعد لها طبيعيا ووجدت فيه المؤهلات النفسية والجسدية للاضطلاع بأعبائها ، وليست احداهما بأهون ولا أوهن من الأخرى . فهما متعاونان متقاسمان الجهد والسعى لا متنازعان متصارعان .

لها حق الانوثة والأمومة ، وله حق الرجولة والجهاد . لها وظيفة اعداد جيل المستقبل ، وله وظيفة اعداد جيل الحاضر .

ويؤيد هذا علم الأحياء الذى اثبت أن تركيب جسم المرأة يختلف عن تركيب جسم الرجل فى الانسجة وحتى الخلايا عليها الطابع الانثوى .

فمنذ يبدأ الجنين فى النمو ، يرتقى كل من الصنفين فى صورة تخالف صورة الآخر ، فجسم المرأة ينمو نموا تستعد به للولادة والتربية ، فيصمم فى تركيب جسمها منزل ليستقبل الكائن الجديد ويعزل نصيب من غذائها ليتحول الى غذاء لذلك الضيف ، ومع الشباب يعروها المحيض الذى يتركها فى حالة شبه مرضية ويؤثر فى جهازها العصبى والذهنى فيصيرهما فى حالة ارتخاء وعدم انتظام ويحرمها كثيرا من حريتها العملية ، ثم تجيىء فترة الحمل فيختل جهازها العصبى

ويضطرب فيها اتزانها الذهني وتصبح قواها الروحية في حالة فوضى مستمرة . وتعقب ذلك فترة النفاس التي تكون فيها عرضة لأمراض مختلفة لأن الجروح التي تعاني منها تكون مستعدة للتسمم ، وتكون اعضاؤها الجنسية في حالة استعادة وضعها الاصيل .

وبعد أن تتجاوز هذه المراحل الشاقة والعسيرة تبدأ مرحلة جديدة وهي مرحلة الرضاع التي تحيا في أثنائها لوليدها ، ثم يجيء دور الحضانة والتربية الذي يستغرق زمنا طويلا ، ولم يجد شيئا تغذية الطفل بغير لبن أمه ، لأن الاخصائيين قد اجمعوا على أن لبن الأم ليس له بديل ، وقد اقترحوا لتربية الناشئين دورا للحضانة ليوفروا للأم وقت العمل في خارج البيت ، ولكنه اقتراح عقيم ، فليس هناك اى امرأة يمكن أن تغدق على الطفل ذلك الحنان الذي يجده عند أمه .

هذا هو تركيبها الجسدي الذي هيىء للحمل والولادة والرضاع .

اما الكيان النفسي الذي منحته ليتمشى مع أهداف ذلك التركيب فهو تلك المشاعر النبيلة والصبر على العمل المتواصل والدقة في الأداء والملاحظة والرقة في العاطفة ، والسرعة في الانفعال ، واللين والمرونة في السلوك ، وباختصار فان الجانب العاطفي هو الذي يلون كيانها النفسي لأن الأمومة لا تحتاج الى الفكر بمقدار ما تستلزم العاطفة التي تستجاش بأول لمسة .

وحتى في طبيعة احساسها الجنسي تختلف عن الرجل بحيث يوائم وظيفتها الفطرية ، فاحساسها به اعمق كثيرا من احساسه واشمل ، وهو لا يتركز عندها في نشوة الجنس الطارئة وانما يمتد ليشمل فترة الحمل والولادة والتربية ، فان الاحساس الذي يرافق كل هذه الامور هو إحساس جنسي أصيل ، بخلاف الرجل فان احساسه به يتركز في النشوة الجنسية الطارئة وينتهي عند تفريغ تلك الشحنة الكهربية الجارفة ، وبينما تتركز الشهوة الجنسية عند الرجل في نطاق محدود ، فان المرأة لا تعرف هذا التركيز ، لأن معظم جسمها موطن يصلح لذلك الاحساس على درجات متفاوتة ، وتحس المرأة بأكثر من موضع واحد حساسية شديدة بعضها في جوف الجسم والآخر على سطحه أثناء العمل الجنسي . فاختلافهما في طبيعة احساسهما الجنسي هيىء بتلك الطريقة الخاصة ليلائم وظيفة كل منهما في الحياة .

فالرجل يشعر بالجنس الا أن شعوره به اشبه بالنزوة الطارئة المركزة التي تنزع الى التفريغ ، فاذا افرغت هذا ذلك الاحساس واستقر حتى يعود ، وفي أثناء ذلك ينصرف بفكره عن مسائل الجنس الى الوان أخرى من مسائل الحياة وينصرف بجسده ايضا ليمارس شؤون الصراع .

أما المرأة فان شعورها بالجنس اعمق وأوسع نطاقا وليس يتركز في نشوة طارئة وانما يمتد ليشمل فترة الحمل والولادة والرضاع والتربية لئلا تحملها آلام الحمل والوضع وتبعات الرضاعة والتربية على الافلات من هذه الوظيفة .

فهل من المساواة أن نضيف الى اعبائها هذه كلها التي انفردت بها اعباء كسب المعيشة ؟

ام هل هي مهيئة بكيانها الجسدي وتكييفها النفسي للصراع خارج البيت؟

كلا !! وانما هو من الظلم والحيف على طبيعتها أن تقوم بكل هذا الدور العظيم ثم تخرج لتكسب قوتها ، ومن خسة الرجل وأنانيته أن يطالبها بذلك وليس معنى اختلافهما في الوظائف



كون احدهما افضل من الآخر ، وانما لكل فضائله ومخازيه في ميـــدانه الخـاص ويمارسها على طريقتـــه المتميزة :

فالرجل الذي يهب نفســه لفكرة نيكرس كل حياته من أجلها لا تزحزحه عنها كل ما في الأرض من مغريات غير قاصد الى مصلحة شخصية وانما هو يفعل ذلك لخير الانسانية كلها ، تلك الانسانية التي يمنحها كل حبه ووده الخالص من كل حقد او ضغينة ـــ هذا الرجل يرتقي الى قمم لا ترقى اليها المرأة .

والمرأة التي تهب نفسها لحب عظيم تكنه لزوجها وأبنائها وبيتها فتتفانى في ذلك الحب الى ابعد الحـــدود فتنسى نفسها وتطرح أنانيتها لتتحول الى طاقة تنفق لاسعاد هؤلاء ـــ هذه المرأة تصل الى قمم لا يدانيها الرجل .

أما الرجل الذي يهبط في غرائزه الجنسية الى مستوى الحيـوان فلا تهـدأ نزواته البهيميـــة فينقلب الى حيـــوان مفترس لا يكاد ينتهـى من افتراس عفاف صيد حتى يمضي قدما في البحث عن صيد آخر ، في صورة جنونية ـــ أما هذا الرجل فانه ينحدر الى مســتوى لا تنحط اليـــه المرأة السوية .

والمرأة التي تبلغ بها شدة الغيرة وضراوتها أن تضع حدا لحياة أطفال لامرأة أخرى ولو كانت تحت التراب ! ـــ هذه المرأة تتردى الى هوة سحيقة تبعث على الخــزى لا يهوى اليهـــا الرجل السوى .

هذه هي القاعدة الرئيسية في نظام الاجتمـــاع الاســـلامى ، وللأحوال الاستثنائية والضرورات اجيز للمرأة أن تعمل ، كما لو فقدت المعيل او فقد المعيل القدرة على العمل أو عجـــز المال الذي يتقاضاه عن القيام بشؤون الأســـرة ، الى كثير من الأســـباب الأخـــرى .

الاشراف على شؤون الأسرة :

اكتشف التحليـــل النفســـى فـــى الانسان أن المرأة تسيطر عليها نزعة (Thnatos) وهو حب وقدرة خلاقة ، أما الرجل فان النزعة التي تغلب عليه هي نزعة (Thnatos) وهي جفاء وقدرة على التحطيم من جهة ، وقدرة مراقبة ونظيم من جهة أخرى . فاذا سيطرت نزعة (Eros) على المجتمع كان عليه طابع الامومة بما تملك الانثى من عبقرية ، واذا سيطرت عليه نزعـــة (Eros) كان عليه طـــــابع الأبـــوة بما للـــذكر من عبقريـــة . والحضارة التي تطبعها عبقرية الأنثى ـــ وهي عندما تتولى فيه مقاليد الأمور وتقوم بأدوار البطولة وينزوى فيهـــا الرجل ليقوم بدور المخنث ـــ ان هذه الحضـــارة لا بد مؤدية الى الفجـــور والانحلال والميوعة . والحضارة التي تطبعها عبقرية الذكر ـــ وهي عندما يستقل الرجـــل بتسيير دفة الحيـــاة مهملا المرأة تعين على هامش الحياة ـــ لا شك تنتهى الى الجفاف والعقم والتحجـــر .

وجاء الاسلام ليضع الاشراف على شؤون الأسرة بيد الرجل : ((**الرجال قوامون على النساء بما فضل اللـــه بعضهم على بعض**)) (النســاء : ٣٤) الا انه يحول بينه وبين نزعات الجفاء والتحطيم فحظر وأد البنـــات الـــذى كان يمارســـه المجتمع الذي طبعتـــه عبقرية الذكر ، ثم ترك له القدرة على ضبط النفس والتنظيم والتوجيه على أن يشـــاور المرأة : ((**وعاشروهن**

بالمعروف)) (النساء : ١٩) . **((وائتمروا بينكم بمعروف))** (الطلاق : ٦) . فصاغ مجتمعا نالت فيه المرأة كل حقوقها ، وأدت واجبها الفطرى وهو شؤون الزوجية ، ولم يفرض عليها الأعمال المنزلية كالطبخ والغسيل حتى ارضاع الوليد فانه ليس مفروضا عليها ، بل لها أن تأخذ عليه الأجر ان شاءت ، فتكافأت حقوقها مع واجباتها :

((ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة)) (البقرة : ٢٢٨) .

تعدد الزوجات :

ان تعدد الزوجات تشريع سابق للاسلام ، فقد اباحت الشريعة الاسرائيلية تعدد الزوجات فى حالة رغبة الزوج واستطاعته وأطلقته من غير تحديد لعدد معين ، وجاءت المسيحية فالتزمت الصمت ازاء مسألة تعدد الزوجات ، وقد ورد فى كلام بولس الرسول ما يفضل الاكتفاء بواحدة لرجل الدين لأن ذلك أهون الشرين ! وظل العالم المسيحى يبيح ذلك حتى القرن السادس عشر وقد أقره المصلحون لديهم أمثال مارتن لوثر ، وقد أوجبته بعض الطوائف المسيحية ، ففى أوائل العقد الرابع من القرن السادس عشر نادى اللامعمدانيون فى مونستر بأن المسيحى الحق ينبغى أن تكون له عدة زوجات ، ويعتبر المورمون تعدد الزوجات نظاما إلهيا مقدسا ! كما نقل كل ذلك (Westermarch) فى تاريخه .

أما الاسلام فانه أباح تعدد الزوجات على أن لا يزيد عن أربع : **((فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ، فان خفتم الا تعدلوا فواحدة))** (النساء : ٣) .

فأباحه ، مجرد اباحة ، لا وجوب فيها ولا استحسان ، واشترط لاباحته العدل بين الزوجات فمن لا يجد من نفسه القدرة على العدل بينهن لم يجز له ذلك .

وقد اشار القرآن الكريم فى موضع آخر الى صعوبة العدل حتى يفكروا مرتين ـــ كما يقولون ـــ قبل أن يتدموا عليه : **((ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم))** (النساء : ١٢٩) . اما اباحة تعدد الزوجات فهو قانون لمواجهة الطوارىء وأمر ضرورى لحالات استثنائية كثيرة تطرأ على المرأة والرجل وعلى المجتمع ايضا تكون فيها اباحة التعدد أفضل الحلول .

فقد تصاب المرأة بالعقم ، فان منعنا التعدد فاما أن يصبر الزوج ويبقى على زواج قد فقد معناه والهدف منه ، واما أن يلجأ الى الطلاق . وكذا اذا أصيبت بداء أقعدها عن أداء وظيفتها المنزلية . فهل هذان الحلان أفضل من اباحة التعدد ؟

لا شك أن صبر المرأة العقيم أو المريضة على التعدد أفضل لها من الطلاق ولفظها الى الخارج فى أشد الأوقات حاجة الى زوجها .

ولا شك أن اباحة التعدد أفضل للزوج من الصبر على زواج فاقد المعنى والهدف وأفضل له فى البقاء دون عقب يسكن ويطمئن اليه ويرضى به نزعته الى الخلود !

وقد تمر بالأمم أزمات يحدث بسببها زيادة فى عدد النساء على عدد الرجال ، كما يحدث ذلك فى أعقاب الحروب والثورات وقد يحدث فى أعقاب الأوبئة الفتاكة حيث لا تتعرض لها المرأة على الصورة التى يتعرض لها الرجل ، وحتى اذا تعرضا لها معا فان الاحصاءات تثبت قلة الفتك فى جانب النساء ولعله بسبب مناعة فى جسمها ضد الامراض أكثر



من المناعة التي يتمتع بها الرجل .

ويقول بعض المشتغلين بعلم الاحياء : أن هناك زيادة مطردة فى عدد الاناث لدى انواع كثيرة .

ففى كل هذه الحالات لا يوجد حل اسلم من السماح بتعدد الزوجات ، لأننا اذا منعنا التعدد بقيت طائفة من النساء بغير زواج ، فإما ان تسلك سبيل الغواية وإما أن تحافظ على عفافها ، وفى الحالة الاولى تصبح شرا على نفسها وعلى المجتمع ، وفى الحالة الاخرى تبتلى بالعقم والاضطراب النفسى الناشىء عن الكبت .

والذين ينقمون على الاسلام اباحته لتعدد الزوجات يغيب عن اذهانهم أن المرأة — فى الاسلام — حرة فى اختيار الزوج ، فان لم تشأ الزوج الذى يجمعها مع امرأة اخرى لم يكرهها النظام الاجتماعى عليه . أما حين تشاء ، فمن الذى يصادر حريتها ؟ أهو القانون الذى يبيح تعدد الزوجات ؟ أم الذى يحظره ؟

بقى شيء واحد ، وهو أن هذا هو التشريع الأصيل ، أما أن يحسن استخدامه أو يساء فان تبعات ذلك لا تقع على عاتق التشريع .

الطلاق :

اذا استحال بقاء الزوجين متفاهمين فلا بد حينئذ من الطلاق ، لأنه أرحم بهما فى هذه العلاقة البالية .

ولِمَ لم تمنح حق الطلاق ؟ لأنها انسان عاطفى يوافق على الشيء موافقة تامة ، فاذا تحولت عاطفته عنه فما أسرع ما يرفضه . والمرأة تعرف ذلك من نفسها فلتفكر — ولتكن واقعية فى ذلك — كم مرة سوف تطلق لو منحت ذلك الحق ، فان كل ثورة عاطفية — وما أكثرها — سوف يعقبها طلاق ، فلا يقر للأسرة قرار ، ويختل توازن نفوس الاطفال فى هذا الوسط القلق المضطرب .

الا أن الاسلام منحها حق الخلع : وهو أن يطلقها لقاء فداء تدفعه اليه ويجوز أن يكون اكثر من المهر ، وهذا يقع فى حال كراهية الزوجة فحسب، ومنحها حق المباراة : وهو مثل الخلع الا انه لا يجوز فيه أن يكون الفداء اكثر من المهر ، وهو يقع فى حال كراهيتهما معا .

والاسلام ينظر الى الطلاق والخلع والمباراة على أنها قسوة من المستحسن جدا اجتنابها مهما أمكن ، فالطلاق أبغض الحلال الى الله .

ولا يدخر الاسلام وسعا للحيلولة دون وقوعه : فاذا أحس الزوج بنفرة من زوجته فعليه بالصبر عسى أن تكون هذه النفرة عارضة وفى باطنها خير : **« فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا »** (النساء : ١٩) .

واذا شعرت الزوجة بجفوة من زوجها فعليهما بالصلح : **« وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير ، واحضرت الانفس الشح وأن تحسنوا وتتقوا فان الله كان بما تعملون خبيرا »** (النساء : ١٢٨) .

فان لم ينجح ذلك وبدت فى الافق امارات الشقاق بينهما : **« وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من أهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما ان الله كان عليما خبيرا »** (النساء : ٣٥) .

واذا عجزت هذه الوسائل كلها عن ايجاد الصلح بينهما فليس هناك مناص من الطلاق : **« وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما »** (النساء : ١٣٠) .

والاسلام يحفظ للمرأة حينئذ حقها فى المال فلا يجيز للرجل أن يمسك عنها شيئا فى صداقها : **« وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا اتاخذونه بهتانا واثما مبينا »** (النساء : ٢٠) .

واذا تم الفراق وجب على الزوج أن يتكفل لها بمعيشتها مع ابنائها طول مدة العدة : **« ومتعوهن على الموسع قدره ، وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف »** (البقرة : ٢٣٦) . **« أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فان ارضعن لكم فآتوهن أجورهن وائتمروا بينكم بمعروف وان تعاسرتم فسترضع له أخرى . لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا الا ما آتاه ، سيجعل الله بعد عسر يسرا »** (الطلاق :٦ر٧) **والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف »** (البقرة : ٢٣٣) . وكل الآيات التى وردت فى شأن الطلاق تؤكد المعاملة بالمعروف وتشدد فى النهى عن الايذاء او اى لون من الوان الاساءة .

الحجاب :

يقول الله تعالى : **« يا ايها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن فى جلابيبهن ، ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين »** (الاحزاب:٥٩) **« قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ان الله خبير بما يصنعون . وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن او أبناء بعولتهن او أخوانهن أو بنى اخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن او التابعين غير أولى الاربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن »** (النور : ٣٠ — ٣١) . **« يا نساء النبى لستن كأحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولا معروفا . وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى »** (الاحزاب : ٣٢ — ٣٣) .

فهذه الآيات الكريمة لا تترك مجالا للشك فى وجوب الحجاب على المسلمين ، فيجب على النساء أن يدنين عليهن من جلابيبهن ، والجلباب هو الثوب الواسع ، ويجب عليهن ان يضربن بخمرهن على جيوبهن اى ان يسترن صدورهن بما يغطين به رؤوسهن ، ولا يسمح لهن فى ابداء زينتهن الا ما ظهر منها دون ارادة ، ويجوز لهن أن يبدين زينتهن لأزواجهن مع الآباء والنساء والمماليك والتابعين الذين لا يرتاب فيهم والطفل الذى لا يدرك الامور الجنسية .

ولم يكن الاسلام مبتدعا للحجاب بل قد سبقه الى ذلك كتب العهد القديم والأناجيل ، وفرض اليونان العزلة على نسائهم والرومان وان لم يصنعوا صنيع اليونان الا أنهم حرموا على المرأة الظهور فى الطرقات بزينتها وحرموا عليها المغالاة بالزينة حتى فى البيوت .



وعندما فرض الاسلام الحجاب لم يفعل ذلك محافظة على التقاليد وانما ليطهر الجو من كل آثار الفتنة ولهذا نراه قد أجاز للاتى لا تحتمل فى حقهن الفتنة أن يضعن ثيابهن بصورة لا تتكلف فيها بابداء ما عليها من زينة : ((**والقواعد من النساء اللاتى لا يرجون نكاحا ، فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة ، وأن يستعففن خير لهن**)) (النور : ٦٠) .

واوجب غض البصر على الرجال والنساء سواء بسواء لأن النظر هو الباعث للتورط فى الاثم .

وينفر من هذا بعض المثقفين زاعمين أن هذا يتنافى مع الشعور المرهف وتذوق الجمال ، ولا يحظر الاسلام على المرء أن يستمتع بالجمال وأن يرضى ذوقه فى ذلك بل يفتح أمامه سبيل الزواج ليظفر بذلك كله عن طريق مشروعة .

فالتشريع الاسلامى يمنع الانسان من النظرة الآثمة ويحتاط لذلك اشد الاحتياط لئلا يلحق بالناس دنس او شرود فكر وضياع حيوية وهيجان على الاقل ، فيفقد المجتمع فكرا وحيوية وهدوءا نفسيا كان فى الأحرى أن يصرف نحو الرقى والتقدم .

ولم يعين الاسلام زيا خاصا ، لا للمراة ولا للرجل ، لأن الزى امر خاضع للتطور ، ولكل زمان زيه الخاص به .

فالحياة الهادئة تتطلب زيا خاصا يختلف عن الزى الذى تستلزمه الحياة المتحركة العنيفة ، فالعباءة مثلا كانت فى الماضى تناسب كل الطبقات من النساك والرعاة والامراء المترفين لأن الهدوء كان يسود حياتهم جميعا ، اما اليوم فلا يتصور أحد أن يرتدى العامل الذى يبنى أو يصلح الماكينة او اى عامل آخر العباءة ، لأن حياة المصنع والمعمل تستدعى النشاط .

الا أن الملبس ليس كمًا مهملا بالنسبة الى التوازن الأخلاقى وانما هو أحد العوامل التى يناط بها ذلك التوازن ، لأن له روحا تخصه وهو يساهم الى حد ما فى تكوين الشخصية ، ويضفى عليها لونا مميزا ونستطيع أن نلمس ذلك فى الشاب القوى الذى يرتدى لباس العجوز فان ذلك يؤثر فى نفسه وحتى فى مسيره وكذلك العجوز الذى يخلع ملابسه ليحل محل ملابس الشباب محلها فانه سرعان ما يظهر أثر ذلك فى نفسه وسلوكه . ومثل آخر شاب ضعيف يلبس لباسا رياضيا فانه يشعر أن روحا رياضيا يدب فى جسمه .

فالملبس له اهمية اذن بالنسبة الى التوازن الاخلاقى ، الا أن هذا يجب أن لا يقودنا الى الاعتناء بالشكليات أكثر مما تستحق .

وهو فى تطور دائم لأن لكل رجال لباسا ، الا أن هذا يجب أن لا يسلمنا الى التقليد بغباوة ودون التفات الى ما تقتضيه أحوالنا الدينية والاقتصادية وما تطالبنا به أذواقنا وحاسة الجمال لدينا .

ويشد انتباهى نفر ممن أصابوا ثقافة ممتازة يلهجون بأن الاسلام لم يفرض على المراة حجابا ، وينهضون الى كل من يتصدى لهم بالنقد فيمطرونه بوابل من الاتهامات !!

وهؤلاء قد أخذوا بالحياة الغربية واستقر فى أنفسهم أنمسايرة الزمن تنحصر فى تلقى كل ما جاء به الغرب بالقبول ، فأظهروا مرونة فائقة وحنوا رؤوسهم له واتخذوه قبلة لهم ،

وضربوا بالقرآن عرض الحائط ، وراحوا يفتشون عن منافذ « شرعية » يعززون بها آراءهم ، وهم يجيدون البحث فى ذلك فينقبون فى بطون الكتب ليعثروا على خبر هنا ورواية هناك يضمون بعضها الى بعض ليسوقوا لنا « دليلا » ! على أن الاسلام لم يفرض الحجاب ، بل هو قد حث على التخففمنه !!!

وليتهم جشموا أنفسهم عناء يسيرا فبسطوا القرآن ليتلوا تلك الآيات البينات التىترفض الحجاب بما لا يدع مجالا لشك ، الا أنهم يمرون بها مهرولين دون أن يعنيهم الالتفات اليها واذا ذكرهم بها مذكر تصامموا عنه لأنه سوف يضيع عليهم فرصة العمر !

وكأنهم قد غاب عن أذهانهم أن الخبر مهما بلغ من القوة فانه ليس يقوى على الوقوف أمام آية صريحة من الذكر الحكيم .

أما المسلم الموضوعى فحين تصادفه مشكلة يريد حلها فى ضوء تعاليم دينه فانه يعالج الموضوع بجد ويستطلع رأى القرآن فى ذلك دون أن يأتى بفكرة مسبقة ثم يحاول أن يفسر عليها بعضا من آيات الكتاب ، ثم اذا اطمأن الى شىء عمل بدون هوادة على تغيير البيئة لتوافق عقيدته .

أما أن يقف موقفا متخاذلا يتقوّل فيه على الاسلام بما ليس منه ولا تواتيه الشجاعة أن يكون مسلما حقا أو غير مسلم ، فأحرى به أن يترك هذا الخور فى العزم ويمزق الأقنعة ليفصح عن شخصيته الحقيقية .

وليست مسألة الحجاب عقدة مستحكمة وانما تتطلب من الباحث شيئا واحدا وهو أن يمارس عملية « تعقيل الأهواء » .

فبدل أن نثير ضبابا يجعل الرؤية شبه متعذرة نلقى نظرة على الآيات التى استعرضت مسألة الحجاب دون أن نعتسف فى تفسيرها أو نأتى بطابور من الروايات ان صح سندها فليس هناك من يعتبرها فى مستوى حجية القرآن الكريم .

هذه هى المنزلة الرفيعة التى تحتلها المرأة فى التشريع الاسلامى والتى لم تمنح ما يقرب منها فى أى تشريع آخر قديم أو حديث ، فكل ما نالته المرأة من حقوق فى التشريعات الحديثة لم تظفر بها الا بعد انتفاضات عنيفة وثورات دامية واضرابات مستمرة .

أما المكانة والحقوق التى وهبت اياها فى الاسلام فقد حصلت عليها دون هذا كله . بل دون أن تطالب بها ، فخولت هذه المكانة ومنحت هذه الحقوق لكونها مخلوقا انسانيا خلقه الله سبحانه مكملا للرجل ومعينا له ، ولأن الشريعة الاسلامية قد أرسيت قواعدها على الحق والعدل .

وهناك قسم كبير من مجتمعنا الحاضر يعانى من نكسة كالنكسة التى لازمت المجتمع الجاهلى ، الا أننا لا نستطيع — اليوم — أن نئد البنات لأن هناك بقية من القانون الأخلاقى الاسلامى يمسكنا ، وقانونا جنائيا يغلّ أيدينا ، ولكننا ان لم ندسهن فى التراب وهنّ احياء فاننا ندفنهن فى ظلام الجهل !!

« واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون » (المائدة : ١٠٤) .



وإذ قال عيسى ابن مريم يا بنى إسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التـــوراة ومبشرا برسول ياتى من بعدى اسمه احمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين .

صدق الله العظيم

قال صلى الله عليه وسلم : ان لى اسماء : انا محمد ، وانا أحمد ، وانا الماحى الذى يمحو الله به الكفر ،وانا الحاشر الذى يحشر النـــاس على قدمى ، وأنا العاقب الذى ليس بعده نبى .

الــم نشرح

حكى عن العتبى قال : كنت ذات ليلة فى البادية بحالة من الـغم ، فالقى فى روعى بيت من الشــعر فقلت :

أرى المــوت لمن أصبــ
ـح مغمـــوما له أروح

فلما جن الليل سمعت هاتفا يهتف:

الا أيهـــا المرء الــ
ـذى الهــم به برح
وقـد انشد بيتــا لـم
يزل فــى فكــره يسنح
اذا اشتـد بـــك العسر
ففكــر فى ((الــم نشرح))
فعســـر بين يســرين
اذا أبصرتـــه فافــرح

فحفظت الأبيات وفرج الله همى .

فقــه عــلى

جاء فى كتاب المغنى لابن قدامه : أن عمر بن الخطاب رضى الله عنـــه استدعى يوما امراة لسؤالها ، فقالت: يا ويلها . ما لها ولعمر ؟ فبينما هى فى الطريق اذ فزعت وفاجأها الطلق ، فألقت ولدا صاح صيحتين ثم مات ، فاستشار عمر أصحابه ، فأشـــار بعضهم ان ليس عليك شىء انما انت وال ومؤدب ، وصمت على رضى الله عنه ، فأقبل عليه عمر فقال له : ما تقول يا أبا الحسن ؟

فقال : ان كانوا قالوا برايهم فقد اخطأوا رايهم وان كانوا قالــوا فى هواك فلم ينصحوك .. ان ديته عليك لأنك افزعتها فألقته .. واستجــاب عمر لهذا الراى .

الغوغاء

الغوغاء : صغار الجراد ، ثم استعير للسفلة من الناس والمتسرعين الى الشر .

العتيق والهجين

العتيق : الجواد الأصيل ، والهجين : الجواد غير الأصيل ، والهجنة فى الخيل انما تكون من قبل الأم ، فاذا كان الأب عتيقا والأم ليست كذلك كان الولد هجينا .

وأول من فرق بينهما القائد الفاتح سلمان بن ربيعة الباهلى . اذ دعا بطست فوضعت على الأرض ، ثم قدمت الخيل اليها واحدا واحدا ، فما ثنى سنبكه (طرف حافره) ثم شرب هجنه ، وما شرب ولم يثن سنبكه جعله عتيقا ، لأن أعناق الخيل العتاق طوال ، فهى لا تثنى سنبكها لطول اعناقها ، ولأن أعناق الهجن ، قصار ، فهى لا تنال الماء الا بثنى سنبكها .

احسن من القمر

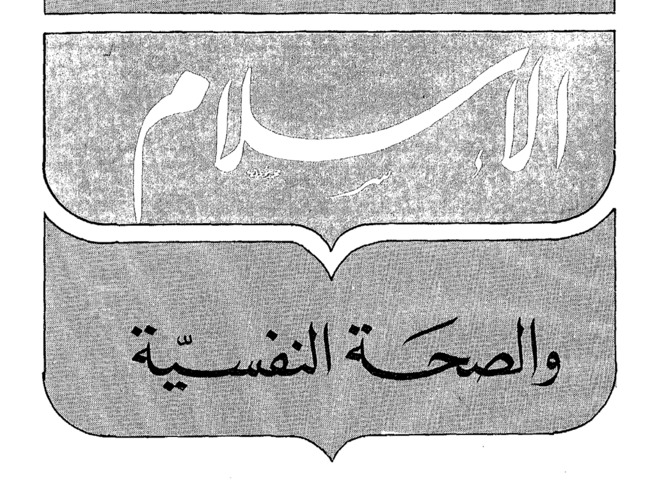
قال رجل لامرأته مداعبا : انت احسن من القمر ، فظنت الزوجة انه يسخر منها ، فأكد لها قائلا (انت طالق ان لم تكونى احسن من القمر)

فظنت الزوجة انها اصبحت طالقة ، فذهبت مع زوجها الى فقيه لاستفتائه فقال لها الفقيه ان يمين زوجك صحيحة وانك لم تطلقى لانك فعلا احسن من القمر والدليل على ذلك قول الله عز وجل ((لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم)) فانت من بنى الانسان ، وبنو الانسان خلقهم الله فى احسن صورة .

* * *

لحم القطط

اتفق العلماء على حرمة لحم القطط التى تعيش فى البيوت وهى صاحبة أنياب تفترس بها الطيور الصغيرة والفئران ، وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم (أنه نهى عن اكل لحم الهر) .



للأستاذ على القاضى

الصحة النفسية تعبير حديث يقصد به : أن يكون الانسان قادرا على التوافق مع نفسه ومع المجتمع الذى يعيش فيه بنفس خالية من الاضطرابات مليئة بالتفاؤل والأمل . فالشخص الصحيح نفسيا هو الذى يواجه مشكلات الحياة بأسلوب موضوعى فيحلها وكأنها ليست مشكلته وبذلك لا يهرب منها ولا يقابلها بانفعالات تؤذى ولا تفيد .

والاسلام جاء ليخرج الناس من الظلمات الى النور .

والقرآن أنزله الله ليكون شفاء ورحمة للمؤمنين (**ونتنزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين**) ذلك لأن الايمان بالله نور يشرق فى القلب فتشرق به النفس فيرى الانسان الطريق أمامه واضحا فلا يصيبه اضطراب ولا قلق .

وعقيدة الاسلام حين تتغلغل فى النفس تدفعها الى سلوك ايجابى سليم يجعل المؤمن مطمئنا ثابتا (**يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة**) .

والاسلام يجعل المسلم مرتبطا بالله تعالى فى كل خطوة من خطواته فهو يؤمن بالله وحده لا شريك له ومنه يستمد القوة والعون وهو يصلى لله خمس صلوات فى كل يوم يتلو فى كل صلاة (**إياك نعبد وإياك نستعين**)

عدة مرات ، ومن يجعل الله هو العون له فـــانه يحس بالأمن والطمأنينـــة والراحة لأنه يحس بأقوى سند فى هذه الحياة .

الصحة النفسية فى الطفولة :

يقول علماء النفس : (ان شخصية الانســـان تبدأ فى التكوين فى الأيام الأولى من الحياة ويتم تكوينها سريعا وتتبلور ملامحها من الصور المتلاحقة التى يستقبلها جهاز الأطفال العصبى والتى تتجمع من سلوك الآباء والأبناء) ولهذا كانت الدعوة الى الصـــــلاة والتمسك بها والصبر عليها من أهـــم الأشياء التى دعـــا اليها الاســـلام **(وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها)** فالصلاة تجعل النفس تطمئن فتحس بأنها فى حمـــاية الله فتهدأ من قلق الوحدة وتشعر بالحماية من كل شر إلا ما شاء الله ، وفى الابتلاء تصبر هذه النفس على البلاء لتنال رضوان الله وتهدأ لأنهـــا تحس بأنها ليســت وحدها فى الوجود وكل ما حولها من صنع الله وهو صديق لها لأن اللـــه سخرها له **(سخر لكم ما فى الأرض جميعـــا)** فالنفس المسلمـــة ليســت كالنفس الغريبـــة التـــى تحس بـــأن الطبيعة عدو لها فهى لذلك فى صراع دائم معها .

ولقد حرص النبى الكريم على أن يغرس فى الناشئة من أبناء المسلمين أركان الصحة النفســـية حتى تكون حياتهم خالية من الاضطرابات والقلق وحتى تكون نفوسهم سليمة ومن ذلك أنه أوصى عبد الله بن عباس (وقـــد أردفه خلفه وهو صبى) أن يداوم الصلة بالله حتى يدوم له الأمن والطمأنينـــة فقـــال له : « يا غـــلام . احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، تعرف الى الله فى الرخاء يعرفك فى الشـــدة واذا سألت فاســـأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك ولـــو اجتمعت على أن يضروك لـــم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك» .

ومن الملاحظ أن بلوغ سن الرشد الدينى للمسلم يأتى فى مرحلة مبكرة عن سن الرشد الاجتماعى وفى ذلك فائدة كبيرة للفرد المسلم ذلك لأنـــه سيخرجـــه الى الحيـــاة وهو حامل لرصيد كبير من الأسس النفســـية السليمة ومن الصلة القوية بالله ومن يقظة الضمير ومن توافق الانسان مع نفسه الأمر الذى يجعله يتغلب على صعوبات الحياة وتتزن انفعالاته فى فترة المراهقة بعد أن يكون قد تمكن من السيطرة على كافة نزعاته وذلك بفضل الإيمان الذى ينتج عن التربية الدينية الصحيحة وهـــو الدواء لكن مسلم إذ يحل له جميـــع مشـــكلاته ويجعـــله يعيش فى هـــدوء وعمل مستمر .

مطالب الإنسان فى الحياة :

لكل إنسان مطـــالب فى الحيـــاة بعضـــها يتحقق وبعضـــها لا يتحقق والإنســـان اذا أصـــابه خير فـــرح واستبشر واذا أصابه ضر ضاق وحزن وقد يؤثر هذا فى نفســـه ويؤثر فى سلوكه وقد يصيبه بالقلق والأمراض النفسية المختلفة والأمراض الجسمية المتنوعة .

والاسلام يعالج هذه الناحية فيبين للمسلم أن الشىء الذى يحبه قد لا يكون فيـــه الخير وأن الشىء الذى يكرهه قد لا يكون فيه الضر وعلم ذلك عند الله **(وعسى أن تكرهوا شـــيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شـــيئا وهـــو شر لكم واللـــه يعلم وأنتـــم لا تعلمـــون)** وبهذا يســـتريح قلب الانسان فلا يصبح موضع صراع لأنه يحس بأن ما أصابه من خير أو شر

هو خير بالنسبة له وان كان لا يعلم فيه وجه الخير .

قد يفكر الانسان فى عمل شىء ويقف مترددا هل يقدم او يحجم ؟؟ ان على الانسان أن يبحث هذا الأمر من جميع الزوايا وأن يستشير فيه أهل الذكر والأصدقاء والأخوة فان لم يهتد الى راى قاطع فعليه أن يستخير الله ويطلب منه العون فى قالب عبادة يصلى ركعتين تطوعا ثم يدعو الله بدعاء مخصوص ثم يستخيره فأى شىء يوجهه الله اليه ففيه الخير ودعاء الاستخارة موجود فى كتب السنة وفى كتب الفقه وهو (**اللهم انى أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسالك من فضلك العظيم فانك تقدر ولا اقدر ، وتعلم ولا أعلم ، وانت علام الغيوب اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر (ويسمى حاجته) خير لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى فاقدره لى ويسره لى ثم بارك لى فيه ، وان كنت تعلم أن هذا الأمر شر لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى فاصرفه عنى وأصرفنى عنه واقدر لى الخير حيث كان ثم رضنى به) .**

وبهذا يستريح قلبه ويطمئن فؤاده فإن الله الكريم هو الذى اراد له هذا ففيه الخير كل الخير حتى وان كان لا يظهر له ذلك .

داخل المجتمع الإسلامى :

المسلم داخل المجتمع فى حاجة الى الأمن والطمأنينة ولذلك فقد جعل الله الصلة بين المسلمين هى صلة المودة فهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالحمى والسهر فهم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا والمسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه وهو الناصح الأمين له وهو الصديق الذى يشاركه فى أفراحه وأحزانه .

والحب فى الله له مكانة عالية والاسلام يوجه المسلمين هذه الوجهة القوية ليستمر فيها ويسير عليها فالمتحابون فى الله لهم مكانة عالية عند الله يغبطهم عليها الأنبياء والشهداء (ان من عباد الله اناسا ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء لمكانتهم من الله قالوا : يا رسول الله من هم ؟ قال : قوم من أمتى تحابوا على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها فوالله انهم لفى نور ولا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس) .

والحياة بين المسلمين حياة تعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان ، والتسامح هو الطريق الذى يزيد المودة بينهم ويبعد البغضاء **(ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم)** وكظم الغيظ والعفو عن الناس دليل قوة النفس وتقوى الله ولقد كان الرسول الكريم قدوة فى ذلك كله .

والإنسان وحده قد يكون ضعيفا لا يقوى على تيار الحياة وصعوباتها وقد تنتابه الانفعالات المختلفة التى تؤثر على صحته الجسمية والنفسية ولذلك ينصحه القرآن بأن يصبر نفسه مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه والمسلم بهذا مستقل عن القيم الزائفة فى مجتمعه لأنه يؤمن بالقيم التى اقرها الاسلام .

وتطلع الانسان الى ما فى يد غيره وتطلعه الى ان يكتسب أشياء فوق قدراته المادية والجسمية واستعداداته الفطرية يجعل الانسان دائم الضيق والالم وقد يدفعه هذا الى الانحراف حتى يصل الى مثل ما وصل اليه غيره والقرآن يعالج هذه الناحية فيطلب من المسلم القناعة **(ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض)** فان اراد شيئا فليسأل الله من فضله فان أعطاه

شكر وان لم يعطه صبر وله الثواب فى الحالتين . ومع ذلك فقد يكون ما فى يد غيره مقصود به الفتنة وقد عافاه الله منها **(ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى)** فتستريح نفسه ويشكر الله الذى عافاه من هذا الابتلاء ويُبعد نفسه بذلك عن كثير من المشكلات النفسية وهو بهذا يستعلى عن المغريات ولو كان فى حاجة اليها ويتوج هذا كله بأن يطلب المسلم من الله أن يصفى قلبه والا يجعل فيه غلا لأحد **(ولا تجعل فى قلوبنا غِلا للذين آمنوا)** .

والاسلام يعطى للفرد اهميته ويجعل له مكانا مستقلا عن الناس جميعا حتى ولو ظن غير ذلك (كلكم على ثغرة من ثغر الاسلام فلا يؤتين من قبله) وهو بهذا يجعله يثق بنفسه ويبعده عن الأمراض النفسية اذ هى نوع من فقدان الثقة بالنفس وفقدان الامل .

وعلاج هذه الأمراض النفسية يكون بالايمان الذى ينتج عن التربية الدينية الصحيحة .

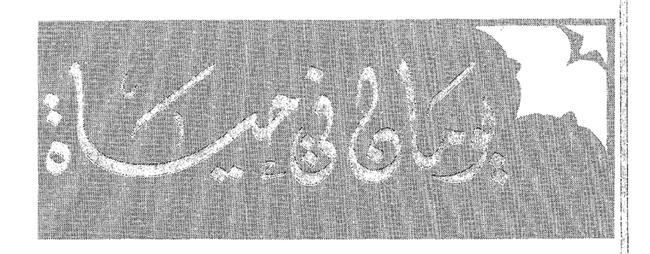
المسلمون فى فترات الشدة :

تمر بالمجتمع الاسلامى فترات شدة حين تكون الحرب مستمرة بين الكفار والمسلمين وحين ينهزم المسلمون فى موقعة من المواقع فيستولى الحزن على نفوسهم لانتصار اعدائهم عليهم. وحتىلا تتأثر صحتهم النفسية وروحهم المعنوية بذلك يبين لهم القرآن الكريم أن المسلم قوى فى كل حالاته ما دام متصلا بالله مؤديا لواجبه وعلى المسلمين الا يهنوا ولا يضعفوا وعليهم الا يحزنوا ولا ييأسوا فهم الأعلون فى كل وقت حتى وإن انهزموا فان كل ما لاقوه من صعوبة هو فى ميزان حسناتهم ومن استشهد فله الجنة ، والى جانب ذلك فان الأعداء قد أصابهم من الشدة مثل ما اصاب المسلمين وما هذه الهزيمة الا اختبار لمدى صبرهم على البأساء والضراء حتى يتبين الصادقون من غيرهم **(ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الأعلون ان كنتم مؤمنين . إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين)** .

ثم يطلب الله جل شأنه من المسلمين أن يكونوا متفائلين دائما وأن يبعدوا اليأس عنهم فان المؤمن متفائل دائما لأنه يحس بأن الله معه دائما **(ولا تيأسوا من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون)** . ويطمئنهم بأنه معهم دائما اذا سألوه فانه قريب منهم يجيبهم اذا دعوه **(واذا سالك عبادى عنى فانى قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان)** . وهذا نهاية الأمن والطمأنينة التى يحتاج اليها الانسان .

وفى ظلال التربية الاسلامية لا نجد شيئا من الأمراض النفسية التى تجعل حياة الناس جحيما لا يطاق .

وفى ظلال التمسك بالقيم الاسلامية يعيش الناس جميعا فى رضا وفى هدوء وفى سعادة ، كل فرد يحس بكيانه يعرف حقوقه وواجباته يحس بأن من فى الكون وما فى الكون صديق له فالناس أخوة له يحبونه ويتعاونون معه ويعملون معه فى سبيل هدف مشترك لخير الناس جميعا والطبيعة كلها مسخرة لمصلحته يستخدمها بالطريقة التى تفيده . وبذلك يرضى عن نفسه وعن مجتمعه ويرضى عنه مجتمعه وهذا نهاية ما يؤمله كل مجتمع من المجتمعات التى تريد أن تحيا حياة سعيدة .



للدكتور محمد الدسوقى

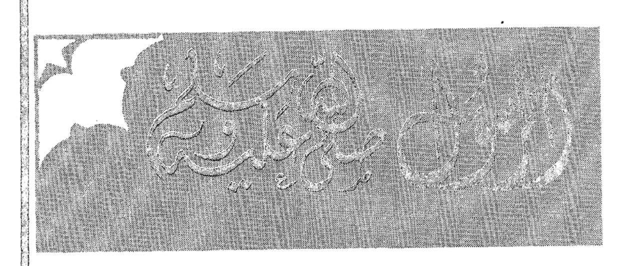
١ ــ فى حياة الرسل والأنبياء والمصلحين والمجددين أيام مشهورة وأحداث بارزة تعكس مبلغ ما بذل هؤلاء من الجهاد والكفاح من أجل ان تسود كلمة الحق والخير ، كما تعكس أيضا سطوة الباطل وحرصه الشديد على التصدى دائما لدعوات الهداية والاصلاح .

وكان خاتم الهداة والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم المثل الكامل فى كل شىء ، وكانت حياته المباركة كلها صفحة مشرقة بجلائل الأعمال ، ومن ثم تعد هذه الحياة بلا جدال الأسوة الحسنة للدعاة فى سبيل الله ، والصورة المثلى للبذل والفداء ، والآية الصادقة على أن الايمان الذى لا تشوبه شائبة ما لا تنال منه أعاصير البغى والكفر مهما قست وطغت ، ولا تزيده الشدائد والمصائب الا مضاء فى العزيمة وثباتا فى اليقين واصرارا على الجهاد والتضحية .

٢ ــ ولا مجال فى هذه الكلمة للحديث عن تلك الحياة الفريدة فى تاريخ البشرية ، ومهما يكتب الكاتبون فيها فانها ستظل أبدا فى حاجة إلى مزيد من الحديث عنها ، والكشف عن مثلها وقيمها الرائعة ، فهى غنية بالمثل والقيم التى يبحث عنها الانسان فى ظل الحضارة المادية الحديثة ، عله ينجو مما يقاسيه من القلق والاضطراب ، ولكنى ــ تحية لذكرى المولد الشريف ــ أقصر الحديث فى ايجاز على يومين من حياة رسولنا الكريم هما :

أ ــ يوم الطائف .

ب ــ يوم الفتح .



لأنهما وإن تفاوتا من حيث ما وقع فيهما للرسول عليه الصلاة والسلام تجمعهما صفة الرحمة والرأفة فى حياة الرسول العظيم .

٣ — والحديث عن يوم الطائف يقتضى الاشارة الى طرف من الأحداث قبله، فقد كانت الجاهلية فى مكة منذ صدع محمد بأمر ربه تحاول ما استطاعت أن تحول بين محمد وما يدعو اليه ، وكانت تسوم المؤمنين برسالته كل الوان الأذى والعنت ، بيد أنها ما كانت تجرؤ على إيذاء الرسول كما كانت تؤذى اصحابه واتباعه ، لمكانة عمه ابى طالب فى قريش ، ولبطولة هذا العم فى الدفاع عن ابن أخيه (١) ، وليس أدل على هذا من موقفه يوم قدم وفد قريش اليه قائلا له ! يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا وسفه احلامنا وضلل آباءنا ، فإما أن تكفه عنا وإما أن تخلى بيننا وبينه ، فانك على مثل ما نحن عليه من خلافه، فقال لهم أبو طالب قولا جميلا ، وردهم ردا رفيقا فانصرفوا عنه ، وهم يحسبون أنه سيقف دون محمد وما يدعو اليه ، ولكن محمدا مضى فى طريقه يبلغ رسالة ربه غير عابىء بما تضعه الجاهلية من اشواك أمامه وأمام الذين آمنوا به .

وذهب وفد قريش مرة ثانية الى ابى طالب واتسمت لهجتهم فى الحديث معه هذه المرة بالجدة والتهديد بالحرب إن لم يمنع ابن اخيه من سب الآلهة والآباء ، وتسفيه الأحلام وفتنة الأرقاء والضعفاء ، واحتار الشيخ الوقور بين مشاعره نحو ابن اخيه واحساسه بالانتماء إلى قومه ، ولم يجد خلاصا مما هو فيه من حيرة سوى أن يبعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعلمه ما قالت قريش ، ثم أردف هذا بقوله : ابق على نفسك وعلى ولا تحملنى من الأمر ما لا أطيق ، وما كاد أبو طالب يلفظ بهذه العبارة فى هدوء يشوبه القلق والأسى حتى استولى على الرسول احساس بأن عمه قد خذله وضعف عن نصرته ، غير أن هذا الاحساس لم ينل من الإيمان الذى لا يغلب ولا يهن ، فقال الرسول

لعمه تلك القولة التى اصبحت شعارا للفداء وثبات اليقين : يا عماه والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى شمالى على ان أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو اهلك دونه . . ما تركته (٢) .

ويروى أن الرسول بكى بعد هذا وقام منصرفا ، ولكن عمه ناداه وقال له : اذهب يا ابن اخى فقل ما أحببت فوالله لا اسلمك لشىء أبداً ، وانشد :

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى اوسد فى التراب دفينا (٣) .

٤ ــ فلما توفى أبو طالب فى السنة العاشرة من المبعث ، وتوفيت بعده بقليل السيدة خديجة رضى الله عنها حزن الرسول لموتهما حزنا شديدا حتى سمى العام الذى ماتا فيه عام « الحزن » .

وبموت أبى طالب وخديجة تتابعت الشدائد والمصائب على رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) ، فخديجة رضى الله عنها كانت سندا لزوجها بما توليه من حبها وبرها ومن رقة نفسها وطهارة قلبها وقوة إيمانها (٥) لقد كانت له وزير صدق على الابتلاء يسكن (٦) اليها فتهون عليه كل شدة وتزيل من نفسه كل خشية ، وأما ابو طالب فقد كان لابن أخيه حمىوملاذا من خصومه وأعدائه ، ومن ثم تجرأت قريش على الرسول صلى الله عليه وسلم بعد موت عمه وزوجه ، وأسرفت فى إيذائه والاساءة اليه ، فقد روى عن ابن مسعود قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى عند البيت وابو جهل واصحابه جلوس وقد نحرت جزور بالأمس فقال أبو جهل : ايكم يقوم إلى جزور بنى فلان فيضعه بين كتفى محمد « عليه الصلاة والسلام » إذا سجد ؟ فانبعث أشقى القوم فأخذه .

فلما سجد النبى صلى الله عليه وسلم وضعه بين كتفيه فاستضحكوا ، وجعل بعضهم يميل على بعض ، وانا قائم انظر ، لو كانت لى منعة طرحته عن ظهره ، والنبى صلى الله عليه وسلم ساجد ما يرفع راسه حتى انطلق انسان فاخبر فاطمة .

فجاءت ــ وهى جويرية ــ فطرحته عنه ، ثم اقبلت عليهم تشتمهم (٧) .

كما يروى أن بعض سفهاء قريش نثر على راس الرسول ترابا ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته والتراب على رأسه ، فقامت إحدى بناته تغسله وتبكى ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا تبكى يابنية فإن الله مانع أباك . . ثم كان يقول بين ذلك : ما نالت منى قريش شيئا اكرهه حتى مات أبو طالب (٨) .

٥ ــ وضاق الرسول بمكة بعد أن ضاقت به وتنكر له الناس حتى اقربهم إليه وادناهم منه ، فخرج إلى ثقيف بالطائف يلتمس عندهم النصر والعون والجوار (٩) ، وبين مكة والطائف نحو خمسين ميلا والطريق وعر ، يخترق سلسلة من الجبال ، وقد قطع محمد صلى الله عليه وسلم هذه المسافة ــ فى ذهابه ورجوعه ــ على قدمه ، ولم يكن معه غير مولاه زيد بن حارثة ، وحين انتهى الرسول الى الطائف عمد الى جماعة من أشراف ثقيف ، ودعاهم الى الاسلام ، فسخروا منه وهزئوا به ، ومكث الرسول يتردد على منازل القوم

عشرة أيام ، فما رأى منهم جميعا إلا ردا منكرا ، فلما يئس عليه السلام من خيرهم طلب منهم ان يكتموا عليه أمره معهم حتى لا تزداد عداوة أهل مكة له ، وشماتتهم به ، ولكن القوم كانوا أخس مما ينتظر ، فقد قالوا له : اخرج من بلدنا ، ولم يكتفوا بذلك ، فقد حرشوا عليه الصبيان واغروا به السفهاء والعبيد يسبونه ويرمونه بالحجارة ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس في صورة كريهة تبعث على الأسى والألم وزيد بن حارثة يحاول ـ عبثا ـ الدفاع عنه حتى شج في ذلك رأسه (١٠) .

وكان الرسول يحاول أن ينأى عن هؤلاء السفهاء الذين تملكتهم حمى السخرية والايذاء ، ولكنهم ظلوا يطاردونه ويركضون وراءه حتى وجد نفسه أخيرا يدخل بستانا ، فانصرفوا عنه ، وقد ادموه وأرهقوه كل ارهاق .

٦ ـ وأوى الرسول إلى ظل شجرة في بستان ابني ربيعة بعد هذه المطاردة المؤلمة ، وقد عز عليه ما كان من ثقيف التي سعى اليها يدعوها للتي هي اقوم ، ويلتمس لديها الجوار والنصرة ، فلم يجد منها الا القسوة والجفوة وسوء الخلق وكان هذا الذى حدث له في الطائف ذكره بما حدث له في مكة فاتجه الى السماء قائلا : اللهم إليك اشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس ، انت ارحم الراحمين ، انت رب المستضعفين وانت ربى ، إلى من تكلنى ، ، إلى بعيد يتجهمنى أم الى عدو ملكته امرى ؟ ان لم يكن بك غضب على فلا أبالى ، غير أن عافيتك هي أوسع لى ، اعوذ بنور وجهك الذى اشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن يحل على غضبك ، أو ينزل بى سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بك (١١) .

٧ ـ وكان يوم الطائف أو ثقيف لما أومأت اليه أشد الايام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وظل عليه السلام يذكر هذا اليوم وما كان فيه من حماقة أهل الطائف ، فقد روى عن السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : هل اتى عليك يوم اشد من احد(١٢) ؟ قال : لقيت من قومى ما كان أشد ، قال : وكان اشد ما لقيت منهم يوم ثقيف ، إذ عرضت نفسى على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبنى الى ما أردت فانطلقت على وجهى وانا مغموم فلم استفق الا انا وبقرن الثعالب (١٣) فرفعت رأسى فاذا انا بسحابة قد اظلتنى فنظرت فاذا فيها جبريل فنادانى فقال : ان الله قدسمع قول قومك لك وما ردوا عليك ، وقد بعث اليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم ، فنادانى ملك الجبال ، فسلم على وقال : يا محمد : انا ملك الجبال ، وقد بعثنى ربى اليك لتأمرنى بما شئت فان شئت ان اطبق عليهم الأخشبين (١٤) فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا (١٥) .

هذا يوم الطائف ، يوم بلغت فيه الجهالة والضلالة ذروة المنكر والشر ، كما تجلت فيه بعض أخلاق النبى الأمى الذى بعثه ربه رحمة للعالمين وأثنى عليه في كتابه المبين بقوله تعالى : وإنك لعلى خلق عظيم (١٦) .

٨ ـ ولم يستطع الرسول دخول مكة بعد رجوعه من الطائف حزينا إلا

فى جوار المطعم بن عدى ، فالجاهلية فى تلك المدينة قد اهتبلت تلك الأحداث التى ألمت بالرسول فأدخلت على قلبه الحزن الشديد ، وأخذت تفكر جديا فى قتله وتصب العذاب صبا على كل من آمن به ، فكان دخول مكة بعد يوم الطائف محفوفا بالمخاطر الجسيمة ، وكان الجوار ضروريا لتجنبها حتى يقضى الله أمرا كان مفعولا .

واخذت الاحداث تترى بعد ذلك ، والكفر لا يدخر وسعا فى عدوانه وطغيانه والرسول الأمين لا يألو جهدا فى تبليغ ما أمره الله به ، ثم كانت الهجرة الى يثرب لا فرارا من البطش والاضطهاد ولكن تحولا إلى بيئة جديدة تصلح للدعوة الخاتمة حتى يمكن أن تقام الدولة وتعد القوة ، حماية للحق وتمكينا له ، وردعا للباطل وقضاء عليه ، فالحق بلا قوة تذود عنه فكرة ذهنية مجردة لا تستطيع أن تعيش فى دنيا الناس ، ولهذا خاضت القلة المؤمنة بعد الهجرة معارك عديدة ضد الكثرة المشركة ، فما اجدت كثرة هؤلاء شيئا ، وما حالت قلة المؤمنين بينهم وبين الظهور على أعدائهم من المشركين والمنافقين واليهود .

٩ — وأما يوم الفتح فقد كان فى شهر رمضان من السنة الثامنة للهجرة ، كان قمة الانتصار لدعوة الحق ، ففى هذا اليوم دالت دولة الشرك ، وطهر البيت الحرام من الاوثان والاصنام ، ودخل الناس بعده فى دين الله أفواجا .

على أن يوم مكة أو فتحها لا يمثل عدوانا على أهلها ، فهم قد نقضوا ما شرطوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى صلح الحديبية ، إذ كان من مبادىء هذا الصلح أن من احب ان يدخل فى عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده فليدخل فيه ، ومن احب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم فليدخل فيه ، فدخلت بنو بكر فى عقد قريش وعهدهم ، ودخلت خزاعة فى عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده (١٧) .

ودفعت سورة الحقد الجاهلى قريشا وحلفاءها من بنى بكر الى مهاجمة خزاعة — وهى مع المسلمين فى حلف واحد — وقاتلوهم فأصابوا منهم رجالا وانحازت خزاعة الى الحرم ، اذ لم تكن متأهبة لحرب ، فتبعهم بنو بكر يقتلونهم وقريش تمدهم بالسلاح وتعينهم على البغى(١٨) .

١٠ — وفزعت خزاعة ، لما حل بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تخبره بما أصابها وبما كان من تحالف قريش مع بنى بكر عليها ، بالاضافة الى أن ما قامت به قريش نقض صريح للعهد ، ولا سبيل إلى نصر خزاعة والرد على نقض العهد الا بإعداد الجيوش لفتح مكة حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله .

ولم يمض وقت طويل حتى كان المسلمون قد تجهزوا للسير نحو مكة ، ولم تنجح محاولات قريش فى اقناع الرسول بالعدول عن عزمه ، ولم يترك الرسول لأهل مكة الفرصة حتى يستعدوا للقائه ، حرصا منه عليه السلام على ان يباغت القوم فى غرة منهم فلا يجدوا له دفعا فيسلموا من غير أن تراق الدماء ، ولذلك كانت أوامر الرسول للقواد الا يحاربوا او يسفكوا الدم الا اذا أكرهوا على ذلك ، ليدخل المسلمون البلد الحرام آمنين مطمئنين ، وليظل

لهذا البلد قدسيته وحرمته فلا يخاف فيه انسان ولا تزهق فيه أرواح ، ولـــذا يروى أن زعيم الأوس سعد بن عبادة حين ذكر ما فعل أهل مكة وما فرطوا فى جنب الله ، وأدرك أنهم لا حول لهم أمام قوة المسلمين صاح قائلا : اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الحرمة . وبلغت هذه الكلمة مسامع الرسول صلى الله عليه وسلم ، فأمر بنزع اللواء من سعد ، ودفعه الى ابنه مخافة أن تـــكون لسعد صولة فى الناس (١٩) .

١١ ـــ وكان جيش المسلمين نحو عشرة آلاف مجاهد ، وقد دخل هذا الجيش مكة دون مقاومة او قتال اللهم الا ما كان من الفرقة التى قادها خالد ابن الوليد ، فقد اعترض لها بعض المشركين ، ولكنهم لم يصمدوا أمام بأس خالد ورجاله وولوا منهزمين .

وبعد أن أخذ الرسول الكريم حظا قليلا من الراحة فى قبته التى ضربت له على مقربة من قبرى أبى طالب وخديجة امتطى ناقته القصواء ، وسار بها حتى بلغ الكعبة فطاف بالبيت سبعا ، فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحـــة ففتح الكعبة ، فوقف الرسول على بابها وتكاثر الناس فى المسجد فخطبهم قائلا : يا معشر قريش ، ان الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمهـــا بالآباء ، الناس من آدم وآدم من تراب ، ثم تلا قوله تعالى : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير » ثم قال : يا معشر قريش ما ترون أنى فاعل بكم ؟ قالوا خيرا ، أخ كريم وابن أخ كريم ، قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء(٢٠) . وبهذه الكلمة صدر العفو العام عن قريش وأهل مكة جميعا ، وهو عفو لا يصدر الا عن قلب كبير لا يعرف غير الحب والتراحم والرأفة ويزيد من جلاله وروعته صدوره فى لحظة القوة والغلبة ، فالقوى الذى ينتصر من الضعيف أضعف الضعفاء ، والقوى الذى يصفح عن عدوه وهو قادر عليه أرحم الرحماء وأشرف الأقوياء .

١٢ ـــ وبعد فهذه كلمة موجزة عامة عن يومى الطائف والفتح ، وفيهما تجلت عظمة الرسول الانسان الذى جاهد فى الله حق جهاده ، والـــذى تحمل ما تحمل من المشقات فى سبيل انقاذ قومه من دياجير الكفر والوثنية ، وما كان يؤلمه إيذاء قومه له بقدر ما كان يؤلمه عكوفهم على أصنامهم وجاهليتهم وعـــدم ايمانهم بما جاءهم به من عند ربه ، لأنه يعلم أن مآلهم بهذا الضلال والعناد جهنم وبئس القرار ، ولذلك كان عليه السلام فى ساعـــات العسر واليسر ولحظات الهزيمة والنصر الانسان الرحيم الذى بلغ الذروة فى الحب والعفو والصفح ، والذى واجه الاذى والاضطهاد بالاغضاء والدعاء بما هو خير كما حدث فى يوم الطائف ، فلم يشأ أن ينزل العقاب المدمر بهؤلاء السفهاء ، وانما رجا الله تبارك وتعالى أن يخرج من أصلابهم من يعبده وحده .

وفى يوم الفتح وقف أمامه فى ذلة وضعف من كانوا بالأمس يأتمرون به ليقتلوه ، ومن أساءوا اليه والى أصحابه اساءة تجاوزت كل حد ، وكـــان عليه السلام يستطيع أن يعاقب هؤلاء القساة الظالمين ولا جناح عليه فى

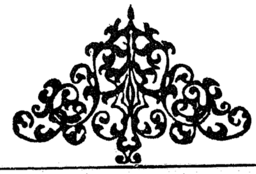
ذلك، فجزاء سيئة سيئة مثلها، ولكن محمدا صلى‌الله عليه وسلم رحمة مهداة تعفو عمن ظلم وتدفع دائما بالتي هي أحسن ، وهذا بعض أسرار العظمة الانسانية في حياته عليه السلام .

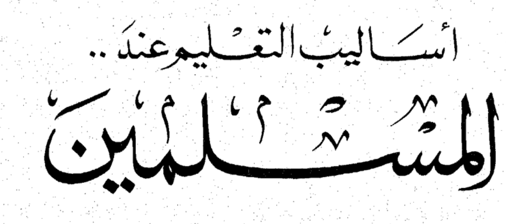
لقد كان محمد صلى الله عليه وسلم رحيما عظيما في ضعفه وقوته ، ما عرف الانتقام سبيلا الى فؤاده ، وما جازى مسيئا باساءته ، وما حرص على شيء حرصه على أن يخرج قومه من الظلمات الى النور ، وصدق الله العظيم « لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم » (٢١) .

فما أجدر الدعاة والقادة والحكام والناس كافة أن يسترشدوا بسيرة هذا النبي الانسان الذي أدبه ربه فأحسن تأديبه ، فهي كلها دروس رائعة تنير معالم الطريق نحو حياة انسانية كريمة تليق بالانسان الذي كرمه الله وجعله خليفة له في أرضه وصدق الله العظيم « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » (٢٢) .

---

(١) فقه السيرة للاستاذ محمد الغزالي ص ١٢٩ .
(٢) فقه السيرة ص ١١٤ .
(٣) فقه السيرة ص ١١٥ .
(٤) أنظر السيرة النبوية لابن كثير هـ ٢ ص ١٢٢ .
(٥) حياة محمد لهيكل ص ١٨٦ .
(٦) السيرة النبوية لابن كثير .
(٧) فقه السيرة ص ١٢٩ .
(٨) انظر سيرة ابن هشام م ١ ص ٤١٦ .
(٩) على هامش السيرة هـ ٣ ص ١٤٠ .
(١٠) فقه السيرة ص ١٣١ .
(١١) السيرة لابن هشام م ١ ص ٤٢١ .
(١٢) في أحد كسرت رباعية الرسول وجرح وجهه وكسرت البيضة على راسه ، واصيبت ركبتاه فضلا عن استشهاد عدد كثير من الصحابة ومنهم حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم (أنظر امتاع الاسماع للمقريزي هـ ١ ص ١٣٥) .
(١٣) موضع تلقاء مكة على مرحلتين منها . (١٤) الاخشبان : جبلان بمكة .
(١٥) الدرر في اختصار المغازي والسير لابن عبد البر ص ٩٨ .
(١٦) الآيــة ٤ في سورة القلم .
(١٧) السيرة لابن هشام م ٢ ص ٣٩٠ .
(١٨) فقه السيرة ص ٤٠٣ .
(١٩) المصدر السابق ص ٤١٣ .
(٢٠) السيرة لابن هشام ، م ٢ ص ٤١٢ .
(٢١) الآيــة ١٢٨ في سورة التوبــة .
(٢٢) الآيــة ٢١ في سورة الاحزاب .







للأستاذ محمد الحسينى عبد العزيز

شجع النبى عليه الصلاة والسلام المسلمين على طلب العلم وامتدح من يتعلم القرآن الكريم والفقه واثنى على من يعلم جيرانه ، وبعث الرسول الى يثرب مصعب بن عمير بن عبد مناف ليعلم الاثنى عشر مسلما من الانصار ممن بايعوه فى العقبة الأولى امور دينهم ويقرا عليهم كتاب الله ويفقههم فى امور الشريعة ، ويؤمهم فى صلاتهم ، كما استخلف عتاب بن أسيد على اهل مكة ليعلمهم القرآن ، كما ارسل عمرو بن حزم الخزرجى الى نجران ليفقه أهلها فى الدين ويعلمهم القرآن المبين ، وبعث أبا عبيدة عامر بن الجراح الى بلاد اليمن ليعلم اهلها ممن اسلموا اصول الدين وقراءة القرآن .

وما أعظم قوله تعالى « **هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون** » ففى هذه الآية الكريمة ابلغ دلالة على فضل العلم واهميته ، كما امتدح سبحانه اهل العلم وفضلهم على غيرهم درجات ، وكان هذا حافزا للمسلمين على مواصلة العلم وطلبه مهما لاقوا من صعوبات وما صادفوا من عقبات لأن العلم ينير العقول ويشرح الصدور ويرفع من مستوى الانسان ويجعله قادرا على ان يميز بين الخير والشر . وهكذا وجهت

دعوة الاسلام العرب الى التفقه فى الدين وطلب العلم وتنافسوا فى هذا السبيل ورحلوا من مكان الى مكان للاستماع للعلماء والمحدثين فصقلت عقول العرب المسلمين واستنارت أفئدتهم ونمت مواهبهم وازدادوا ثقافة وعلما فكان لهذا أكبر الاثر فى تمدنهم وتحضرهم .

وكان القرآن الكريم هو المصدر الأول لعلوم اللغة والدين فأقبل المسلمون على قراءته وفهم معانيه والاقتباس من محكم آياته ومن أساليبه البليغة وعباراته الفصيحة مما رفع مستوى العقول العربية وزاد من ثقافة العرب ووسع مداركهم إذ عرفوا كثيرا من قصصه فعلموا أخبار الأمم والشعوب السابقة ، وأسهمت دراسة الكتاب الحكيم فى تقدم علوم النحو والبلاغة وظهرت طبقة من القراء والمفسرين الذين فهموا تفسير القرآن وأسباب نزوله كما أصبح البعض قادرا على استنباط الأحكام التى كانت الخطوة الاولى لنشأة علم الفقه وبحوثه .

كما اهتم المسلمون فيما بعد بجمع الحديث النبوى الذى يضم شرحا للعبادات وتفصيلا لما جاء فى القرآن من أحكام المعاملات والتشريع والجنايات ، كما أن الحديث حوى كل ما يتعلق بحياة النبى فى مكة وحياته فى المدينة بعد هجرته اليها وغزواته ، واعمال الخلفاء والفتوحات التى تمت فى عهدهم مما عرف بالسيرة النبوية وسيرة الخلفاء الراشدين وكان المنطلق لعلم التاريخ والأساس الذى سار عليه المؤرخون فى كتب المغازى التى اتبعت نظام الرواية بنفس طريقة الحديث .

وهكذا كانت علوم الدين اول العلوم التى اشتغل بها المسلمون وكان القرآن تدوينه وتفسيره والحديث وروايته والفقه أول العلوم التى مارسها المؤمنون ، وجاء بعدها الاهتمام بعلوم اللغة من نحو وصرف وبلاغة . وظل الحال كذلك فى العصر الأموى حيث كانت مسائل العلم تدور حول القرآن وتفسيره ، وعلم الحديث وشرحه ، بل ان علم النحو نفسه جاءت كتابته ووضع قواعده بعد أن كثر اللحن بين الناس .

أما فى العصر العباسى فقد ظهرت الى جانب علوم الدين واللغة التى عرفت باسم العلوم النقلية علوم مستحدثة عرفت بالعلوم العقلية كدراسة الطب والكيمياء والطبيعة والفلك وغيرها ، وقد أوضح ابن خلدون فى مقدمته هذين النوعين من العلوم بقوله : « إن العلوم صنفان : صنف طبيعى للانسان يهتدى اليه بفكره ، وصنف نقلى يأخذه عمن وضعه . والأول هى العلوم الحكمية الفلسفية ، وهى التى يمكن أن يقف عليها الانسان بطبيعة تفكيره ، ويهتدى بمداركه البشرية الى موضوعاتها ومسائلها ، وانماء براهينها ، ووجوه تعليمها ، حتى يوقفه نظره وبحثه على الصواب من الخطأ فيها من حيث هو انسان ذو فكر ، والثانى هى العلوم النقلية لوضعية ، وهى كلها مستندة الى الخبر عن الوضع الشرعى ، ولا مجال فيها للعقل الا فى الحاق الفروع من مسائلها بالاصول . »

وقد وصلت الى العرب العلوم العقلية متطورة منظمة فلما ترجمت كادت تكون مكتملة ، ولم يكن أمام المؤلفين الا دراسة هذه العلوم وتمحيصها والعمل على تحسينها بما توصلوا اليه من تجربة ودراسة

وتطبيق . وكان التطبيق والتجربة وامتحان الحقائق عمليا هو طريق علماء المسلمين في البحث وبهذا سبقوا المفكرين الأوروبيين ووضعوا اصول العلم والدراسات التجريبية ونقدوا الاخطاء وتوصلوا الى الصواب .

المساجد معاهد للعلم :

وكان مسجد الرسول فى المدينة مكانا للدراسة كما ظل كذلك ايام الخلفاء الراشدين والأمويين حيث كان الفقهاء يحدثون ويفسرون آيات الكتاب المبين ويروون الأحاديث ويشرحون النصوص للمسلمين : وكان ربيعة الرأى يجلس فى مسجد النبى بالمدينة ويلتف حوله التابعون ، وكذلك كان الحال فى مسجد البصرة حيث كان يجلس الحسن البصرى ويشرح بأسلوب قصصى ، وبجانب حلقات الدين كانت هناك حلقات اللغة لمن يريد أن يجيد ويتقن اللغة العربية وقد حدث هذا فى مسجد عمرو بالفسطاط بمصر .

واصبح مسجد عمرو بن العاص فى مصر المدرسة الاولى لتعليم أصول الدين وعلومه ففى رحابه جاء الصحابة والتابعون ليشرحوا ويفسروا القرآن ويوضحوا الأحكام الشرعية ، وعلى رأسهم عبد الله بن عمرو بن العاص، ويزيد بن حبيب والليث بن سعد ومحمد بن ادريس الشافعى ممن اخذ عنهم اهل مصر امور دينهم .

ولما اسس جوهر الصقلى الجامع الازهر ليكون مركز الدعوة الفاطمية كان المسجد معهدا تعقد فيه حلقات العلم ودروسه وكلف العزيز بالله الخليفة الفاطمى وزيره يعقوب بن كلس ليرعى العلم فصرف الوزير كل جهوده ليصبح الأزهر اعظم المساجد والمعاهد العلمية فى عصره ولينافس بغداد ومعاهدها العلمية ورصد الأموال للدارسين والاساتذة ووفر لهم العيش الكريم والحق بالجامع مكتبة فخمة .

كما أصبحت دار العلوم التى انشأها العزيز بالله مكانا للبحث العلمى .

وضمت مكتبة الأزهر أنفس المخطوطات من كل مكان فانصرف الطلبة والباحثون للدراسة والتاليف مما ظهرت آثاره واضحة فى الانتاج الأدبى والتاريخى الذى ظهر فيما بعد فى انتاج الموسوعات الادبية مثل صبح الأعشى فى صناعة الانشا للقلقشندى والنجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة لابن تغرى بردى ، والخطط للمقريزى الذى يعتبر مرجعا تاريخيا وجغرافيا ومعماريا عن مساجد مصر وآثارها ومدارسها وعمائرها .

واعتمد نظام التدريس فى الأزهر على نظام الحلقات حيث كان الاستاذ يقف ويحاضر أمام تلاميذه ويبدا النقاش والجدل ، ويعهد لكل طالب بكتابة بحث ودراسة موضوع معين وهذا ما يعرف فى ايامنا بالرسائل الجامعية للماجستير والدكتوراة فكان الجامع الأزهر اول جامعة دينية وعلمية تبتكر هذا الاسلوب وتصبح قبسا للجامعات فى العصور الوسطى بأوروبا .

وقد حاضر فى هذا المعهد العتيق نوابغ الاساتذة وفحول العلماء أمثال العالم المؤرخ ورائد علم الاجتماع ابن خلدون ، كما تولى التدريس به عبد اللطيف البغدادى الرحالة والمؤرخ المشهور الذى قال انه القى به دروسا فى الطب ، وشارك فى هذه المحاضرات ائمة الحديث أمثال الشافعى والبخارى والغزالى ومن

الشعراء أبو نواس وأبو تمام وأبو الطيب المتنبى وغيرهم .

وقد أنتعشت الحركة العلمية فى مصر وأينعت بسبب هجرة كثير من علماء المشرق خاصة بعد سقوط بغداد فى يد المغول كما نزح الى مصر علماء من الأندلس وقد حضر هؤلاء وحملوا الى مصر مؤلفاتهم وافكارهم فأسهموا فى تطوير النهضة الأدبية والفكرية فى البلاد .

وتعتبر مكتبة الفاطميين لا نظير لها فى العالم حيث كانت تضم زهاء مليون وستمائة الف مجلد ومن بينها ستة آلاف وخمسمائة كتاب فى الرياضيات وثمانية عشر الف فى الفلسفة .

هذا بخلاف المكتبة التى اسسها الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمى والتى كانت تشغل ثمانى عشرة قاعة للدراسة والاطلاع .

ومن أعظم علماء الطبيعة الذين ظهروا فى مصر الحسن بن الهيثم الذى استدعاه الخليفة الحاكم الى مصر لينظم فيضان النيل والذى ابتكر نظريته الخاصة بالأشعة والانكسار التى تعتبر نقطة تحول فى ابحاث العالم فى علم الضوء كما اكتشف أن جميع الأجرام السماوية ومن بينها النجوم الثابتة ترسل نورها عدا القمر الذى يستمد نوره من الشمس . وأدرك هذا العالم المصرى أخطاء علماء اليونان وقال أن العين لا ترسل أشعة بصرية بل العكس هو الصحيح فان الجسم المرئى هو الذى يرسل اشعة الى العين وأن عدسة العين هى التى تحوله . وهكذا أثبتت الأبحاث صحة نظرية ابن الهيثم الذى يعتبر واضع أساس النظرية التجريبية وقد سبق بهذا العالم الاوروبى روجر بيكون الذى ينسب اليه الاوروبيون وضع الأبحاث التجريبية .

ولم تقتصر أبحاثه على هذا بل اوجد رايه الخاص بمصادر الضوء واوجد دراسة خاصة بطبيعة القاء الظل كما سماها وأول تجربة قام بها هى الخاصة بجهاز يشبه آلة التصوير الذى اثبت عن طريقه استقامة خطوط الضوء وأوجد تعليلا لانكسار الاشعاعات عندما تمر خلال وسيط كالهواء وطبق معلوماته على أجهزة البصريات وحسب الانعكاس فى تطاع المرآة الكروية واهتدى الى قوانين كشاف الضوء ومعظم نظرياته فى الطبيعة ظلت مسيطرة على هذا العلم فى أوروبا حتى القرن الحالى .

كما ازدهرت الحركة العلمية فى مصر أيام الأيوبيين والمماليك اذ وجه صلاح الدين الأيوبى عنايته الى انشاء المدارس السنية لتولى تعليم الناس الفقه السنى وكانت هذه المدارس هى الطريق الى الدراسات العليا فى المعاهد العلمية كالأزهر الذى أصبح جامعة لدراسة الشريعة الاسلامية والمذاهب الأربعة المعروفة الى جانب قيامه بحفظ التراث الاسلامى وحمل مشعل الثقافة الدينية واللغوية وعلوم التاريخ والجغرافيا والطبيعة والفلك والاحياء وغيرها .

الاجازات العلمية :

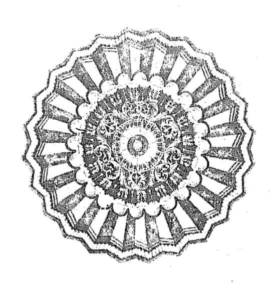
وفى حلقات المساجد الجامعية تكون المرحلة النهائية للدراسة حيث تعقد بها حلقات فى الفقه وثانية فى اللغة وثالثة فى النحو ورابعة فى الحديث وللمتعلم أن ينضم الى أى حلقة وله أن يختار أى أستاذ يشاء ، فاذا وجد الطالب فى نفسه المقدرة جلس مكان المعلم ليناقشه العلماء فاذا أثبت جدارة وكفاية صار من حقه أن يرأس أحدى الحلقات .

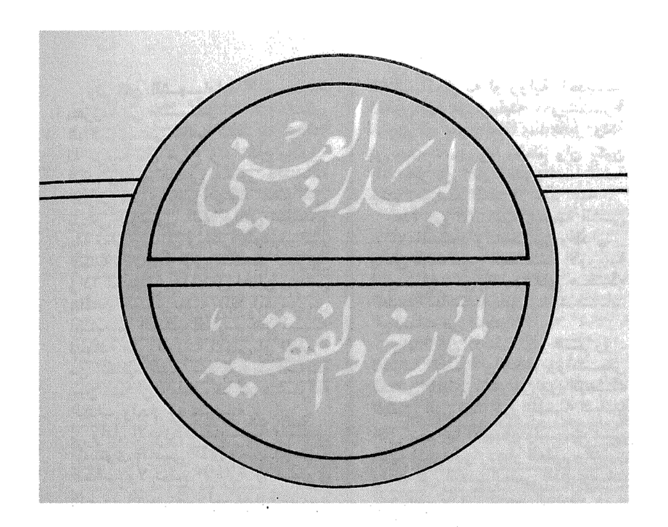
ولم تكن الشهادات العلمية معروفة فى صدر الاسلام فكان الطالب يسعى لطلب العلم اذا اتيحت له فرصة من فراغ واذا كان يحترف العلم واظب على حضور حلقات الدرس ليكون جديرا بمهنة المعلم التى يسعى للوصول اليها والتى تحتاج منه لعلم ومنطق ومقدرة للوقوف أمام الطلبة والاجابة على أسئلتهم المحرجة واذا استطاع هذا حق له أن يتصدر حلقات العلم وعندما يتأكد المدرس من استيعاب الطالب للعلم كتب له شهادة على الورقة الاولى أو الاخيرة من الكتاب الذي عهد إليه بدراسته يبين فيها أن الطالب قد أتم قراءة الكتاب وأجاز له تدريسه .

وتدل الاجازة العلمية على المستوى العلمى الذى وصل اليه الطالب ولا تمنح الاجازة الا لذوى المعرفة الذين تهىء لهم اجازة تدريس الكتاب المجاز به أو رواية الحديث المأذون لهم فى روايته ، ويشترط للمجيز أن يكون عالما بما يجيز وثقة فى دينه ، معروفا بالعلم وأن يكون المستجيز من أهل العلم متسما بسمة حتى لا يوضع العلم الا عند أهله .

هذه هى الأساليب العلمية التى بدات بالمساجد والقصور والمدارس والتى كانت قبسا للجامعات الأوروبية التى سارت فى نظامها على هذه الطريقة خاصة حينما نشأت الجامعات فى انجلترا .

وبهذا كان المسلمون هم رواد الحركة العلمية والبحث وواضعى اساس النظام التجريبى فى البحث العلمى التى أدت الى النهضة العلمية التى ينعم بها الانسان واسهمت فى تنمية المعرفة وازدهار العلوم والفنون وادت الى التقدم العلمى الذى وصلت اليه البشرية فى العصر الحديث .





ـ صاحب الموسوعة الضخمة فى التاريخ التى لم تنشر بعد .
ـ ومؤلف عمدة القارى فى شرح البخارى .
ـ والعالم الذى قربه السلاطين نحسده أقرانه .

. . . . . .

ذلك هو العينى محمود بن أحمد ابن موسى الملقب ببدر الدين أو البدر على ما هو معروف ومشهور . ويعتبر البدر العينى من أشهر مؤرخى مصر فى القرن التاسع الهجرى الخامس عشر الميلادى ، على كثرة ما ظهر بمصر فى هذا القرن من المؤرخين الموسوعيين أمثال القلقشندى والمقريزى وابن تغرى بردى وابن حجر والسخاوى وابن الصيرفى وابن عرشاه وابن اياس والسيوطى وغيرهم .

الأصل والنشأة :

وينتسب العينى الى بلدة عينتاب التى ولد فيها عام ٧٦٢ هـ (١٢٦٠ م) وكانت هذه البلدة تعتبر فى ذلك الوقت من اعمال مدينة حلب وهى اليوم واقعة فى الاراضى التركية المتاخمة للحدود الشمالية لسوريا . وينتمى صاحبنا الى اسرة عربية ذات علم وفضل كانت تقيم فى حلب ثم انتقلت منها الى عينتاب ، حيث عين والد العينى القاضى شهاب الدين أحمد قاضيا فيها من قبل ممثلى دولة المماليك التى كان معظم المشرق العربى آنذاك موحدا تحت رايتها . وقد تأثر العينى ببيئته العلمية التى هيأت له فرصة الاطلاع والتعلم فتلقى العلوم على والده وعلى غيره من الشيوخ فى عينتاب وأظهر تفوقا مبكرا فيها حتى انه استطاع فى

للأستاذ : احسان صدقي العمد

شبابه أن يتولى القضاء نيابة عن والده وأن يجيد القيام بالاعباء الموكلة اليه .

ولما كان التعليم في ذلك الوقت لا يكتمل لطالبه الا بشد الرحال للأخذ عن مشاهير العلماء والرجال ، فقد ارتحل العيني من أجل هذه الغاية الى حلب ودمشق والقدس ومكة المكرمة والقاهرة ، حيث اتصل بكبار العلماء والفقهاء في هذه الحواضر وأخذ عنهم وسمع منهم . وكان من شيوخه واساتذته علاء الدين السيرامي وزين الدين العراقي وسراج الدين البلقيني وجمال الدين الملطي وحسام الدين الرهاوي وعيسى بن الخاص وغيرهم كثير .

وقد منحه معظم هؤلاء العلماء بعد التثبت والاختبار اجازات علمية « أهلته للافتاء في الواقعات المعضلة والحادثات المشكلة والتدريس والتعليم والتبليغ والتفهيم والتذكير من تفسير القرآن الكريم ورواية الحديث بالاتفاق لكونه للمنزول أهلا وسلوك الطريقة سهلا على ما قرره استاذه عيسى بن الخاص في اجازته له ، كما مهدت هذه الاجازات للعيني الطريق الصعب نحو الشهرة والمجد وسط مجتمع زاخر بالمشاهير من العلماء والفقهاء والمؤرخين الذين كانوا بحق الشعلة المضيئة في عصر ساده التدهور في الشؤون السياسية والاجتماعية والاقتصادية . وظل العيني وفيا لشيوخه واساتذته طوال حياته حتى أنه وضع لهم ترجمات في كتاب أسماه « معجم الشيوخ » اعترافا بفضلهم .

بداية الشهرة :

لكن الشهرة التي نالها البدر العيني لم تبدأ الا عام ٧٨٨ هـ عندما التقى في القدس وهو في طريقه لاداء فريضة الحج بشيخ علماء ذلك العصر علاء الدين علي بن احمد ابن محمد السيرامي الذي كان يعتزم الحج أيضا ، فأعجب به العيني وقرر ملازمته وسافر معه بعد اداء الفريضة الى القاهرة حين دعاه السلطان الظاهر برقوق للتدريس بمدرسته البرقوقية التي كانت أحد المراكز العلمية الهامة في مصر آنذاك، وبقي العيني على هذه الحال حتى تهيأت له جملة أسباب قربته الى عدد من امراء المماليك وسلاطينهم الذين نال عند معظمهم الحظوة والمكانة ، وساعده على ذلك ما كان يتحلى به من علم وفضل وثبات على الولاء والطاعة للسلطان برقوق في أثناء محاصرة التركمان لعينتاب ، فضلا عن اتقانه التركية التي كانت اللغة الرئيسية للسلاطين والامراء وبعض الخاصة في ذلك الوقت ، واستطاع البدر العيني أن يحتل بذلك مكانة رفيعة في بلاط ثلاثة من سلاطين المماليك

الجراكسة هم المؤيد شيخ المحمودى والظاهر ططر والسلطان الاشرف برسباى ، ويبدو أن العينى كان يعرف من أين تؤكل لحم الكتف فوضع لكل من السلاطين الثلاثة كتابا أشاد فيه بسيرته فكان الاول بعنوان « السيف المهند فى سيرة الملك المؤيد » نشر عام ١٩٦٧ ، والثانى « الروض الزاهر فى سيرة الملك الظاهر (ططر) مطبوع .

والثالث فى سيرة الأشرف برسباى لا زال مفقودا ، كما وضع القصائد الكثيرة فى مدحهم . وتحدثنا المصادر أن العينى كان من اخصاء السلطان المؤيد وندمائه فولاه المناصب الرفيعة وعهد اليه بتدريس الحديث فى المدرسة المؤيدة واختاره سفيرا للدولة القرمانية التي كانت تدين بالولاء الاسمى لدولة المماليك ، كما علت منزلته عند السلطان ططر لصحبة قديمة كانت بينهما ، وقام العينى بترجمة كتاب القدورى فى فقه الحنفية الى اللغة التركية بناء على رغبة هذا السلطان ، وزادت مكانته لدى السلطان الاشرف برسباى الذى لم يعرف من العربية الا القليل ، فكان العينى يجلس الى حضرته ساعات من الليل يعلمه أمور الدين ويفسر له غوامض الفقه والشريعة ويقرأ عليه موسوعته التاريخية التى كتبها بالعربية وهى « عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان » ثم يترجمها له الى التركية راسا لتقدمه فى اللغتين كما يقول السخاوى ، وقد اعترف برسباى بفضل العينى حتى حكى أنه كان يقول « لولا البدر العينى لكان فى اسلامنا شىء » .

العينى يتقلد ارفع المناصب .

وقد هيأت له مكانته العلمية الراسخة أولا وعلاقاته الوطيدة بالأمراء والسلاطين ثانيا أن يتقلد أرفع المناصب فى مصر ، فتولى حسبة القاهرة مرات ومرات وعرف بالنزاهة والشدة فى اثناء مباشرته هذا المنصب اذ « كان يعزر من يخالف أمره بأخذ بضاعته غالبا واطعامها للفقراء والمحابيس ، وبذل جهودا كبيرة فى ضبط أسواق القاهرة ومراقبتها فكان ينام فى المراكب غالب الليالى ولا يقطع الركوب ليلا ونهارا حتى طاب الوقت وحسنت الحال » كما تقلد منصب « نظارة الاحباس » أى الاشراف على الاوقاف الخيرية ، وولاه برسباى بالاضافة الى هذين المنصبين منصب قاضى قضاة الحنفية ويقال فى هذا الشأن إنه « لم يجتمع القضاء والحسبة . ونظر الاحباس فى أحد قبله » .

جهوده العلمية :

وبرغم كثرة مشاغل العينى التى استدعتها طبيعة الوظائف الهامة التى شغلها فانه لم ينقطع عن الاطلاع والتدريس والتاليف ، واستمر فى تدريس العلوم الدينية فى المدرسة المؤيدية طوال أربعين سنة ، ومارس التدريس أيضا فى مدرسته « العينية » التى انشأها لهذا الغرض النبيل بالقرب من الجامع الأزهر ، وأوقف عليها الكثير من كتبه القيمة التى يضيق المقام عن ذكرها ، لكثرة ما خلفه البدر العينى من المؤلفات الموسوعية والشروح الطويلة التى أربت على الأربعين وتراوحت بين التاريخ والفقه والحديث واللغة والأدب اضافة الى مؤلفاته باللغة التركية نفسها . ومن المؤسف أن كتبه المطبوعة لا تتجاوز السبعة هى « البناية فى شرح الهداية » للامام المرغينانى » « ورمز الحقائق فى شرح كنز الدقائق للنسفى » « والروض

الزاهر فى سيرة الملك الظاهر » « والسيف المهند فى سيرة الملك المؤيد » « وعمدة القارى فى شرح البخارى » « والمقاصد النحوية فى شرح شواهد شروح الالفية » « وفوائد القلائد فى مختصر شرح الشواهد » .

وقد أورد السخاوى قائمة طويلة بأسماء الكتب والرسائل الأخرى التى صنفها العينى بعضها مفقود والبعض الآخر لا يزال مخطوطا وموزعا فى عدد من مكتبات العالم . ومن أهم كتبه المخطوطة موسوعته التاريخية الكبيرة « عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان » وشرح سنن أبى داود وتحفة الملوك فى المواعظ والرقائق ، والدرر الزاهرة فى شرح البحار الزاخرة للرهاوى ، والعلم الهيب فى شرح الكلم الطيب لابن تيمية ، ومنحة السلوك فى شرح تحفة الملوك ، ونخب الافكار فى شرح معانى الاثار ، وقد لاحظ السخاوى كثرة مؤلفات العينى فقال أنه « كان لا يمل من المطالعة والكتابة ، كتب بخطه جملة ، وصنف الكثير بحيث لا أعلم بعد شيخنا (ابن حجر) أكثر تصانيف منه » . ومع ذلك فان موسوعتيه عقد الجمان وعمدة القارى تعتبران من أهم ما خلفه العينى للمكتبة العربية . ويبدو أن دعوة الدكتور زيادة قد لقيت أخيرا استجابة فى القاهرة ، حيث يقوم الدكتور أحمد دراج بتحقيق قسم من عقد الجمان يبدأ من النصف الثانى للقرن الثامن الهجري وذلك بمركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية .

عقد الجمان فى تاريخ اهل الزمان :

ويتألف هذا الكتاب الضخم فى الأصل من تسعة عشر مجلدا ومنه نسخة فى دار الكتب المصرية مصورة عن نسخة استانبول تقع فى تسعة وستين مجلدا . وقد اتبع العينى فى تاريخه الترتيب السنوى على عادة معظم المؤرخين المسلمين فى كتابة الحوليات ، وانتهى به الى عام ٨٥٠ هـ (١٤٤٦م) فجاء تاريخا شاملا لأخبار مصر الاسلامية حتى تلك السنة ، وقد اعتمد فى تأليفه على تاريخ ابن كثير واعترف صراحة بذلك حين قال عنه « وهو عمدة تاريخى هذا الذى جمعته » . ويعتبر القسم الأخير منه أهم أجزاء الكتاب وذلك لأنه يغطى حوادث العصر الذى عاشه العينى ووعاه وشارك فى بعض وقائعه وأحداثه ، ومن هنا كان هذا القسم الذى يشمل الفترة الواقعة بين ٧٢٥ — ٨٥٠ هـ سجلا عاما يصور المجتمع الذى ورثه العينى وعاش فيه . ويحتوى هذا القسم على اخبار دولة المماليك الجراكسة وحروبها وعلاقاتها الخارجية بالاضافة الى ظواهر المجتمع وطبيعة جهاز الحكم فيه وما أصاب الناس فى تلك الفترة من أوبئة ومجاعات هزت الحياة الاجتماعية والاقتصادية للناس واثرت فيها . فضلا عن أن هذا القسم يضم الكثير من المعلومات المتعلقة بحياة العينى وذويه مما لا يستغنى عنه باحث فى سيرة هذا المؤرخ الفقيه . وقد اعتمد عليه ابن حجر فى كتابه إنباء الغمر بابناء العمر برغم المنافسة الحادة التى كانت قائمة بينهما . وذكر ابن حجر ذلك بصريح العبارة حين قال « كتبت منه ما ليس عندى مما اظن انه اطلع عليه من الامور التى كنا نغيب عنها ويحضرها » . ومن هنا كان عقد الجمان وابناء الغمر يكمل احدهما الآخر فى كثير من المواضع . وقد لفت المرحوم الدكتور محمد مصطفى زيادة الانظار الى اهمية تاريخ العينى وقال « ان هذا الكتاب من أعظم ما كتب العينى فى التاريخ ، وهو كذلك من أهم ما اهمله القوامون على نشر المخطوطات العربية واحيائها حتى الآن . »

عمدة القاري في شرح البخاري :

اما الكتاب الآخر الشهير للعيني فهو « عمدة القاري في شرح البخاري » في واحد وعشرين مجلدا، وقد جاء تصنيفه في وقت كان فيه العلماء والفقهاء يشعرون بحاجة الى شرح الجامع الصحيح للبخاري شرحا وافيا . وقد سبق العيني في انجاز هذا العمل الكبير العلامة الشهير ابن حجر العسقلاني بأربع سنين مما جعل البدر العيني يستفيد من شرح ابن حجر المعروف « بفتح الباري في شرح البخاري » وينقد كثيرا من آرائه ويعترض عليه . وقد انبرى ابن حجر للرد على اعتراضات العيني وتعريضه به ووضع في ذلك كتابا لم يتمه ، فكان ذلك من الامور التي اوجدت جفوة كبيرة بين العالمين لم تلبث أن انتقلت الى تلاميذهما الذين عملوا على تعميقها . وبرغم أن شرح العيني للبخاري لم يحقق الانتشار والشهرة اللتين حققهما شرح ابن حجر الا أن عمدة القاري جاء أيضا حافلا على حد قول السخاوي أشهر انصار ابن حجر . وقد اتبع العيني في تصنيفه طريقة البسط والايضاح واعطاء الاحاديث النبوية حقها من البحث والتمحيص فيتم سياق الحديث اذا اختصره البخاري ويذكر اختلاف الرواة اذا كان هناك اختلاف ، ويستوفي الكلام في ذكر الرجال وضبط الاسماء والانساب ، ويفصل معاني الكلمات ووجوه الاعراب وينتهي الى استخراج المعاني واستنباط الاحكام . ولا يزال شرح ابن حجر وشرح العيني للبخاري يعتبران بحق من أهم المراجع التي يعتمد عليها المحدثون وعلماء الشريعة في دراسة صحيح البخاري . وقد اثار الاختلاف العلمي الذي وقع بين العيني وابن حجر اهتمام عدد من الباحثين والمستشرقين بينهم بروكلمان وجلودسيهر . كما حاول المرحوم الشيخ عبد الرحمن البوصيري التوفيق والفصل بينهما في كتابه المعروف باسم « مبتكرات الالي والدرر في المحاكمة بين العيني وابن حجر » .

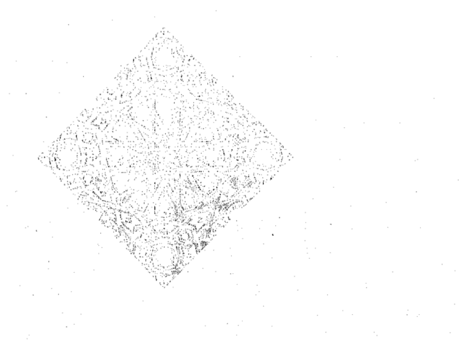
تنافس المتعاصرين :

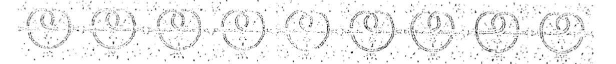
لكن هذا الاختلاف بين الرجلين يظل في جوهره مظهرا من التنافس المعروف بين العلماء المعاصرين وبخاصة أن عصر العيني حفل كما ذكرنا بالعديد من العلماء والفقهاء والمؤرخين الكبار الامر الذي جعل فرصة التقدم وسطهم لا تتوفر الا لذوي القدم الراسخة والجهد العلمي المتواصل . وقد نشأت بين البعض منهم منافسات حادة بلغت حد التشهير يهمنا منها ما كان بين العيني وابن حجر والسخاوي والمقريزي . ويرجع سبب هذه المنافسات الى حسد اقران العيني اياه على ما بلغ من حظوة ومكانة لدى الامراء وما ناله من مناصب رفيعة كانوا يطمعون فيها ويرون أنهم احق منه بها كما كان الحال بالنسبة للمقريزي الذي حل العيني محله عدة مرات في تولي منصب الحسبة . وامثال هذه الخصومة وان كانت مما يؤسف له الا انها معروفة ومألوفة بين العلماء المتعاصرين يقف الباحث منها موقف الحذر الشديد ، وقد نبه الى ذلك ابن عباس بقوله « لا تقبلوا قول العلماء بعضهم على بعض » .

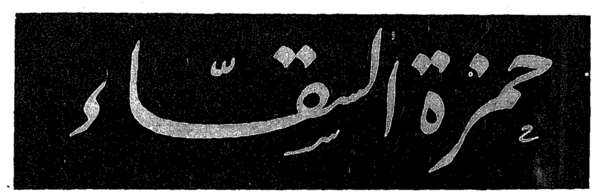
ومع ذلك فقد انصف العيني كثير ممن عاصروه أو جاءوا بعده واعترفوا بمكانته العلمية الرفيعة ، وذكر أبو المحاسن ابن تغري بردي أن زعامة المؤرخين كانت قبله في البدر العيني

الذى وصفه بأنه « كان بارعا فى عدة علوم مفتيا كثير الاطلاع واسع الباع فى المعقول والمنقول ، قل ان يذكر علم الا وله فيه مشاركة جيدة .

واشاد به السخاوى برغم تعصبه لاستاذه ابن حجر ، ووصفه بأنه « كان اماما عالما علامة عارفا بالصرف والعربية وغيرها حافظا للتاريخ واللغة مشاركا فى الفنون لا يمل من المطالعة والكتابة كتب بخطه جملة ، وصنف الكثير بحيث لا اعلم بعد شيخنا أكثر تصانيف منه ، واشتهر اسمه وبعد صيته مع لطف العشرة والتواضع ، كما تتلمذ عليه وأخذ عنه جمهور من المتعلمين نبغ منهم بعده غير واحد وكان لهم مثله فضل فى حمل شعلة الثقافة والعلم . وقد ظل العينى وفيا لرسالته العلمية ، حتى وفاته اذ بقى يمارس التدريس والتعليم فى مدرسته العينية ، الا أن الحال قد ضاقت به فى اواخر حياته بعد عزله عن نظارة الاحباس حيث اضطر الى بيع بعض املاكه ومؤلفاته لسد حاجته واستمر كذلك الى أن توفى عام ٨٥٥ هـ (١٤٥١ م) بعد أن جاوز التسعين من عمره ، ودفن فى القاهرة حيث « عظم الاسف على فقده ولم يخلف بعده فى مجموعة مثله » بشهادة خصمه السخاوى . ولا زال هناك فى القاهرة أثر عظيم يذكرنا بالعينى وهو « القصر العينى » الذى ينسب الى حفيده الأمير احمد بن عبد الرحيم بن المؤرخ والفقيه المشهور البدر العينى الذى نتطلع الى اليوم الذى ينشر فيه باقى تراثه العلمى المخطوط .







للأستاذ : علي حسن الشكرجي

ترجع بنا احداث هذه القصة الى قرن من الزمان خلا حينما كانت القيم الروحية لا القيم المادية متغلغلة فى القلوب فتغلغل معها ما حرم منه عصرنا : اطمئنان النفس وسعادة الروح وان لم تكن آنذاك وسائل الترفيه والراحة البدنية التى وفرها لهذا العصر العلم الحديث .

وكان ممن نعموا بالايمان سقاء اسمه حمزة يكسب رزقه الحلال بسقى الماء يحمله بقربته من نهر ليس بقريب . فهو على أميته ملىء بالاطمئنان والسكينة يفتقدهما ويحسده عليهما كثير من اهل العلم فى هذا العصر ذى العين الواحدة التى لا يبصر بها الا الماديات .

بلغ حمزة مبلغ الرجال وما زال عزبا . يود لو يتزوج ، انه يتقلب فى فراشه ليلا . متى يكون أبا ومتى يرد بعض جميل أمه فى زوجة تعينها فى أمور بيتها الكثيرة من طحن وخبز وطبخ وحياكة وكلها يدوية مجهدة . كان يقول لها : « يا أمى ادعى لى ان يوسع الله على رزقى ويوفقنى الى زوجة صالحة ، ان دعاء الأم مستجاب » فتدعو له بعد كل صلاة .

لم يستطع حمزة أن يدخر مما يكسب شيئا فلا يكاد رزقه يسد ضرورات العيش آنذاك . وقد عزم الا يتزوج حتى يوسع الله عليه رزقه . وتمضى سنون وما زال رزقه شحيحا ويشتد شوقه الى زوجة وكان يقول : « لك فيها ارادة يا خالق الجرادة » .

ذات صباح رجع حمزة الى بيته بعد أن صلى صلاة الفجر فى الجامع جماعة وقد هيأت له أمه طعام الفطور المعتاد الذى لو يأكله طبيب اليوم لظهرت عليه بعد أيام أعراض نقص الفيتامينات والمعادن والبروتين .. لكن حمزة لم تظهر عليه أية أعراض .. غسل حمزة يديه وقال « بسم الله الرحمن الرحيم » وأكل ومعه أمه . وما أن انتهى حتى قال : « الحمد لله رب العالمين » .

قال : توكلت على الله ، وحمل قربته يضمها حزام جلد الى جنبه الايمن بمساعدة كتفه اليسرى التى مر عبرها الحزام . ودعت أمه معيلها

الوحيد بالدعاء وانطلق صوب النهر . وضع قربته على الارض وشد أذيال جبته الى حزامه وحمل القربة باسم الله ونزل الى النهر وهو يريد ان يملأ قربته من الماء الجارى البعيد عن الجرف فهو أطهر . وبينما هو كذلك اذ يرى تفاحة يحملها جريان الماء وقبل أن تجوزه يلتقطها حمزة بيده اليسرى وما زالت يده اليمنى تمسك بالقربة . انها تفاحة ناضجة شهية وما أن امتلأت القربة حتى حملها خارجا ووضعها على الارض ثم بسم الله الرحمن الرحيم يقضم التفاحة ، ما ألذها انها رزق من حيث لا يحتسب ، وفجأة يعلو وجه حمزة وجوم وقد امتقع لونه ، كان قسم من التفاحة فى يده وآخر فى فمه ممضوغا وآخر قد نزل جوفه . كيف يأكل تفاحة ليست ملكا له ولم توهب له ؟ انه اذن مغتصب سارق .

يجب ان يكفر عن ذنبه ويتدارك ما بدر منه . الطريق أمامه واضح لكن ماذا يفعل بما مضغ فى فمه أيأكله ، أيلفظه على الأرض ؟ أم ماذا ؟ أيضعه فى منديله مع القطعة الباقية فى يده ؟ والعمل الاخير هو الحل الذى أرضى ضميره وتقواه ..

اخرج منديله ووضع فيه قطعة التفاح التى فىيده وما كان يمضغهفى فمه . كيف يجد صاحب هذه التفاحة ليعطيه ما بقى منها وليوهبه ما أكل منها حلالا طيبا ، كيف .. كيف .. ؟

وما لبث أن برقت عيناه فرحا واسرع يسير بمحاذاة النهر من حيث أتت التفاحة يحملها الماء وترك القربة فى مكانها على الارض . يسير وهو يتامل الاشجار القريبة من النهر . يرى شجرة تفاح ويهرع اليها ويتفحصها علّه يجد ما يشير الى ان تفاحة سقطت منها وتدحرجت الى النهر . لم يجد ما يقتنع به ليبت بالأمر ، انها بعيدة نوعا ما عن النهر ويستبعد أن تتدحرج تفاحة منها الى النهر والارض غير منحدرة .

تابع حمزة سيره وهو يفتش عن اشجار التفاح حتى راى شجرة تفاح كبيرة وقد مالت بأغصانها الى النهر . نعم ، لا بد أن التفاحة سقطت منها وراح يتأملها : حمدا لله !! هذا مكان التفاحة الساقطة !! واشرق وجهه ، انه سيستطيع أن يكفر عن ذنبه .

واسرع مبتعدا عن النهر وراح يسأل كل من يصادفه حتى علم أن البستان يملكه ثلاثة اشخاص وما أن علم اين يمكن أن يلقاهم حتى انطلق الى أحدهم وأخرج منديله وقال له بعد السلام عليه متلعثما : « انى أكلت تفاحة من تفاحك .. بل اكلت قسما كبيرا من تفاحتك . كان قسم منها فى يدى والقسم الآخر فى فمى ممضوغا وكنت قد أكلت شيئا منها ودخل جوفى .. كنت لا أدرى .. لم يخطر ببالى .. انه ذنبى .. »

فقاطعه الرجل : « مهلا !! لم أفهم اية تفاحة هذه ؟ » .

اجاب حمزة : « تفاحة وجدتها وأنا أملأ قربتى وأكلت منها ولم تكن لى .. انى والله لم أعلم الا بعد أن أكلت منها ، فقلت يجب على أن أبحث عن صاحبها ليجعل ما أكلت حلالا كيف

يشاء واعطيه بقية التفـاحة وسرت بمحاذاة النهر حتى وجدت الشـجرة التي سقطت منها التفاحة، وقالوا لي إنك احد مالكيها الثلاثة .. والآن .. في هذا المنديل ما كان في يدي من التفاحة وما كان ممضوغا في فمي » وقرب اليه المنديل .

قال الرجل مشمئزا : « لا ، اني اتنازل عن حصتي في هذا » .

قال حمزة وقد امتلأ غبطـة : « جزاك الله عني خيرا كثيرا و .. »

قاطعه الرجل : « أما ما اكلت من حصتي في التفاحة فسأجعله لك حلالا بعد أن تنجز لي عملا » .

قال حمزة مندهشا : « أي عمل ؟ انه يجب علي أن ارضيك .. اني مستعد » .

قال الرجل : « هناك في أرضي مسـتنقع أريد أن تطمره بتراب تل ليس ببعيد كثيرا عنه وحينما تتم هذا العمل فأنت مبرأ الذمة فيما يخصني »

سأل حمزة : « بأي شيء أحفر وباي شيء أحمل التراب ؟ » .

اجاب الرجل : « سـأعطيك ما تحتاج لهذا العمل » .

كان الوقت ضحى وأمامه عمـل يتطلب وقتا طويلا وجهدا كثيرا وعليه أن يعود قبل اشتداد الظلام والا فأمه سوف تقلق كثيرا وهذا ما يثقل عليه . يجب أن يتم عمله بأسرع ما يستطيع ثم يسرع الى المالكين الآخرين . شمر عن ساعديه وشد أذيال جبته الى حزامه وراح يحفر وينقل التراب الى المستنقع والعرق يتصبب من جسده، الجو كان حارا . وما أن انتهى من طمر المسـتنقع حتى حمل أدواته وانطلق الى صاحبها وسأله هل أدى ما يريد . ولما كان الجواب بالايجاب انطلق الى الآخر مسرعا فقد زالت الشمس قبل مدة . وحكى له القصة وكيف صـاحبه برأ ذمته . فأطرق الرجل ثم قال : « إنني ايضا اهبك حصتي في بقية التفاحة . ان في بيتي حوضا فيه ماء وسخ آسن أريد منك أن ترمي ماءه في النهر وتنظفـه ثم تملأه بماء النهر وسأجعل لك ما اكلت من حصتي حلالا » .

قال حمزة : « لا سبيل لي الا الرضوخ . سأصلي الفريضة ثم ابدأ بالعمل » .

قال الرجل : « أنت وشـأنك . وسأجلب لك ما تحتاج في عملك » .

لم يشعر حمزة بسمو روحه وقربه الى الله في أية لحظـة مضت من حياته كتلك اللحظات وكأنه في صلاته قد طار الى السماء وحلق في عليائها وجرد منه كل ما يثقل ويحبس الروح من اثم وجشع واغتصاب وشهوة .. واسرع الى العمل وكأن يدا خفيـة تحمل معه الماء الثقيل ما كان يتصور انه يمكنه أن ينجز ما عمل وهو على ما عليه من جوع ونصب .

وحينما رضي المالك الثاني من عمله انطلق الى المالك الثـالث وحكى له القصة ، وما كان من شريكيه . أخذ الرجل ينظر اليه ثم أطرق ثم قال : « قف مكانك حتى آتيك » .

دخل بيته ثم يعود بعد دقائق ويقول لحمزة : « اني أيضا اهبك حصـتي فيما بقي من التفاحة . ان لي بنتا اريد أن أزوجك منها .. »

تهلل وجه حمزة ، انه الفرج بعد الشدة ، ابنة غني تزف اليه !! حمدا لله وشكرا ، ستكون له زوجة وطالما اشتاق الي زوجة وسيكون له أولاد وستكون لأمه معينة وانيسة !!

وواصل الرجل كلامه : « ولا ابرىء ذمتك فيما أكلت من مالي حتى تتزوجها على ما هي عليه » .

هنا انكفـأ وجه حمزة . قال : « ما عليها ؟ » .

اجاب الرجل : « انها عميـاء ، خرساء ، صماء ، مقعدة ، عجوز ، والى جانب ذلك سوداء كالفحم » .

قال حمزة متقززا : « لا ، لا يمكنني ان أتزوجها ليس لي رغبة فيها » .

قال الرجل : « اختر بين امرين : اما أن تبقى آثما حتى تموت وتلقى الله يوم الحساب واما أن تتزوج ابنتي هذه .. » .

قال حمزة وقد شعر ان جسده يثقل عليه ثقل الجبال : « ودي ان افعل ما تريد لكن ليس هذا في مقدوري وفي ارادتي » .

قال الرجل : « انت وشأنك فهي قد وافقت على الزواج منك وبقيت موافقتك لتعتق رقبتك من النار » .

قال حمزة مؤيدا وقد أظلمت الدنيا في عينيه : « كلامك صحيح لكن لا استطيع ، انه فوق طاقتي . وليس عندي ما يعينني على اعالتها » .

قال الرجل : « هل تطيق نار جهنم ؟ وانت تعلم أن عذاب الدنيا ليس كعذاب الآخرة » .

شعر حمزة ان نور روحه قد انطفأ وأن جسمه يغوص به في الارض . ما العمل وكيف يحمل نفسه على هذا الامر ..

قال حمزة وقد قرر أمرا : « سأعطيك الجواب بعد قليل » .

اخذ حمزة يجمع من على الارض عيدانا وقطع قماش والرجل ينظر اليه مندهشا . يضع حمزة ما جمع على الارض ثم يضرم فيه النار ذلك ما زاد اندهاش الرجل .

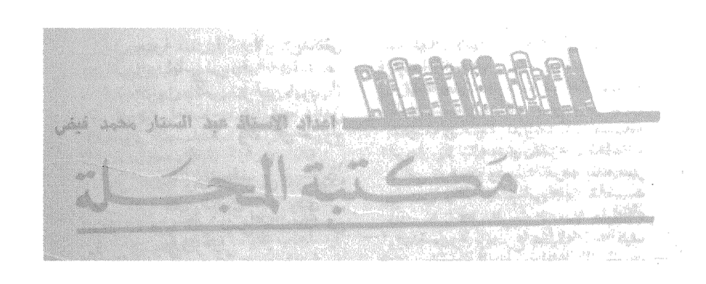
وحينما علت النار شمر حمزة عن ساعده الأيمن واذا به يدخل يده في النار وما لبث أن اخرجها وقد انكمش وجهه ألما وقد حبس آهة عميقة ثم ينطق قائلا : « كيف اتحمل نار الله ولم اتحمل نار الانسان » . ثم خرجت من فمه كلمة : « وافقت » .

تم عقد الزواج بوكالة الرجل . نهض حمزة ليذهب الى غرفة عروسته ليحملها (لأنها متعدة) الى امه قبل اشتداد الظلام . وما ان دخل حمزة غرفتها حتى خرج مرتجفا ممتقع اللون مضطرب اللسان وهو يردد كلمات الاستغفار ، وحينما سأله الرجل ما باله قال حمزة متلعثما : « اني توهمت ودخلت غرفة بنت غير زوجتي والله يعلم اني غير قاصد ذلك » . قال الرجل : « لا عليك » ويهدأ حمزة ويسرع بخياله : « كيف تكون الحور العين ما أظن تلك البنت الا منهن . تكاد روحي تخرج من جسدي شوقا الى الحور العين سأصبر حتى يزوجني الله منهن يوم القيامة » .

قال الرجل مبتسما : « يا ايها المؤمن الطيب انك لم تتوهم وما رأيت الا زوجتك ابنتي » . وتساءل حمزة مندهشا : « كيف ؟ ألم تقل لي إنها عمياء سوداء عجوز .. وهذه البنت لم ار اجمل منها في حياتي » .

فقاطعه الرجل : « نعم قلت ذلك . ان عاهاتها ليست كالعاهات قلت لك عمياء لأنها لم تنظر الى ما حرم الله وقلت خرساء لأنها لم تنطق بما حرم الله وقلت صماء لأنها لم تنصت الى ما حرم الله وقلت لك إنها سوداء لأنه لم يرها اجنبي الا وهي ملفعة بعباءة سوداء وقلت عجوز لأن لها عقلا كالكبار وقلت إنها مقعدة لأنها لم تسر الى ما حرم الله . اني قد آليت الا ازوجها الا ممن كان له تقوى كتقواها على كثرة من طلبوا يدها حتى هداك الله الينا فأنت الذي كنت أبحث عنه فهنيئا لك فقد نلت سعادة الدنيا ونعيم الآخرة . وأشركك رزقي الحلال لوجه الله تعالى » .

وما كان من حمزة الا أن انهال على يد الرجل يقبلها شاكرا الله .



لمحات فى الثقـــافة الاسلامية
للأستاذ عمر عوده الخطيب

كتاب يرمى الى تزويدنا بثقافة نافعة عن اســـــلامنا ، تؤدى الى ترسيخ مبادئه والايمان بمثله ، وفهم نظمه ، ورد الشبهات عنه ، واحباط المكائد التى تحاك ضده من أعدائه وبخاصة فى المضمار الفكرى والثقافى — وهو يزود العقل بالحقيقة الناصعة عن هذا الدين وسط ضباب كثيف من اباطيل الخصوم ، ويربى فيه ملكة النقد الصحيح التى تقوم المبادىء والنظم والمذاهب التقويم السليم .

والكتاب يحتوى على ستة فصول تشمل كل مدلولات الثقافة . منها الثقافة والمجتمع ، والثقافة والحضارة ، وركائز الثقافة الاسلامية وخصائصها والقوى المعادية لها ، والاستشراق والثقافة . وغير ذلك مما احتواه الكتاب المذكور الذى يقع فى (٣٨٠) صفحة ومن نشر الشركة المتحدة للتوزيع ص.ب (٧٤٦٠) بيروت — لبنان .

عالم الاسلام
للدكتور حسين مؤنس

موضوع هذا الكتاب هام بالنسبة لكل مثقف عربى يريد أن يأخذ صورة واضحة عن حقيقة المجتمع الاسلامى وتطوره التاريخى السياسى والاجتماعى .

وهو أساس لكل من يدرسون المجتمع العربى ولا يستغنى عنه طلاب الثقافة الاسلامية ، فهو يعرض بصورة موجزة وشاملة قيام عالم الاسلام ومقومات مجتمعه على عهد الرسول عليه السلام ، ثم نمو ذلك المجتمع فى الاتساع والعمق مع دراسة مستفيضة الملامح للمجتمع الاسلامى .

كما يتعرض الكتاب لما يسمى بعصور الركود فى تاريخ المسلمين ، ويحاول التعرف على حقيقـــة ذلك الركود وأسبابه ، مع الالمام بتاريخ الـــدول الاسلامية الكبرى التى ظهرت فى العصور المتأخرة .

والكتاب يقارب الستمائة صفحة ومن نشر دار المعارف بالقاهرة .

الفتاوى

صلاة الظهر

أثناء صلاة الجمعة

السؤال :

أنا ملازم للفراش بامر الطبيب ، ولا أستطيع الذهاب الى المسجد لأداء صلاة الجمعة ، فهل يصح لى أن أصلي الظهر في فراشي حال صــــلاة الامام الجمعة التى اســـمعها من المذياع ، أو يجب على أن أنتظر حتى يفرغ الامام من صلاته .. ؟

الاجابة :

يرى الشافعية والمالكية والحنابلة ان من سقطت عنه صــــلاة الجمعة لعذر من الأعذار كالمرض يسن له تعجيل صلاة الظهر فى اول وقتها ولا ينتظر فراغ الامام من صلاته ، وبناء على هذا فاذا صلى الظهر اثناء صــــلاة الامام الجمعة صحت صلاته مع ترك الســـــنة ، أما الأحناف فقالوا يسن للمعذور تأخير صـــلاة الظهر الى ما بعد صـــلاة إمام الجمعة ، أما صـــلاته قبل ذلك فمكروهة ، وبناء عليه تكون صلاتك الظهر صحيحة اثناء صلاة الامام الجمعة مع الكراهة .

وجه هذا السؤال الى فضيلة الشيخ عبـــد الله بن عبد العزيز بن عقيـــل فاجاب عليه بما يلى :

حكم نقل المسجد

السؤال :

شارع ضيق أحتيج الى توسيعه من المســـجد بهدمه كله ونقله الى محل آخر أو باخذ جزء من المسجد .. فهل يجوز مثل هذا في الشريعة المطهرة .. ؟

الاجابة :

قد أمر الله سبحانه بعمارة المساجد وحث عليها ، وعمارة المساجد تكون ببنائها وترميمها . وتكون بذكر الله فيها واحيائها بطاعته . قال الله سبحانه :

« **انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين** » . وفى حديث عثمان رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من بنى لله مسجدا بنى الله له بيتا فى الجنة » . وفى حديث أبى ذر : « من بنى لله مسجدا ولو قدر مفحص قطاة بنى الله له بيتا فى الجنة » ، وقال الله سبحانه : « **فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وأقام الصلاة وإيتاء الزكاة** » . فعمارة المساجد من أوجب الواجبات وأفضل القربات كما أن السعى فى خرابها والاستهانة بها من أعظم المحرمات ، فيجب احترام المساجد وتعظيمها كما عظمها الله ، ولا تجوز الاستهانة بها ، وتقذيرها ، والاستخفاف بحقها ، لأنها بيوت الله وموضع عبادته ، ومشاعر دينه . فالاستخفاف والاستهانة بحرمتها من اعظم انواع الجراة على الله والاستخفاف بدينه ، وقد تكاثرت الأدلة فى الحث على احترامها وتنظيفها وتطييبها ، واماطة الأذى والأوساخ والقمامة عنها ، كما جاءت النصوص بالنهى والتحذير عن السعى فى خرابها ، وعمل كل ما ينفر عنها او يقلق راحة المصلين فيها ، وقد ورد فى الحديث : « البزاق فى المسجد خطيئة وكفارتها دفنها » وورد ان النبى صلى الله عليه وسلم حينما رأى نخامة فى المسجد غضب وأمر بحكها ، وكذلك ورد أنه صلى الله عليه وسلم عزل الامام الذى تنخم فى قبلة المسجد ، ونهى آكل الثوم والبصل عن قربان المسجد ، فاذا كان الأمر كما ذكر من وجوب احترام المساجد وتعظيمها والتحذير من كل ما ينفر عنها علم من ذلك تحريم الاقدام على هدمها ونقلها لمجرد تصور متصور من غير حصول على افتاء شرعى مدعم بالدليل ، ولا تكون الفتوى فى مسجد بعينه فتوى فى عموم المساجد ، بل كل مسجد يحتاج الى فتوى تخصه بعينه .. لأن الأصل المنع ، ويحتاج كل مسجد الى نظر جديد ، وتأمل فى جنس المسوغات حتى يتحقق المسوغ الشرعى ، فهدم المساجد ونقلها بدون تحقق مسوغ شرعى لم يقل بجوازه أحد من علماء المسلمين .

أما نقلها لمصلحة أو لتعطل منفعة فهذا فيه خلاف بين العلماء ، منهم من منعه ، وهم الجمهور من العلماء واستدلوا بحديث : لا يباع أصلها ولا توهب ، ولا تورث . ومنهم من اجازه اذا تعطلت منافعه ولم يجزه لرجحان المصلحة ، ومنهم من اجازه لمجرد رجحان المصلحة ، ومنهم الشيخ تقى الدين بن تيمية وأتباعه ، قال فى الإنصاف : يجوز نقل المسجد لمصلحة الناس . وهو من مفردات المذهب واختاره صاحب الفائق وحكم به ، وقال أيضا : وجوز الشيخ تقى الدين ذلك ــ أى بيع البقعة والمناقلة فيها ــ لمصلحة ، وقال : هو قياس الهدى ، وذكره وجها فى المناقلة ، وقال فى الإنصاف أيضا : وأما اذا تعطلت منافعه أى الوقف فالصحيح من المذهب أنه يباع والحالة هذه ، وعليه جماهير الأصحاب ، وقطع به كثير منهم ، وهو من مفردات المذهب ، وعنه لا تباع المساجد لكن تنقل آلتها الى مسجد آخر ، اختاره أبو محمد الجوزى ، والحارثى ، وقال : هو ظاهر كلام ابن أبى موسى . وعنه لا تباع المساجد ولا غيرها لكن تنقل آلتها ، وقال فى الانصاف : فعلى المذهب المراد من تعطل

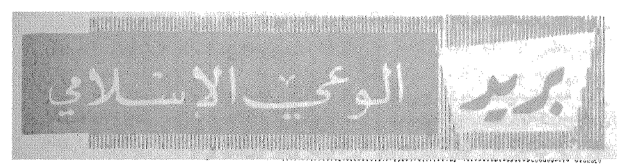
منافعه المنافع المقصـــودة بخراب محلته ونقله عبد الله ، وهذا هو المذهب وعليه اكثر الأصحاب ، وقدمه فى الفروع .

وقال فى المغنى : وجملة ذلك أن الوقف اذا خرب وتعطلت منافعه كدار انهدمت وارض خربت وعادت مواتا ولم تمكن عمارتها أو مســـجد انتقل أهل القرية عنه وصار فى موضع لا يصلى فيه ، او ضاق بأهله ولم يمكن توسيعه فى موضعه . أو تشققت سقوفه ولم تمكن عمارتها ولا عمارة بعضه الا ببيع بعضـــه جاز بيع بعضـــه لتعمر به بقيته ، وان لم يمكن الانتفاع بشىء منه بيع جميعه . اهـ .

فظهر مما تقدم أن نقل المسجد لحاجة الشارع اليه لا يجوز على المذهب ، وهذا على قول الجمهور اظهر ، وعلى اصل الشيخ تقى الدين لا يعد هذا بمجرده مسوغا لكن على اصله فقط انه لو نقل فى هذه الصورة الى موضع آخر لكونه اصلح وأسهل لجماعة المسجد ، وكان بمقدار المسجد الأول سعة وصفة او اتم ساغ الافتاء بذلك ، وقد استدل أصحابنا الحنابلة على جواز نقل المسجد عند تعطل منفعته بما يروى ان عمر رضى الله عنه كتب الى سعد لما بلغه أنه قد نقب بيت المال الذى فى الكوفة : ان انقل المسجد الذى بالتمارين ، واجعـــل بيت المال فى قبلة المسجد فانه لن يزال فى المسجد من يصلى ، قالوا وكان هذا بمشهد من الصحابة ولم يظهر خلافه ، فكان اجماعا ، واجابوا عما استدل به الجمهور بأن البيع المنهى عنـــــه فى الحديث هو بيعه كبيع الأمـــلاك ، أو لا يحل ثمنه . وابطال وقفيته ، وهذا مما لا نزاع فيه ، والنقل عند تعطل المنفعة أو لرجحان المصلحة ليس من هذا فى شىء ، وانما هو من تكميل الوقف والسعى فى حصول مقصود الواقف او ما هو اكمل من مقصوده ، وهذا من الاحسان والتعاون على البر والتقوى الذى أمر الله به .

والله أعلم .





اعداد : عبد الحميد رياض

ما معنى قوله صلى الله عليه وسلم « شهرا عيد لا ينقصان : رمضان وذو الحجـــة » . . ؟

عبد العزيز لطفي ـــ كويت

ليس المراد بالنقص في الحديث النقص في عدد الأيام في كل من الشهرين بمعنى أنه لا يكون رمضان ولا ذو الحجة الا ثلاثين يوما ، لأن الواقع يخالفه فقد يكونان تامين وقد يكونان ناقصين ، وقد يكون أحدهما ثلاثين والآخر تسعة وعشرين ويدل على أنه ليس المراد العدد قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته ، فان غم عليكم فأكملوا العدة » فانه لو كان رمضان أبدا ثلاثين يوما لم يحتج الى هذا .

والمراد أنهما لا ينقصان في الأجر والثواب المترتب عليهما وان نقص عددهما ، بل يتفضل الله عز وجل بالحاق الناقص بالتام ، في الثواب ، وسمى رمضان شهر عيد مع أن شهر عيد الفطر شوال لقرب رمضان من العيد .

الخمر وموقف الاسلام منها :

تساؤلات . . . وأجوبة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم النبيين وامام المرسلين ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، والتابعين . .

وبعد ، فقد بعثت الى مجلة (الوعي الاسلامي) مشكورة برسالة تلقتها من المواطن الكريم السيد/احمد عبد الفتاح مصطفى بكلية زراعة القاهرة ، يسأل عن أشياء دارت بخاطره ، وهو يقرأ مقالا لي ، نشر في المجلة ، ضمن سلسلة بحوث نشرتها المجلة عن : « الحدود في الاسلام » ومن بينها موضوع : « الخمر وموقف الاسلام منها » وهو الموضوع الذي دار حوله تساؤلات المواطن الكريم .

. . .   .

يقول الأخ الكريم في رسالته : « وكانت ثمرة هذا الموضوع القيم أن الخمر بجميع أنواعه ، وأصنافه وطرق اعداده ، وكميته ، محرم شرعا » .

ثم يقول : « ولكن يخطر ببالي تساؤلات أرجو الاجابة عليها :

١ ـــ « تفاوت درجات تحريم الخمر في القرآن الكريم ، فقد ذكر في سورة البقرة ، قول الله عز وجل : « **يسـئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما أكبر من نفعهما** » . . الآية .

ويسأل الأخ الكريم : « ما المقصود بالمنافع للناس ، والموازنة بين اثمها ونفعها ؟ وهل اتخاذ الغرب الخمر والميسر نافع لهم هذا النفع المقصود فى الآية الكريمة ؟ وما منافع الخمر والميسر ؟

٢ ـ قوله تعالى فى سورة المائدة : **((يايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان ، فاجتنبوه لعلكم تفلحون))** ويسأل الأخ الكريم : « فى الآية السابقة الأمر النهائى بتحريم الخمر والميسر واجتنابهما .. فما حكمة التدرج فى التحريم ، بالمقارنة الى سورة البقرة السابقة ، التى ذكرت أن للخمر منافع وآثاما » ؟ .

٣ ـ وننتقل فى نهاية المطاف الى سورة محمد ، حيث يقول الله عز وجل : « مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من خمر لذة للشاربين ، وأنهار من عسل مصفى ، ولهم فيها من كل الثمرات » .. الآية .

ويسأل الأخ الكريم : « ما المقصود بأنهار الخمر اللذيذة للشاربين ؟ وهل هى مسكرة كخمر الدنيا وما هى صفاتها حتى لا يحدث فيها اختلاط بين خمر الدنيا المحرمة ، وخمر الجنة ؟ » .

ذلك هو محتوى رسالة الأخ الكريم نقلناه بنصه .

وانى لأحمد الله تعالى للأخ الكريم أن حمى شبابه من هذه الغفلة التى تستولى على كثير من الشبان فلا يلتفتون الى ما ينبغى أن يلتفتوا اليه من أمور دينهم ، صارفين جل أوقاتهم فيما يترضون به أهواء الشباب ونزواته .. نسأل الله العافية لشبابنا ، والسلامة لهم من الغرق فى تيارات الآراء ، والمذاهب المضللة الزاحفة الينا من الغرب فى صور شتى من المنطوق ، والمسموع ، والمنظور ..

... ...

ويسعدنى بعد هذا أن التقى مع الأخ الكريم ، لأجيب على أسئلته ، راجيا أن أوفق فى الاجابة الى ما يزيده ايمانا بدينه ، ويقينا بما فى كتاب الله تعالى من حق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وبما فى شريعة الاسلام ، من بصائر للناس ، وهدى ورحمة للمؤمنين ..

... ...

فأولا : ما يتساءل عنه الأخ الكريم : « من تفاوت درجات تحريم الخمر فى القرآن الكريم » .

ولعله يقصد بهذا ما جرت عليه الشريعة السمحة من اليسر والترفق بالناس فيما تلزمهم به من أحكامها ، تقريرا أو تحريما ، وذلك بالتدرج فيما يدعو الناس الى الأخذ به أو الكف عنه ، وخاصة فى التكاليف التى تشق على الناس فى أول عهدهم بها .. كالصلاة مثلا .. فانها فرضت أول ما فرضت ركعتين ركعتين ، ثم زيدت ركعاتها بعد ذلك الى ما هو معروف منها .. بل وأكثر من هذا فان ثقيفا حين ارادت أن تدخل فى الاسلام اشترطت على النبى صلى الله عليه وسلم أن يؤمنوا بوحدانية الله ، وبأن محمدا رسول الله ، والا يؤدوا الصلاة ، ولا الزكاة ولا الجهاد فى سبيل الله .. فقال لهم الرسول الكريم : أما الصلاة ، فانه لا خير فى دين لا صلاة فيه .. فقبلوا ان يصلوا ، ولم يقبلوا أداء الزكاة ولا الجهاد فى سبيل الله ،فقبل منهم الرسول الكريم دخولهم فى الاسلام على هذا الشرط ، وحين راجعه بعض أصحابه فى هذا ، قال : انهم سيؤدون الزكاة ، وسيجاهدون اذا دخلوا الاسلام » وقد كان فحسن اسلام ثقيف ، وأدوا الزكاة وجاهدوا مع

المجاهدين ، حتى انه حين ارتدت بعض قبائل العرب لم يرتد أحد من ثقيف ، وكانوا جندا من جند الله فى حروب الردة .

وكذلك الشأن فى الخمر التى جاء الاسلام والجاهليون يتعاطونها ، ويتواردون شيبا وشبانا على مجالسها ، توارد عطاش الابل على الماء .. فكانت الحكمة الربانية التى قضت بتحريمها أن تنتزع هذا الداء الخبيث المتمكن من النفوس ، بتلطف ورفق ، وأن تسقيهم الدواء الشافى لهذا الداء جرعة جرعة .. فذلك هو الذى تصلح عليه النفوس .. كما تصلح عليه الأبدان .

وأول لمسة من لمسات القرآن الكريم لهذا الداء جاءت بالاشارة من طرف خفى الى أن فى الخمر شيئا ، ينبغى للعاقل أن يتجنبها من أجله ، والا يجعلها تجارة من تجارته أو زادا من زاده .. وفى هذا يقول الله تعالى فى سورة النحل : **((ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا))** (الآية ٦٧) .. وفى هذا اشارة من بعيد الى أن ما يتخذ من ثمرات النخيل والأعناب ، منه ما هو رزق حسن ، كالذى يتخذ للأكل أو للتجارة ، ومنه ما هو غير رزق حسن . وهو ما يتخذ سكرا ، وخمرا .. **((ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ، ورزقا حسنا))** .. فالسكر شىء ، والرزق الحسن شىء آخر ، حيث لا يستحق السكر هذا الوصف الكريم ..

هذه لمسة أولى من لمسات القرآن الكريم الخفية الخفيفة للكشف عن هذا الداء ، لينبه الغافلين عنه .

ثم تجىء اللمسة الثانية ، جوابا لتساؤلات السائلين عن الخمر والميسر ، بعد أن رأوا منها هذا الوجه الخبيث ، القبيح ، الذى يعزلها عن أى وصف حسن ، فيقول جل شأنه : **((يسألونك عن الخمر والميسر .. قل فيهما اثم كبير ، ومنافع للناس ، واثمهما أكبر من نفعهما))** .. وفى هذا تصريح بعد التلميح الذى حملته آية النحل ، بما فى الخمر ، وصاحبها الميسر من اثم كبير ، الى جانب ما قد يحسبه يحسبه الظمآن ماء ، حتى اذا جاءه لم يجده شيئا .. ذلك أن ما قد يجده شارب بعض الناس من نفع فيهما .. وان هذا النفع المتوهم اذا نظر اليه العاقل نظرة مبرأة من الهوى ، بعيدة عن الخداع النفسى ، وجد أنه لا يعدو أن يكون سرابا يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ذلك أن ما قد يجده شارب الخمر من انتشاء وخفة ومرح ، هو شىء يخف ميزانه ، الى جانب ما يعقب ذلك من فقدان الوعى ، وضياع المروءة . وسقوط الكرامة ، والنزول من مقام الانسان الكريم ، الى عالم الحيوان البهيم .. وكذلك شأن من يتجر بالخمر ، صانعا أو بائعا ، أو جالبا ، أو ساقيا ، هو لا بد شارب لها يوما ما ، ان لم يكن اليوم ففى غد ، أو بعد غد ، وبهذا يجنى ما يجنى شاربوها من هذا الثمر المر القاتل منها .. ثم هو الى جانب هذا يحمل الى غيره من الناس ما يوردهم موارد الضياع والهلاك ..

وفى اقتران الميسر بالخمر فى هذه الآية الكريمة ، وفى غيرها ، اشارة الى أن هذين الداءين الفتاكين ، متآخيان متلازمان ، فحيث كانت موائد خمر ، كان المجتمعون عليها شاربين ومقامرين ، وحيث كانت موائد قمار ، كان الملتفون

حولها مقامرين وشاربين .. وهكذا يجتمع الخبيث الى الخبيث ويأتلف به .

ثم يجىء القرآن الكريم بعد هذا البيان المبين الكاشف عن الخمر والميسر ، وعما فيهما من اثم كبير ، يرجح بكل ما قد يلتقطه بعض الناس من منافع متوهمة لهم من معاقرة الخمر ، أو لعب الميسر — يجىء القرآن فيكشف عن وجه آخر خبيث من وجوه الخمر ، فيقول سبحانه : **« يأيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون »** (النساء : ٤٣) .

وكفى بالخمر شناعة وبلاء أن تعزل شاربها عن جماعة المسلمين ، وأن تبعده عن مقام القرب من الله فى هذا الموقف الكريم ، الذى يقفه المصلون بين يدى الله ، يناجون ربهم ، ويتلقون ما يتلقون من سوابغ فضله ، وعظيم رضوانه ..

وكفى بشارب الخمر ضياعا وخسرانا أن يجد نفسه معزولا عن الناس فى أشرف مقام وأكرم منزلة .. وحسبه أن يرى الناس يدخلون من أوسع الأبواب الى لقاء الله ، والى مناجاة ربهم فى محاريب الصلاة ، ثم يظل هو واقفا على الباب ، لا يؤذن له ، حتى يذهب عنه داء الخمر ، الذى أخذ عقله ، وذهب بلبه ، واغتال انسانيته .

وفى هذا الموقف الذى يدخل فيه المسلم فى تجربة عملية مع الخمر وما جرته عليه من ويلات ، ومساءات يرى كيف أزرى بانسانيته ، وفقد أهليته أن يقف مع الناس بين يدى الله ، على قدم المساواة ، لينال ما ينالون من خير ، ويذهب بما يذهبون به من أجر — فى هذا الموقف يتهيأ هذا الانسان للخطوة التى ان خطاها أخذ مكانه بين الناس ، وصف قدميه مع أقدامهم ، وهذا لا يكون الا بأن يجتنب الخمر ، ويقطع صلته بها .. وهنا يجد هذا النداء الكريم من رب كريم يدعوه اليه ليكون من عباده المفلحين : **« يأيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان ، فاجتنبوه لعلكم تفلحون »** (المائدة ٩٠) .. فالفلاح كل الفلاح لمن جانب هذه المنكرات ، وأبى أن يمد يده الى ما عمله الشيطان ، وزينه له .. وانه لا فلاح أبداً لمن استجاب للشيطان ، وتناول من يده هذا الرجس الذى يفتنه به ، ليضله عن سبيل الله ..

تلك هى بعض حكمة التدرج فى تحريم الخمر ، وما يدور فى محيطها من منكرات ، جريا على سنة الشريعة السمحة الحكيمة ، فى سياسة النفوس ، ومعالجة أمراض القلوب ، وذلك بالرفق والحكمة واليسر ، حيث تستجيب النفوس ، وتلين القلوب ..

••• ••• •••

ولا أرانا بعد هذا فى حاجة الى اجابة الأخ الكريم اجابة مسهبة مفصلة على تساؤله : « وهل اتخاذ الغرب الخمر والميسر نافع لهم هذا النفع المقصود فى الآية الكريمة » ؟

ويكفى أن نقول : ان ما يصدق على المسلمين من أمر الخمر والميسر ، ومن

أن ضررهما أكبر من نفعهما عقليا وجسديا وماديا ــ يصدق على غير المسلمين فى الشرق والغرب ، من حيث اشتراكهم جميعا فى الانسانية ، وأن الضرر الذى يقع على المسلم من أى منكر يتعاطاه ، أو اثم يقترفه مما نهاه الله عنه ، يقع على غير المسلم . والفرق بينهما أن المسلم يتلقى أوامر ربه ونواهيه مؤمنا موقنا بالخير الذى يناله من امتثال أمر ربه ، ومطمئنا مستيقنا بالأمن والسلامة باجتناب ما نهى عنه .. أما غير المسلم فان أهواء نفسه وشهواتها ، هى صاحبة الأمـــر والنهى له ، فبسلطان أهوائه ، وبنزعاته يأتى ما يأتى ، ويدع ما يدع ، ولو كان فيما يأتيه بلاؤه وشقاؤه ، وكان فيما يدعه خيره وسعادته .. والله سبحانه وتعـــالى يقـــول : **« أفمن كان على بينة من ربـــه كمن زين له سوء عمله واتبـــعوا أهـــواءهم » ؟** (محمد ١٤) ..

*** *** ***

ونقف مع الأخ الكريم وقفة عند تساؤله عن خمر الجنة التى وعد المتقون ، اذ يتساءل عن « المقصود بأنهار الخمر اللذة للشاربين ، وهل هى مسكرة كخمر الدنيا ؟ وما هى صفاتها حتى لا يحدث اختلاط بين خمر الدنيا المحرمة ، وخمـــر الجنة »

ونقول للأخ الكريم : ان خمر الجنة لا تسكر ، ولا يسكر شاربوها ، ممن أنزلهم الله تعالى منازل جنته ورضوانه .. يقول الحق جل وعلا : **« يطاف عليهم بكأس من معين ، بيضاء لذة للشاربين ، لا فيها غـــول ولا هم عنها ينزفـــون »** (الصافات ٤٥ ــ ٤٧) . ومعنى : (لا فيها غول) أى ليس فى هذه الخمر ما ينال من العقول ، ويغتال ملكة الادراك فيها .. ومعنى (ولا هم عنها ينزفون) أى ولا يجد شاربو هذه الخمر اثرا لها فى عقولهم .. وذلك أن أهـــل الجنة طيبـــون ، لا يتقبلون الا طيبـــا ولا يســـمعون الا طيبـــا ، كما يقول ســـــبحانه : **« لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما . الا قيلا سلاما سلاما »** (الواقعة ٢٥ ، ٢٦) ومجالس الخمر لا يسمع المجتمعون عليها الا ما كان من لغو الأحاديث ، لأن من سكر هذى . ولغا .

وأما كون خمر الآخرة من وسائل النعيم لأهل الجنة ، فذلك مما لا شـــك فيه ، اذ الجنة كما وصفها الله سبحانه وتعالى بقوله : **« وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين »** (الزخرف ٧١) وبقوله سبحانه : **« ولكم فيها ما تشتهى أنفســـكم ولكم فيها ما تدعون »** (فصلت ٣١) .

فكل ما تشتهيه نفوس أهل الجنة يجدونه بين أيديهم من غير أن يتكلفوا له عملا .. وليست الخمر هى كل ما يشتهيه أهل الجنة . فهناك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، كما يقول الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه ..

ان ثم كثيرا من الناس فى هذه الدنيا قد دعتهم أنفسهم الى شرب الخمر فردوا أنفسهم عنها ، امتثالا لما نهاهم الله عنه،وخشية لجلاله ، ومراقبة لسلطانه، فكان من فضل الله عليهم أن هيأ لهم فى الجنة مجالس يتعاطون فيها الخمر مبرأة مما يصيب شاربيها فى الدنيا ، من صداع الرءوس ، وفتور الأجسام وذهاب العقول : **« يطـــوف عليهم ولدان مخلدون . بأكواب وأباريق وكأس من معين . لا يصدعون عنها ولا ينزفون »** (الواقعة ١٧ ــ ١٩) .

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

عبد الكريم الخطيب



حول تعــدد الزوجات

لا يدرى الانسان البصير الى متى يظل هذا الدين عرضة للهجوم ، ومجالا للاتهامات الباطلة ، والى متى تظل هذه النفوس فى حالة هروب عن الهدى ، وعمى عن الحق ، بل الى متى يظل هذا المنهج الالهى القويم مثارا للافتراءات والأكاذيب التى تهدف الى نزعه من الصدور ومحوه من القلوب . ولقد ظل تعدد الزوجات فى الاسلام أمرا كثر فيه القول والجدل بغير دليل ولم ترض النفوس الحاقدة أن تعرف الحكمة من وراء هذا التعدد والسبب فى مشروعيته ، وفى هذه الأيام تتوارد علينا الاحصائيات التى نشرت فى العالم عن عدد الأناث وعدد الذكور ، فلقــــد نشرت صحيفة الأهرام القاهرية الاحصائية التالية يوم الأربعاء ١٩٧٤/١/٩ تحت عنوان (نساء العالم فى ازدياد) : « تشير الاحصاءات الى أن عدد النساء فى العالم يزداد بدرجة ملحوظة على عدد الرجال ، وأن هذه الزيادة مستمرة ففى أمريكا أصبح عدد النساء يفوق عدد الرجال بنسبة ٣٠٪ ، وفى السويد ٢٤٪ ويوجد فى بريطانيا الآن ١٥ مليون أنثى فى مقابل ١١ مليون رجــل وفى الاتحــاد السوفيتى تبلغ الزيادة فى تعداد الاناث اللاتى فى سن الزواج عن عدد الرجال فى نفس السن ٩ ملايين فتاة » هذه هى الاحصائية .

فماذا يفعل العالم الآن ازاء هذا العدد الكبير من النساء فى مقابل العدد القليل من الرجال ؟ وماذا يضع فى تشريعاته الوضعية من حل لهذه المشكلــــة الخطيرة والمتفاقمة ؟ نفس هذا التساؤل يضعه الأستاذ محمد الغزالى ، فهو يقول (اما اذا كان عدد النساء أربى من عدد الرجال فنحن بين واحد من ثلاثة :

١ ــ اما أن نقضى على بعضهن بالحرمان حتى الموت .

٢ ــ واما أن نبيح اتخاذ الخليلات ، ونقر جريمة الزنا .

٣ ــ واما أن نسمح بتعدد الزوجات .

ونظن أن المرأة ــ قبل الرجل ــ تأبى حياة الحرمان ، وتأبى فراش الجريمة والعصيان ، فلم يبق أمامها الا أن تشرك غيرها فى رجل يحتضنهما وينتسب اليه أولادها ، ولا مناص بعدئذ من الاعتراف بمبدأ التعدد الذى صرح به الاسلام .

هذا هو الحق وربما ظهرت الحكمة الربانية من وراء التعدد ، وبالاضافة الى التساؤل السابق نضع هذه الأسئلة الواقعية التى تطلب حلا وتلح فيه :

ما هو السبيل الى ذرية صالحة اذا كانت الزوجة عقيما ؟ وما الحل الأم اليتامى التى فقدت الزوج الذى كان يرعاها ؟ ، وما الخلاص للتى طلقت من زوجها ؟ أو للعانس التى فاتها سن الزواج ؟ أو للأرملة التى مات زوجها ؟ أو حتى للتى اعوج بها السبيل فى ريعان الشباب ؟

الى غير ذلك من الأسئلة .

ثم هناك السؤال الكبير والخطير ، ان التعدد تشريع من الله سبحانه وتعالى الله الذى خلق والذى أحيا وأمات ورزق ، الله الذى يعلم السبيل الوحيد لانشاء مجتمع مثالى صالح ، فكيف يمكن ويجوز لنا ، أو حتى لغيرنا ، أن يرضى بمنهج

الخلق على منهج الخالق ، وبقانون العبد عن تشريع المعبود ؟ ثم (**أأنتم أعلم ام الله**) ؟ (**الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير**) .

خليل محارب السويركى

المساعى المشكورة

تساعد وزارات الأوقاف فى الدول الاسلامية طلاب العلم الفقراء باعانة شهرية طول مدة الدراسة وقد أحصى صاحب كتاب اشتراكية الاسلام واحدا وثلاثين غرضا تتوجه الأوقاف لتحقيقها .. ثم يتخرج الطالب طبيبا أو مهندسا أو صيدليا أو مدرسا او مذيعا أو صحفيا أو ممثلا او مخرجا .

فهل يرد الجميل الذى اسدى اليه بعد أن أصبح غنيا قادرا على رد الجميل ؟

أم يكون اول القصيدة كفرا فلا تنال منه أوقاف المسلمين الا العيب والشتم والطعن لأنه راى فيها ما لا يعجبه ؟

وما اكثر وأعقد بذور السخط والتمرد فى نفسه ويتمنى لها الخراب والفناء والالغاء وان كان خيرها عليه من مفرق رأسه الى أخمص قدميه .

لأنه تأثر بالحضارة الغربية أو شم هوى الشيوعية وأصبح فى حب البيضاء أو الحمراء أصغر أو أحقر عبد ورحم الله أبا العلاء حين قال :

والقلب من أهوائه عابد ما يعبد الكافر من بره

فتراه يفزع من ظلال الاسلام والشرق والعروبة والفلاحة والبادية والمصرية كما يفزع الملدوغ اذا راى الحية .. واذا ذكر بماضيه الذى يمد جذوره الى هذه المعانى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما (ذكر) به ، مع أن رسول الله لم يستنكف بعد الرسالة من رعى الغنم قبلها ..

هل يستعد هذا الطالب القديم بعد أن يصبح صاحب سيارات أو عمارات أو عيادات أو أراضى أو مصانع أن يهب ايراد بعض هذه الأشياء لطلاب العلم وقد كان منهم قبل أن يغير جلده ؟

كم هم أصحاب المئات والألوف والملايين الذين ينزلون عن شىء من أموالهم طائعين مختارين لجهات البر التى تنفق عليها وزارات الأوقاف ؟

وما دامت مواردها قد أصابها الكساد وجفت الأمطار التى تغذى منابع أموالها لتغير الأحوال ودناءة النفوس وميلها للأثرة وحبها لأن تأخذ ولا تعطى ومعرفتها للحق دون الواجب ومطالبتها بالعدل اذا كان لها وتجاهله اذا كان عليها .. فلا بد أن تراجع الأوقاف نفسها وان تتكيف مع البيئة فيكون العطاء عندها بمقدار فى وقت الحاجة ، وأنا أقترح على الوزارة والهيئات والمصالح التى تساعد طلاب العلم أن تكون هذه المساعدات ديونا عليهم تقرضها لهم فى وقت الفقر ثم تستردها بعد اليسار والسعة لتعين بهذه الأموال غيرهم بدلا من أن يوكل استمرار الأوقاف فى مساعدة طلاب العلم الى ضمائرهم وقد أصبحت كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا .

وليس من الحكمة أن تضع الأوقاف رسالتها واستمرار حياتها تحت رحمة هذه الضمائر التى شاعت أقوالها وأفعالها وهى لا تبشر بخير ولا تسر الصديق ولا العدو .

أليس أخذ أموال المساعدات من هؤلاء ضمانا لاستمرار الرسالة التى أسسها الرواد الأوائل من الواقفين خيرا من انفاقها فى المصايف والمشاتى والملاهى وعلى الغوانى والزخارف ؟

عبد الرحمن احمد شادى

الطريق الى حياة
العزة والكرامة

لقد أصبح واضحا الآن بما لا يدع مجالا للشك ، وبما ليس فى حاجة الى برهان : أن الأمة التى لا يتعدد فيها الضحايا ، ولا يكثر فيها طلاب الشهادة دفاعا عن عقائدهم وشرائعهم ، وآدابهم وقيمهم وحرماتهم ومقدساتهم ، ومبادئهم ومثلهم التى أمروا بالدفاع عنها أو الموت من أجلها ، والتى تنتظم الحياة بأكملها وتحفظ الهيبة والكرامة ، والحق والحرية والعدالة للأحياء من أفرادها .. هى أمة غير جديرة بحياة العز وعيش الكرامة ، بل انها لحرية أن يتخطفها الناس من كل صوب ، وأن يطمع فيها القوى والضعيف والصالح والطالح من كل جانب ..

ومن هنا — وليس من أى شىء آخر — كان الشهداء من الأمة — بحق — هم بمثابة القاعدة من البناء ، على جثثهم الطاهرة المباركة ينهض بناء الأمم ويسمو حتى ليطاول السحاب : علوا وشموخا وعزة واباء وبدمائهم الطاهرة الزكية تروى أشجار عزها وتزدهر أزهار مجدها وفخارها على تعاقب الأيام ومر الأجيال .. بل اننا لا نغالى اذا قلنا : أن الشهداء من الأمة بمثابة الروح للجسد ، والعافية للبدن ، كما أننا لا نتجاوز الحق اذا قلنا : ان دماءهم الزكية الطاهرة هى وقود حياة الأمم ، بل انها الطاقة الخفية التى تشق للأمم طريقها الى الخلود والمجد ، وتظلها بسحائب الرحمة والخير والطمأنينة والرخاء .. ذلك لأن كل قطرة من دماء الشهداء تهرق على أرض أوطانهم المباركة ، وتشربها تربتها المقدسة .. لا تضيع سدى ، ولا تذهب هباء : بل انها لتأتى بالغرائب ، وتصنع الاعاجيب فى حياة الأمم والاوطان ، ان لم تكن تأتى بالمعجزات الباهرات ..

ذلك : لأنه اذا كان من شأن الماء حين يمس الأرض أن يهزها من أعماقها حتى يشقق من بنيانها ويفتت من مادتها ، ويخرج منها من خلال النبات وأغصان الشجر حبا جنيا وثمرا شهيا ، وأكلا طيبا هنيا كما حدث الله تعالى عباده فردا فردا فقال : « وترى الأرض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج » الحج . فان دم الشهيد لا يكاد يسيل من عروقه ويسقى أديم الأرض ويسوخ فى أعماقها : حتى يبرز من جديد .. من خلال أحاسيس البشر وأفكارهم ، وطاقاتهم الوجدانية ، غضبا عاصفا يموج فى الاثير ، ثم ينصب على رءوس الظلمة الغاشمين فى كل زمان وفى كل مكان ، على مر الايام وتعاقب الأجيال .

مسئولية الكتاب والمثقفين والشباب

ان أخطر ما تواصى به المسلمون مستمدا من أعمق مقومات الاسلام هو القدرة الدائمة على مواجهة الحرب النفسية التى تحاول اخراجهم عن قيمهم وذاتيتهم . فقد عمل الاسلام على تحرير اتباعه من التأثير الاجنبى بكل انواعه ودعا الى اليقظة ازاء الحرب النفسية التى تهدف الى تغيير المعالم الأصيلة لعقيدتهم وفكرهم وثقافتهم ومزاجهم النفسى . فقد كان أعداء الاسلام يعلمون أن الطريق الوحيد الى تمزيق وحدة الأمة هو ضربها من خلال قوائم فكرها باثارة الشبهات وادخال مفاهيم وتفسيرات غريبة تختلف عن التفسيرات الأصيلة .

ولقد كافح المسلمون فى تاريخهم كله لتحرير الفكر الاسلامى من هيمنة اى فكر آخر أو عقيدة أخرى ، ولذلك فان أهم المسؤوليات الملقاة على الكتاب والمثقفين والشباب اليوم هو النفاذ المستنير والقدرة الواعية على تعرف أبعاد الأخطار التى تحيط بالمجتمع والأمة والفكر .

ان هناك عدوا خطيرا لا يتوقف عن القاء السموم والشبهات ، فعلينا أن نتحصن بالحذر واليقظة ، ولنكن قادرين على مواجهة هذه الشبهات ودحضها ، وان هناك حربا نفسية تعمل على تشكيك أمتنا فى وجودها ، رغبة فى تدمير صمودها ومقاومتها تمهيدا لتدمير وجودها نفسه .

وتحاول الحملة النفسية أن تشكك فى عشرات من الحقائق وأن تثير الشبهات فى عدد من القضايا فضلا عن القاء مفاهيم وافدة لا تتفق مع ذاتية الاسلام وطبيعته الأصيلة القائمة على التوحيد والايمان والاخلاق .

ولذلك فقد كان من الضرورى أن يوفق المسلمون الى الحقائق الاصيلة التى يراد دحضها وأن يقفوا من أجل الدفاع عن ذاتيتهم الخاصة التى يراد تدميرها .

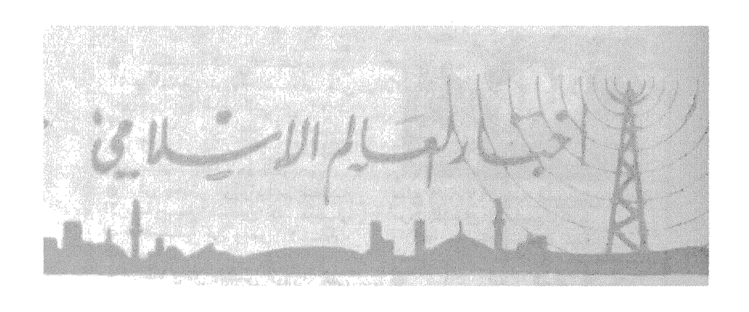
ان الذين يردون ركود المسلمين الى الاسلام نفسه يخطئون ، فان الاسلام براء من كل عناصر التأخر والركود . ولقد اقام نهضة وأنشأ حضارة ما زالت تضىء للانسانية من خلال الاجيال ، والحق أن ضعف المسلمين انما يعود الى انفصالهم عن أصول الاسلام ومقوماته باندفاعهم فى حياة الترف ، وتعطيلهم الجهاد .

ولقد تواصى المسلمون بالحذر من أهداف تحريف مفاهيمهم التى تتمثل فى العصر الحديث فى أهداف التغريب والاستعمار والغزو الثقافى التى تحاول هزيمة العقيدة باذاعة الالحاد وتقويض المجتمع والاسرة بنشر الالحاد .

ولقد كان الاسلام قادرا دوما على التجدد من خلال مقوماته ، ولم تخل حقبة فى تاريخ الاسلام حتى فى أشد عصوره ضعفا من المصلحين والمجددين من ذوى العقول المستنيرة والقلوب المؤمنة ، ولقد كان شغل أعلام المسلمين الشاغل هو الرفض بالسماح لشخصية الاسلام الحضارية أن تذوب أو تتلاشى فى أي حضارة أخرى .

لقد كانت للاسلام انتفاضات بين فترة وفترة تسقط كل ما أدخل الى جوهره من قيم غريبة عنه ، ولقد كان الفكر الاسلامى قادرا دوما على رفض الدخيل وطرد البديل . وحضانة الأصيل .

عن (أخبار العالم الاسلامى) — مكة المكرمة



إعداد الأستاذ : فهمى الامام

الكويت : عــاد حضرة صاحــب السمو امير البلاد المعظم بحفظ الله ورعايته الى أرض الوطن بعد أن قضى فترة من الراحة والاستجمام فى ربوع لبنان وكان فــى استقبالــه فى مطار الكويت الدولى سمــو ولى العهــد ورئيس مجلس الــوزراء والشيــوخ والــوزراء ورؤســاء البعثــات الدبلوماسية وكبــار ضبــاط الجيش والشرطة ، وجمهــور غفير مــن المواطنين .

● استقبل سمو أمير البلاد المعظم فى الشهر الماضى وزير خارجيــة بنغلادش الدكتور كمــال حسين . ويبدو فى الصورة وزير الخارجيــة يصافح سمو الأمير المفدى .



● احتفل فى الشهر المــاضى بالذكرى العاشرة لقيــام مؤسســة الدراســات الفلسطينيــة وذلــك بقاعة الاجتماعات الكبرى بمبنى غرفة تجارة وصناعة الكويت .
وفى الصورة سعادة الشيخ سعد العبد الله السالم يلقى كلمة الافتتاح .



● وصل الى البلاد وفد اسـلامى من جمهورية غينيا بيساو .. وقــد استقبل الوفد فى المطار الاستــاذ راشد عبد الله الفرحان وزير الأوقاف والشئون الاسلامية .. ويرى سيادته فى الصورة مع الوفد فى قاعة مطار الكويت .

● احتفلت جامعة الكويت فى الشهر الماضى بتوزيع الشهادات على الخريجين فى العام الدراسى ٧٢ ــ ٧٣ . ويبدو فى الصورة سعادة وزير التربية والرئيس الأعلى للجامعة وهو يسلم شهادة لأحد الخريجين .

● قرر مجلس الوزراء دعم الجامعة الأردنية بمبلغ خمسين الف دينار للمساهمة فى بعض الانشاءات الجامعية .

كما وافق مجلس الوزراء على مشروع قانون بمساهمة دولة الكويت فى صندوق الدعم العربى للدول الافريقية بمبلغ ثلاثين مليون دينار .

● أعلن وزير التربية ووزير الدولة بالنيابة أن الكويت التى قدمت الدعم لسورية ستستمر ، وأن جيشنا يقاتل فى الجولان الى جانب اخوانه .

مصر : أمر الرئيس أنور السادات باهداء الكويت احدى الدبابات الاسرائيلية التى غنمتها القوات المسلحة أثناء حرب أكتوبر .

● تجرى اتصالات بين القاهرة والدول الاسلامية لانشاء جمعية عالمية تساهم فى انقاذ الآثار الاسلامية على الصعيد العالمى . وسوف تسند رئاسة الجمعية للدكتور عبد العزيز كامل نائب رئيس الوزراء للشئون الدينية .

● اشترك فضيلة الامام الاكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر فى مؤتمر المنظمات الاسلامية الذى عقد بمكة المكرمة مؤخرا .

● زار فضيلة الشيخ عبد العزيز عيسى وزير الأزهر يرافقه عدد من العلماء جبهة القناة والتقى بالمقاتلين فى مواقعهم داخل سيناء ... وأدى معهم صلاة الشكر ، وصلاة الغائب على أرواح الشهداء فى مدينة القنطرة شرق .

السعودية : أمر جلالة الملك فيصل بمنح الجمعية الاسلامية الإيرلندية



مبلغ (١٧٠٠٠) جنيه استرلينى لاقامة مركز للشبان المسلمين والذين يعدون بالآلاف .. وقد تسلمت الجمعية المبلغ .

● عقدت رابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة مؤخرا مؤتمرا للمنظمات الاسلامية استمر خمسة أيام حضرته وفود عن مختلف الهيئات الاسلامية فى العالم .

● أصدر وزير المعارف قرارا يقضى باعتبار مادة الثقافة الاسلامية مادة أساسية فى جميع الكليات الجامعية وفى كل سنوات الدراسة دون استثناء .

الجزائر : عقدت فى الجزائر اجتماعات الدورة السادسة لاتحاد الاذاعات العربية وذلك لبحث التنسيق وتدعيم التعاون بينها .

● دفعت الجزائر خلال حرب رمضان مبلغ ١٠٠ مليون دولار ثمنا لأسلحة اشترتها لصالح المعركة مع اسرائيل .

سورية : تتصاعد الاستباكات يوميا بين الابطال السوريين وقوات الاحتلال الاسرائيلى وقد صرح مصدر سورى مسئول بأن قرار وقف اطلاق النار لم يعد له وجود فى جبهة الجولان .

فلسطين المحتلة : قام الفدائيون مؤخرا بعمل بطولى داخل مدينة « الخالصة » .. وكبدو العدو خسائر فادحة فى الأنفس والأموال .

● ما زال العدو الاسرائيلى يعانى من الاضطراب والقلق بعد حرب رمضان وقد استقالت رئيسة وزراء العدو مؤخرا .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	ربيع الآخر ١٣٩٤	أبريل ١٩٧٤ م	المواقيت الشرعية بالزمن الزوالي: فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء	المواقيت الشرعية بالزمن الغروبي: فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء
			د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س
الثلاثاء	١	٢٣	٣٣٩	٥١٥	١١٤٧	٣٢١	٦١٨	٧٤١	٩٢١	١٠٥٧	٥٢٩	٩٠٣	١ ٢٣
الاربعاء	٢	٢٤	٣٨	١٤	٤٧	٢١	١٩	٤٢	١٩	٥٥	٢٨	٢	٢٣
الخميس	٣	٢٥	٣٧	١٣	٤٧	٢١	٢٠	٤٣	١٧	٥٣	٢٧	١	٢٣
الجمعة	٤	٢٦	٣٥	١٢	٤٦	٢١	٢٠	٤٣	١٥	٥٢	٢٦	١	٢٣
السبت	٥	٢٧	٣٤	١١	٤٦	٢١	٢١	٤٤	١٣	٥٠	٢٥	٠٠	٢٣
الاحد	٦	٢٨	٣٣	١٠	٤٦	٢١	٢٢	٤٥	١١	٤٨	٢٤	٨٥٩	٢٤
الاثنين	٧	٢٩	٣٢	٩	٤٦	٢١	٢٢	٤٦	١٥	٤٧	٢٤	٥٩	٢٤
الثلاثاء	٨	٣٠	٣١	٨	٤٦	٢١	٢٣	٤٧	٨	٤٥	٢٣	٥٨	٢٤
الاربعاء	٩	مايو	٣٠	٧	٤٥	٢٠	٢٣	٤٨	٧	٤٤	٢٢	٥٧	٢٤
الخميس	١٠	٢	٢٩	٦	٤٥	٢٠	٢٤	٤٩	٥	٤٢	٢١	٥٧	٢٥
الجمعة	١١	٣	٢٧	٥	٤٥	٢٠	٢٤	٤٩	٣	٤١	٢١	٥٦	٢٥
السبت	١٢	٤	٢٦	٥	٤٥	٢٠	٢٥	٥٠	٢	٤٠	٢٠	٥٥	٢٥
الاحد	١٣	٥	٢٥	٤	٤٥	٢٠	٢٥	٥١	٠٠	٣٩	٢٠	٥٤	٢٥
الاثنين	١٤	٦	٢٤	٣	٤٥	٢٠	٢٦	٥٢	٨٥٨	٣٧	١٩	٥٣	٢٦
الثلاثاء	١٥	٧	٢٣	٢	٤٥	٢٠	٢٧	٥٣	٥٦	٣٥	١٨	٥٣	٢٦
الاربعاء	١٦	٨	٢٢	١	٤٤	٢٠	٢٧	٥٣	٥٥	٣٤	١٧	٥٢	٢٦
الخميس	١٧	٩	٢١	٠٠	٤٤	١٩	٢٨	٥٤	٥٤	٣٣	١٧	٥٢	٢٦
الجمعة	١٨	١٠	٢٠	٠٠	٤٤	١٩	٢٨	٠٥٥	٥٢	٣٢	١٦	٥١	٢٧
السبت	١٩	١١	١٩	٤٥٩	٤٤	١٩	٢٩	٥٦	٥٠	٣٠	١٥	٥٠	٢٧
الاحد	٢٠	١٢	١٩	٥٨	٤٤	١٩	٣٠	٥٧	٤٩	٢٩	١٥	٤٩	٢٧
الاثنين	٢١	١٣	١٨	٥٨	٤٤	١٩	٣٠	٥٨	٤٨	٢٨	١٤	٤٩	٢٧
الثلاثاء	٢٢	١٤	١٧	٥٧	٤٤	١٩	٣١	٥٩	٤٦	٢٦	١٣	٤٨	٢٨
الاربعاء	٢٣	١٥	١٦	٥٦	٤٤	١٩	٣٢	٨٠٠	٤٤	٢٥	١٣	٤٨	٢٨
الخميس	٢٤	١٦	١٥	٥٦	٤٤	١٩	٣٢	٠٠	٤٣	٢٤	١٢	٤٧	٢٨
الجمعة	٢٥	١٧	١٤	٥٥	٤٤	١٩	٣٣	١	٤١	٢٢	١١	٤٦	٢٨
السبت	٢٦	١٨	١٣	٥٤	٤٤	١٩	٣٤	٢	٣٩	٢١	١١	٤٦	٢٩
الاحد	٢٧	١٩	١٢	٥٤	٤٤	١٩	٣٤	٣	٣٨	٢٠	١٠	٤٥	٢٩
الاثنين	٢٨	٢٠	١١	٥٣	٤٤	١٩	٣٥	٤	٣٧	١٩	١٠	٤٤	٢٩
الثلاثاء	٢٩	٢١	١٠	٥٣	٤٤	١٩	٣٥	٥	٣٥	١٨	٩	٤٤	٢٩

السيدة أم حبيبة رضي الله عنها

اسمها : رملة بنت ابى سفيان صخر بن حرب بن اميه بن عبد شمس الأموية .
امها : صفية بنت ابى العاص بن امية .

مولدها : ولدت قبل البعثة بسبع عشرة سنة .

اسلامها : اسلمت هى وزوجها عبيد الله .. وقاست ما قاست من اضطهاد اهلها وتعذيبهم لها .

هجرتها : لم تجد بدا من الهجرة بصحبة زوجها عبيد الله الى الحبشة فرارا بدينها .. تاركة الأهل .. مفارقة الديار .. رغم أنها كانت حاملا .. وهناك وضعت ابنتها « حبيبة بنت عبيد الله » .. وصارت تكنى بها « أم حبيبة » . وفى المهجر ارتد زوجها عبيد الله عن الاسلام .. واعتنق النصرانية .. فأصابها هم كبير .. فقد أصبحت وحيدة فى دار الهجرة .. حيث فارقها زوجها ..

زواجها : ولما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بنبأها أرسل الى النجاشي يطلبها منه فجاءها رسول النجاشي ــ جارية تدعى (أبرهة) ــ تقول لها : « ان الملك يقول لك : وكلى من يزوجك من نبى العرب فقد أرسل اليه ليخطبك له » .. فوكلت : خالد بن سعيد بن العاص بن أمية .
فقال له النجاشى : « زوجها من نبيكم ، وقد أصدقتها عنه اربعمائة دينار » .
وبذلك تم زواجها من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فى المدينة : عادت أم حبيبة رضى الله عنها من أرض الحبشة لتحتفل المدينة بها زوجة فى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم .. ولتكون اما للمؤمنين .

روايتها للحديث : روت عن النبى صلى الله عليه وسلم احاديث .. كما روت حبيبة ابنتها عن زينب بنت جحش أم المؤمنين .

وفاتها : رحلت الى جوار ربها فى سنة ٤٤ من الهجرة فى خلافة معاوية .. ودفنت بالبقيع . رضى الله عنها .

« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأمر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر : القاهرة : شركة توزيع الأخبار / شارع الصحافة.

السودان : الخرطوم : دار التوزيع — ص.ب : (٣٥٨) .

ليبيا : طرابلس الغرب : دار الفرجانى — ص.ب : (١٣٢) . بنغازى : مكتبة الخراز — ص.ب : (٢٨٠) .

تونس : مؤسسات ع بن عبد العزيز — ١٧ شارع فرنسا .

المغرب : الدار البيضاء — السيد أحمد عيسى ١٧ شارع الملكى .

لبنان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) .

عدن : مؤسسة ١٤ أكتوبر للنشر والتوزيع: ص.ب :(٢٢٧).

الأردن : عمان : وكالة التوزيع الأردنية : ص.ب : (٣٧٥) .

السعودية :
جدة : مكتبة مكة — ص.ب : (٤٧٧) .
الرياض : مكتبة مكة — ص.ب : (٤٧٢) .
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية — ص.ب : (٧٦) .
الطائف : مكتبة الثقافة — ص.ب : (٢٢) .
مكة المكرمة : مكتبة الثقافة .
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .

العراق : بغداد : وزارة الاعلام — مكتب التوزيع والنشر .

البحرين : المكتبة الوطنية : شارع باب البحرين .

قطر : الدوحة : مؤسسة العروبة — ص.ب : (٥٢) .

ابو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) .

دبى : مطبعة دبى .

الكويت : مكتبة الكويت المتحدة .

ونوجه النظر إلى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية — الكويت